

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

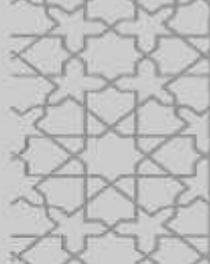
العدد الحادي والسبعون

ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ

(الجزء الثاني)

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٥٦٣ بتاريخ ١٩/٠٦/١٤٢٩ هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ . ١٦٥٨





المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ خالد بن سليمان القوسي
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدير التحرير
الأستاذ الدكتور/ محمد بن سعيد بن إبراهيم اللويحي
الأستاذ في قسم الأدب والبلاغة والنقد - كلية اللغة العربية

أعضاء هيئة التحرير

- أ.د. سعد بن عبدالعزيز مصلوح
الأستاذ في قسم اللسانيات - جامعة الكويت
- أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي
الأستاذ في قسم اللغويات العربية - جامعة تونس
- أ.د. عبدالله بن محمد السديس
الأستاذ في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
- أ. د قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم
الأستاذ في قسم علم اللغة - جامعة الملك خالد
- أ.د. محمد بن نافع بن بداح المضباني العنزي
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- أ.د. عبد العزيز بن صالح بن عبدالله بن دعيلاج
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- أ.د. طاهر عبدالحجى شبانه
الأستاذ في قسم النحو والصرف - جامعة كفر الشيخ
- أ.د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة
الأستاذ في قسم اللغة العربية - جامعة القصيم
- أ.د. ممدوح إبراهيم محمود
أمين تحرير مجلة العلوم العربية - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة العلوم العربية مجلة علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمنهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرداً) .
- ٤- يرسل الباحث بحثه إلى منصة المجلات الإلكترونية (<https://imamjournals.org>) مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة.

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
 - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
 - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
 - ٤- تترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً : تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - فاكس (٢٥٩٠٢٦١)

www.imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

١٣	الاستدلال بعبارة الكتاب على بيان مراد سيبويه (شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر القرطبي (ت ٤٠١هـ) أمودجاً) د. غازي بن خلف العتيبي
٩٥	الثنائيات الضدية في سلسلة "العربية بين يديك". (دراسة لسانية تحليلية) د. ظافر بن علي الشهري
١٤٧	ابن المنخَّل الشلبي الأندلسي (ت في حدود ٥٦٠هـ) حياته وما تبقى من شعره - جمع وتوثيق ودراسة - أ. م . د. ازاد محمد كريم الباجلاني
٢٠٥	السرد في (مذكرات شاهد للقرن)مالك بن نبي (مقاربة حجاجية تداولية) د. ذيب بن مقعد العصيمي
٢٦٥	آليات الحجاج في خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- للشباب (مقاربة تداولية) د. جوزاء مفلح ضيفم العنزي

الاستدلال بعبارة الكتاب على بيان مراد سيبويه
(شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر القرطبي (ت ٤٠١ هـ)
أنموذجاً)

د. غازي بن خلف العتيبي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الاستدلال بعبارة الكتاب على بيان مراد سيبويه (شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر القرطبي (ت ٤٠١ هـ) أنموذجاً)

د. غازي بن خلف العتيبي

قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تأريخ تقديم البحث: ٨ / ٧ / ١٤٤٤ هـ تأريخ قبول البحث: ٨ / ٢٨ / ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

يعالج هذا البحث جملة من نصوص كتاب سيبويه التي عرضها أبو نصر القرطبي في شرحه، وقام بشرحها وبيان مراد سيبويه فيها، وذلك من خلال الاستدلال على ذلك بنصوص أخرى من الكتاب، تبين المراد وتزيل الإشكال، وقد ناقش البحث هذه المواضيع وبيّن رأي شراح الكتاب فيها، مع التركيز على النصوص التي استدل بها أبو نصر من الكتاب، وأثرها في فهم النص المراد شرحه.

الكلمات المفتاحية: أبو نصر، سيبويه، استدلال، شراح، مراد.

**ALSTEDLAL BEBART ALKETAB ALA MURAD SIBAWAYH
(SHARH OUOON KETAB SIBAWAYH BY ABI NASR AIQURTABI
(401A H) ONMOTHJN)**

Dr. Ghazi Khalaf ALotaibi

Department of syntax, morphology and philology – Faculty of Arabic Language
Imam Mohammad ibn Saud Islamic university

Submission date: Raj. 8, 1444 AH

Acceptance date: Sha.28,1444 AH

Abstract:

This research deals with several texts from Ktab Sibawayh (Sibawayh's book), presented by Abu Nasr Al-Qurtubi in his explanation, and he explained it and clarified what Sibawayh meant in them, by inferring that from other texts from ALKTAB, clarifying what is meant and removing the problem. Focusing on the texts that Abu Nasr inferred from the book and their impact on understanding the text to be explained.

key words: Abu Nasr, Sibawayh, infer, intended, shraah

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فقد أولى علماء العربية كتاب سيبويه فائق الاهتمام والعناية، فأقبلوا على روايته وأخذوه، وعكفوا على فهمه ومطالعته، وشرعوا في تدريسه وحلّ ألفاظه، وألّفوا حوله جملة من المصنّفات والشروح؛ وما ذاك إلا لأنّه قد جمع أصول الكلام، وأرسى قواعد العربية، فأضحى لا نظير له في صحّته وإتقانه وحسنه. ومن بين تلك المصنّفات شرح أبي نصر القرطبي (ت ٤٠١هـ) الموسوم بـ(شرح عيون كتاب سيبويه)، الذي حرص فيه مصنّفه على تفسير ما ألبس من كلام سيبويه وأشكل.

وقد كان أبو نصر في جملة من المواضيع فيه يستعين على بيان مراد سيبويه وتفسير كلامه بنصوص أخرى من الكتاب، فرأيت أنّ هذه المواضيع جديدة بالجمع والدراسة؛ فجاء هذا البحث بعنوان: (الاستدلال بعبارة الكتاب على بيان مراد سيبويه (شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر القرطبي (ت ٤٠١هـ) أنموذجاً).

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع:

- علاقته الوثيقة بكتاب سيبويه وارتباطه به.
- أنّ صاحب الشرح قامه علميّة كبيرة مغمورة، لم تنل حظّها الوافي من الدراسة.

- أن لأبي نصر عناية فائقة بالكتاب ونُسَخه.
- قدرة أبي نصر الفائقة على ربط نصوص الكتاب بعضها ببعض، وتوظيفها في شرح عبارة سيبويه وكشف مراده، وهذا يدلُّ على إلمامه بمادة الكتاب، وقوة فهمه نصوصه، وملكة استحضارها في أثناء الشرح.
- أن لأبي نصر في هذه المواضع جملة من الانفرادات والآراء التي لم أقف عليها عند غيره من شراح الكتاب.
- أن جملة من مسائل هذه المواضع وقضاياها لم تنل حظها من الدراسة والبحث من قبل.

وقد وضعت هذه الدراسة جملة من الأهداف، من أهمها:

- إبراز جهود أبي نصر في شرح الكتاب والكشف عنها.
- الوقوف على آراء أبي نصر وانفراداته التي لم يُسبق إليها.
- الكشف عن أغراض الاستدلال بعبارة سيبويه عند أبي نصر وطرق توظيفها.
- بيان أثر اختلاف نسخ الكتاب في فهم مراد سيبويه عند أبي نصر وغيره من الشراح.

وأما ما يتعلّق بالدراسات السابقة، فلم أقف على دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع بالدرس والمناقشة والتحليل.

وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في معالجة مسائل هذا البحث وقضاياها، كما أن خطته اقتضت أن يُجعل في مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

المقدمة: أشرت فيها إلى أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه حديث بإيجاز عن:

أولاً: أبي نصر القرطبي.

ثانياً: كتابه (شرح عيون كتاب سيويه).

المبحث الأول: مواضع الاستدلال بعبارة سيويه.

المبحث الثاني: أغراض الاستدلال بعبارة سيويه عند أبي نصر.

المبحث الثالث: انفرادات أبي نصر.

الخاتمة: وفيها أهمُّ نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع: وفيه قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

وبعدُ، فهذا ما وفقني الله -تعالى- إليه، وأعاني على تسطيره، وأجدُّ من حقِّه -سبحانه وتعالى- أن أحمده على ذلك وأشكره، وصلى الله وسلِّم على نبينا محمَّد.

أولاً: أبو نصر القرطبي^(١)

● اسمه ونسبه:

هو هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطبي^(٢).
أصله من مجريط^(٣)، ويكنى بأبي نصر، ويوصف بالأديب النحوي^(٤).

● مولده ونشأته:

لم تُشر كتب التراجم إلى تاريخ ولادته، وأغلب الظن أنها كانت في مجريط؛ إذ هي موطنه الأصلي، وإليها يُنسب.
نشأ أبو نصر في مجريط، وفيها تلقى تعليمه الأول، ثم رحل بعد ذلك إلى قرطبة، مدينة العلم والعلماء آنذاك، فالتقى بجملة من علمائها وشيوخها، فسمع منهم وروى عنهم^(٥).

● شيوخه:

من أبرز العلماء الذين أخذ عنهم أبو نصر:

-
- (١) انظر في ترجمته: إنباه الرواة ٣/٣٦٢-٣٦٣، والصلة ٦٢٠-٦٢١، ومعجم البلدان ٥/٥٨، وتاريخ الإسلام ٢٨/٥٢-٥٣، والوافي بالوفيات ٢٧/٨٦، والبعية ٢/٣٢١، وكشف الظنون ٢/١٤٢٨، والحلل السندسية ١/٣٤٣-٣٤٤، والأعلام ٨/٦٣، وهدية العارفين ٢/٥٠٣، ومعجم المؤلفين ٤/٥١، ومقدمة محقق شرح عيون كتاب سيبويه ٧-٢٤.
- (٢) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٢٦، والصلة ٦٢٠، والوافي بالوفيات ٢٧/١٢٤.
- (٣) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، ومعجم البلدان ٥/٥٨، والحلل السندسية ١/٣٤٣-٣٥٦.
- (٤) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٢٨/٥٢، والوافي بالوفيات ٢٧/١٢٤، والبعية ٢/٣٢١.
- (٥) انظر: الصلة ٦٢٠.

١. أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) (١).

٢. محمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨هـ) (٢).

٣. أبو عيسى يحيى بن عبد الله الليثي (ت ٣٦٧هـ) (٣).

● تلاميذه:

لمَّا اكتملت لأبي نصر أسباب العلم والمعرفة أخذ يلقي دروسه في قرطبه، فاختلف إليه الأحداث ووجوه الناس؛ لثقتهم في دينه وعلمه (٤)، ومن أبرز من أخذ عنه:

١. أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ) (٥).

٢. أبو عثمان سعيد بن عبد الله الأزدي (ت ٤٢٩هـ) (٦).

٣. أبو محمد عبد الله بن سيف البلنسي (ت ٤٣٠هـ) (٧).

٤. محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني (ت ٤٤٨هـ) (٨).

٥. ابن الغراب أبو بكر محمد بن موسى البطليوسي (ت ٤٦٠هـ) (٩).

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، ومعجم البلدان ٥/٥٨، ومعجم المؤلفين ٤/٥١.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٦-٣٨٩، ٤٣٤، ٤٧٣.

(٣) انظر: الصلة ٦٢٠، والوافي بالوفيات ٢٧/١٢٤، والبغية ٢/٣٢١.

(٤) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، و الصلة ٦٢٠، وتاريخ الإسلام ٢٨/٥٣، والبغية ٢/٣٢١.

(٥) انظر: الصلة ٤٨-٥٠، ٦٢٠، وتاريخ الإسلام ٢٨/٥٣.

(٦) انظر: الصلة ٢١٦.

(٧) انظر: التكملة ٢/٢٤٠.

(٨) انظر: الصلة ٥٠٧، ٦٢٠، وتاريخ الإسلام ٢٨/٥٣.

(٩) انظر: الصلة ٥١٣، ٦٢٠.

٦. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (٦٣ هـ) (١).
٧. أبو عمر أحمد بن صارم الباجي (٢).
٨. أبو عبد الله محمد بن عيسى الرعييني (٣).
٩. أبو الإصبع موسى بن أحمد بن دحيم (٤).
١٠. هلال بن عريب (٥).
١١. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي (٦).

● وفاته:

كانت وفاة أبي نصر في قرطبة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة للهجرة النبوية (٧).

● آثاره:

ذكرت المصادر أنّ أبا نصر خلف كتاباً في تفسير عيون كتاب سيبويه (٨)، وهو الذي تقوم عليه الدراسة كما سيأتي.

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، والصلة ٦٢٠، ٦٤٠-٦٤٢.

(٢) انظر: الصلة ٥٥.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٤١٣، والصلة ٤٩٣.

(٤) انظر: التكملة ١٧١/٢.

(٥) انظر: فهرسة ابن خير ٣٨٨، والتكملة ١٤٨/٤.

(٦) انظر: فهرسة ابن خير ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٦-٣٨٩، والصلة ٦٤٠.

(٧) انظر: إنباه الرواة ٢/٣٢١، والصلة ٦٢١، ومعجم البلدان ٥/٥٨، والوافي بالوفيات ٢٧/١٢٤.

(٨) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٦٢، وفهرست ابن خير ٣٨٦، والوافي بالوفيات ٢٧/١٢٤، والبغية

٢/٣٢١، وكشف الظنون ٢/١٤٢٨، ومعجم المؤلفين ٤/٥١.

وممَّا يُشَار إليه أيضاً أنَّ الزركلي والبغدادي أشارا إلى أنَّ لأبي نصر كتاباً في تفسير أبيات كتاب سيبويه^(١)، ولم أقف على ذلك عند من ترجم له من المتقدمين.

ثانياً: (شرح عيون كتاب سيبويه)

إنَّ أهمَّ ما يمكن ملاحظته هو عناية أبي نصر الفائقة بكتاب سيبويه، فقد أخذه ورواه عن أبي عبد الله الرباحي ناقل الكتاب إلى الأندلس، بسنديه عن ابن ولاد وعن أبي جعفر النحاس، ونسخ منه نسخة بخطِّ يده، ورواه -أيضاً- عن أبي علي القالي عن ابن درستويه^(٢).

وقد لازم أبو نصر الكتاب ملازمة شديدة، واقتصر عليه في الشرح والتعليم، وقد نقله عنه جملة من طلابه كأبي عثمان الأزدي وابن خيرون السهمي وأبي عبد الله الرُّعيني^(٣).

بل إنَّ أبا نصر قد اقتصر عليه في التأليف أيضاً دون غيره، فلم تذكر كتب التراجم والفهارس له إلا شرح كتاب سيبويه وشرح أبياته. وأهمُّ ما يتَّسم به شرحه الموسوم بـ(شرح عيون كتاب سيبويه) الذي حفَّقه الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه ما يأتي^(٤):

(١) انظر: الأعلام ٦٣/٨، وهدية العارفين ٥٠٣/٢.

(٢) انظر: فهرسة ابن خير ٣٨٠، وحواشي كتاب سيبويه ١٣٢/١-١٣٣.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٣٨٠، والصلة ٢١٦، وحواشي كتاب سيبويه ١٣٣/١.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق شرح عيون كتاب سيبويه ٢٧-٣٠، ٣٧، ٤٢.

• أنه لم يتناول كلَّ أبواب الكتاب، ولا كلَّ مسائل الأبواب التي ذكرها، بل هو شرح لجملة من قضايا الكتاب ومسائله المشكّلة في الغالب، وكلُّ من طالع عنوان الكتاب أدرك ذلك منذ الوهلة الأولى.

• جاء هذا الشرح في معظمه متوسطاً بين الإطناب والإيجاز، فأبو نصر فيه حريص كلَّ الحرص على إيضاح مراد سيبويه، وتبيين رأيه، وتعليل ما ذكره من أحكام، والردِّ على ما وُجِّه إليه من نقد بعبارة واضحة بيّنة دون إطالة أو إسهاب.

• الاستعانة على تفسير مراد سيبويه وتوضيحه بعبارات أخرى من الكتاب نفسه، وهذه السمة توضِّح بجلاء عمق فهم أبي نصر، وقوَّة تمكُّنه من ضبط نصوص الكتاب، واستحضارها في أثناء شرحه، وقدرته على التوفيق بينها. وفي فلك هذه السمة يدور هذا البحث، وستتضح معالمها وتتجلَّى في ثناياه بإذن الله تعالى.

• من خلال الشرح يتضح حرص أبي نصر على ضبط نص كتاب سيبويه، وردِّ بعض روايات الكتاب الأخرى وتضعيفها والاستدلال على ما ذهب إليه وتعليقه.

وسيتضح ذلك في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

• دفاعه عن الكتاب ومؤلِّفه وردِّ الآراء التي تعارض مذهب سيبويه بالأدلة النقلية والعقلية، ومن أمثلة ذلك:

– قوله: "قول الأخفش: "وتقول: (أزيداً لم يضربه إلا هو) لا يكون فيه إلا النصب، وإن كانا جميعاً من سببه" خطأ لا تتكلَّم به العرب، وإنما كلامهم:

(أزیداً لم یضربه إلا نفسه). قال سیبویه -رحمه الله-: استغنت العرب فی هذا ونحوه بالنفس والأنفس عن الضمائر، وتصدیق ذلك قوله الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(١)"(٢).

- قوله فی شرحه باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين: "مذهب سیبویه -رحمه الله- فی هذا أنَّ أصل الفعل فيه أن يتعدى بحرف جرٍّ، ثم يُحذف حرف الجرِّ، فينفذ الفعل إلى المفعول المحذوف منه حرف الجرِّ فيُنصب. وقال الجرميُّ: غلط فی هذا سیبویه، وحجته أنَّ من الأفعال ما يتعدى بحرف جرٍّ وبغير حرف جرٍّ.

والدليل على فساد ما ذهب إليه الجرمي أنَّ الفعل إذا وصل إلى المفعول بلا واسطة فلا معنى لإدخالك ما يوصله إليه، وإذا كان أصله ألا يصل إليه إلا بحرف الإضافة حسن لك أن تستخفَّ وتدخله فيما هو أمكن"^(٣).

(١) المائة ٢٥.

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ٧٥.

(٣) شرح عيون كتاب سيبويه ٤٢. وانظر -أيضاً-: ٥٩، ١٩٢-١٩٣، ٢٢٣.

المبحث الأوّل: مواضع الاستدلال بعبارة سيبويه:

١- تفسير قول سيبويه: (مجري أواخر الكلم)

قال سيبويه: "هذا باب مجري أواخر الكلم من العربية. وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجَرِّ والرفع والجزم والفتح والضمّ والكسر والوقف"^(١). قال أبو نصر القرطبي: "المجري أعراض تلحق أواخر الكلم السالمة غير المعتلّة بعد الاعتماد عليها فتصير أحوالاً مصيراً فيها، والكائنة فيها والجارية عليها هي أواخر الكلم؛ يدُلُّك على ذلك قوله: "هذا باب ما ينتصب به الاسم؛ لأنّه حال صار فيها المذكور"^(٢)، فإذا قلت: هذا زيدٌ منطلقاً، فالمنطلق هو زيد، وخبر له، وحال صار فيها، وليس من اسمه، وعملت فيه الجملة التي قبلها بالنصب؛ لانقطاعه واستغنائها عنه. وإذا قلت: زيد منطلق، فالمنطلق زيد، وهو أيضاً خبره وحاله، وارتفع لاشتغال المبتدأ به، والمعنى زيد في هذه الحالة، وقد يقع فيها شيء فينتصب، وأيضاً فإنَّ أوّل الكلام الاسم الذي الحرف بمنزله في أنّه اسم للمعنى الذي تحته، فإذا كان هو الأوّل فهو المحدث للأحوال التي يكون عليها وينتقل إليها، والأحوال لا تنتقل من ذات أنفسها ولا تجري"^(٣).

(١) بولاق ٢/١، وهارون ١٣/١.

(٢) بولاق ١٩٢/١، وهارون ٣٨٤/١، وفيهما: (من المصادر) بدلاً من (به الاسم).

(٣) شرح عيون كتاب سيبويه ١٢-١٣.

● المناقشة:

(المجاري) جمع (مَجْرَى)، جاء على مَفْعَل، وكلُّ (مَفْعَل) معتلّ اللام يصلح أن يكون زماناً ومكاناً ومصدرًا؛ لذا اختلف الشُّرَّاح في مراد سيبويه بـ(المجاري) على قولين:

القول الأوّل: أنّ المراد بها المكان، وأصحاب هذا القول اختلفوا في تعيينه—أيضاً—، فمنهم من رأى أنّه أواخر الكَلِم، وعُزِّي إلى بعض الشُّرَّاح^(١).
وقول سيبويه: "وهي تجري على ثمانية مجارٍ" يُضَعِّفه ويوهنه؛ لأنَّ أواخر الكلم لا تجري^(٢).

ومنهم من رأى أنّ المقصود بها الحركات، وإلى هذا ذهب أبو نصر وجماعة من الشُّرَّاح، كالسيرافي^(٣) والأعلم^(٤) وابن خروف^(٥)، وحجَّتْهم في ذلك قول سيبويه: "وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجَرِّ والرفع..."، فأبدل (النصب) وما بعده بإعادة العامل من (ثمانية)، والبديل هو المبدل منه هنا^(٦).
وسبب وصفها بذلك عائد عند أبي نصر إلى أنّها أحوال صائرة فيها أواخر الكلم، واستدلَّ على ما رأى بقول سيبويه: "هذا باب ما ينتصب به الاسم؛ لأنَّه حال صار فيها المذكور"، فجعل سيبويه صاحب الحال صائراً فيها مع

(١) انظر: شرح الكتاب للصفار ٢٤٤/١-٢٤٥.

(٢) انظر: شرح الكتاب للصفار ٢٤٤/١-٢٤٥.

(٣) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٠/١.

(٤) انظر: النكت ١٠٤/١.

(٥) انظر: تنقيح الألباب ٨/أ.

(٦) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٠/١، والنكت ١٠٤/١.

كونه أصلاً وهي فرع عنه وتابعة له؛ وذلك لأنها أفادت معنى جديداً في حال تلبس صاحبها بها، فصار المراد صاحب الحال في هذه الحالة، وكذلك الأمر هنا، فإنَّ الحرف الأخير من الكلمة أصلٌ والحركة تابعة له، ولكن لما كانت الحركة -وهي أثر العامل- دليلاً على المعنى -وهي التي تتغيَّر- صار المراد أواخر الكلم في حال الرفع والنصب والجرِّ ونحوها.

وأيضاً فإنَّ من أوجه الشبه بينهما -كما يُفهم من كلام أبي نصر- أنَّ صاحب الحال اسم يقع قبل الحال، وكذلك الحرف في آخر الكلمة فإنه اسم لمدلوله (صورته ورمزه) وواقع قبل الحركة أيضاً، وكلُّ من الحال والحركة لا ينتقلان من ذاتهما، وإنما يعمل فيهما غيرهما.

ولا يخفى أنَّ ما تقدَّم قائم على التجوُّز والاتساع، وقريب منه ما ذكره السيرافي وغيره من أنَّ الحركات لما كانت أواخر الكلم قد تنتقل من بعضها إلى بعض كما تنتقل الحركة من حرف إلى حرف جاز تسمية الحركات مجاري، فكأنَّها تنتقل فيها أواخر الكلم من بعض الحركات إلى بعض^(١).

القول الثاني: أنَّ المراد بها المصدر والحدث، وعليه فالتقدير: هذا باب أنواع جري أواخر الكلم، وهو اختيار الصقار^(٢)، وجوَّزه السيرافي^(٣) والأعلم^(٤) وابن خروف^(٥).

(١) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٠/١، والنكت ١٠٤/١، وتنقيح الألباب ٨/أ.

(٢) انظر: شرح الكتاب للصفار ٢٤٧/١.

(٣) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٠/١.

(٤) انظر: النكت ١٠٤/١-١٠٥.

(٥) انظر: تنقيح الألباب ٨/أ.

وهو الأقرب، ومَّا يقويه:

١- أن مجيء المصدر ميمياً ثابت في الكلام، ومنه قوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلِي فِيهَا مَثَابٌ أُخْرَى﴾^(٢).

٢- بعد هذا القول عن التكلف والمجاز.

٢- تفسير قول سيبويه:

(لأفُزُقُ بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة ... وبين ما يُبَيِّنُ عليه الحرف)

قال سيبويه: "وإنما ذكرتُ لك ثمانية مجارٍ؛ لأفُزُقُ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدثُ فيه العامل -وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه- وبين ما يُبَيِّنُ عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه"^(٣).

قال أبو نصر: "قوله فيه: "وإنما ذكرت ثمانية مجارٍ؛ لأفُزُقُ بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة". (ما) ههنا كناية عن الاسم المتمكن والفعل المضارع... وقوله: "وبين ما يُبَيِّنُ عليه الحرف". (ما) ههنا كناية عن الأسماء غير المتمكِّنة والأفعال غير المضارعة والحروف التي جاءت لمعنى، فهذا القبيل مبنيٌّ عليه جميع حروفه الدالة عليه بناءً لا يزول. وقد يحتمل أن تكون (ما) الأولى كناية عن حرف الإعراب، و(ما) الثانية كناية عن حرف البناء، ويكون الحرف في قوله:

(١) الأنعام ١٦٦.

(٢) طه ١٨.

(٣) بولاق ٣/١، وهارون ١٣/١.

"وبين ما يُبَيَّنُّ عليه الحرف" كناية عن الاسم والفعل والحرف، كما قال: "وألزموا لام فَعَلَّ السكون وبنوها على العلامة"^(١)، وهو يعني أنَّ الكلمة مبنية على النون كأنَّها آخر حروف الفعل، ولذلك سكن الحرف الذي قبلها؛ إذ ليس في الأسماء والأفعال والحروف ما تتوالى فيه أربع متحرِّكات لا ساكن بينها إلا محذوفاً في نحو: (عَلِبَط)^(٢)، وإمَّا يكون هذا مع ضمير الفاعل الذي لا بدُّ للفعل منه، والفعل لا يُبَيَّنُّ على ضمير المفعول؛ لاستغناء الفعل عنه، فهو كالمنفصل. وقد يحتل أن يكون الحرف في هذا الوجه الثاني كناية عن علامة الإعراب والبناء، فيُسَمَّى المجاري حروفاً، كما قال الكسائي: العربية على ثلاثة أحرف: على الرفع والنصب والخفض، فسَمَّى الرفع والنصب والخفض حروفاً. وقد يحتمل أن يريد: لأفترق بين حركة ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين حركة ما يُبَيَّنُّ عليه الحرف بناء لا يزول، فحذف، كما قال: -وهو يعني النون في (يَفْعَلْنَ)-: "لا تُحْدَفْ؛ لأنَّها علامة إضمار وجمع فيمن قال: (أكلوني البراغيث)"^(٣)، فقال: فيمن قال، ولم يقل: في قول من قال، فجاز ذلك"^(٤).

(١) بولاق ٦/١، وهارون ٢٠/١.

(٢) العَلِبَط: مقصور من غَلَابَط، وهو الضخم العظيم. انظر: الصحاح (علبط) ٣/١١٤٤، واللسان (علبط) ٧/٣٥٥، والتاج (علبط) ١٩/٤٨٣.

(٣) نسخة ابن معاني ٥/١، وابن دادي ٦/أ، وفي بولاق ٦/١، وهارون ٢٠/١: (في قول من قال).

(٤) شرح عيون كتاب سيبويه ١٧-١٨.

● المناقشة:

ظاهر قول سيبويه: "لأفُرُقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة ... وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ" فيه إشكال، فالذي يدخله ضرب من هذه الأربعة هو حرف الإعراب، والذي يُبْنَى عليه الحرف هو الحركات والسكون، فكأنَّ الأمر آل إلى الفرق بين الحرف والحركة، ومثل هذين لا يحتاج إلى الفرق بينهما؛ إذ لم يلتبساً قطُّ؛ ولذلك غلَّطه جماعة من النحويين، كالأخفش^(١) والمازني^(٢) والمبرد^(٣).

ولأبي نصر في تفسير مراد سيبويه وبيانه أوجه:

الأوَّل: أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: لأفُرُقَ بين حركة ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين حركة ما يُبْنَى عليه الحرف بناء لا يزول. واستدلَّ أبو نصر على هذا بقول سيبويه في حديثه عن نون (يفعلن): "لا تُحْدَفُ؛ لأنَّها علامة إضمار وجمع فيمن قال: (أكلوني البراغيث)"؛ إذ قال: فيمن قال، فحذف المضاف، والتقدير: في قول من قال.

(١) انظر: حواشي كتاب سيبويه ٤٣/١-٤٤.

(٢) انظر: الانتصار ٤٤.

(٣) انظر: الانتصار ٤٣-٤٤.

وهذا الوجه الذي ذكره أبو نصر قد نصَّ عليه ابن ولّاد^(١) والسيرافي^(٢) والأعلم^(٣) وابن خروف^(٤).

وقد ذهب الزجاج إلى أنّ المضاف المحذوف هو لفظ (آخر) في الجزء الأخير من الكلام، وأنّ المراد: لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين آخر ما يُبني عليه الحرف^(٥).

فيقع على هذا التأويل معادلة حرف بحرف، والمراد ب(الحرف) في قوله: "ما يُبني عليه الحرف" (الكلمة) كما سيأتي.

الثاني: أنّ (ما) الأولى كناية عن حرف الإعراب، و(ما) الثانية كناية عن حرف البناء، ويكون المراد ب(الحرف) في قوله: "وبين ما يُبني عليه الحرف" أحد أمرين:

أوّلهما: أنّه كناية عن الاسم والفعل والحرف، فكأنّ سيبويه قال: لأفرق بين حرف الإعراب وبين حرف البناء الذي تُبني عليه الكلمة.

واستدلّ أبو نصر على هذا الأمر بقول سيبويه في حديثه عن لحاق نون النسوة الفعل: "وألزموا لام فَعَلَّ السكون وبنوها على العلامة"، ووجه الاستدلال أنّ الكلمة التي هي الفعل مبنية على النون التي هي بمثابة آخر حرف فيها؛ إذ

(١) انظر: الانتصار ٤٤.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٢/١.

(٣) انظر: النكت ١٠٦/١.

(٤) انظر: تنقيح الألباب ٨/أ.

(٥) انظر: التعليقة ١٦/١-١٧.

هي مع الفعل بمنزلة شيء واحدٍ ولذلك أسكنوا ما قبلها؛ لأنَّه ليس في الأسماء والأفعال والحروف ما تتوالى فيه أربع متحرِّكات لا ساكن بينها إلا محذوفاً. وما استدللَّ به أبو نصر حسن إلا أنَّ السيراني فسَّر (العلامة) في قول سيبويه الأنف بالسكون، إذ قال: "ألزموا لام (فعل) السكون، وبنوها على العلامة التي هي السكون"^(١).

وكلام سيبويه قبل هذا يؤيِّد تفسير أبي نصر، فقد قال: "وذلك قولك: هنَّ يفعلن ولن يفعلن ولم يفعلن، وتفتحها لأنَّها نون جمع، ولا تُحذف؛ لأنَّها علامة إضمار وجمع في قول من قال: (أكلوني البراعيث)"^(٢)، وأيضاً فقد فسَّر ابن خروف (العلامة) بتفسير أبي نصر^(٣).

ثانیهما: أنَّه كناية عن علامات الإعراب والبناء، وكأنَّ المراد: لأفترق بين حرف الإعراب وبين حرف البناء الذي تُبنى عليه الحركة أو السكون. واستدلَّ على ذلك بقول الكسائي: العربية على ثلاثة أحرف: على الرفع والنصب والخفض؛ فسَمَّى وجوه الإعراب حروفاً. وهذا الوجه قد أشار إليه ابن ولَّاد أيضاً^(٤). وهو حسن إن ثبت أنَّ سيبويه سمَّى الحركة حرفاً، إلا أنَّني لم أفق على شيء من ذلك.

(١) شرح كتاب سيبويه ١٥٩/١.

(٢) بولاق ٦/١، وهارون ٢٠/١.

(٣) انظر: تنقيح الألباب ١٢/أ-ب.

(٤) انظر: الانتصار ٤٤-٤٥.

الثالث: أنّ (ما) الأولى في قوله: "الأفترق بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة ... وبين ما يُبني عليه الحرف" كناية عن الاسم المعرب والفعل المعرب، و(ما) الثانية كناية عن الاسم المبني والفعل المبني والحرف؛ فهذه الأنواع الثلاثة مبنيةٌ عليها جميع حروفها بناء لا يتغيّر، وعليه يكون مراد سيبويه: لأفترق بين المعرب والمبني.

وهذا أحد الأوجه التي نصَّ عليها ابن ولّاد^(١).

وبقي وجه ذكره ابن خروف، وهو أنّ هناك حذفين في عجز الأوّل وصدر الثاني، فحذف من الأوّل (الحركة)؛ لأنّه قد أثبتتها في قوله: "وبين ما يُبني عليه الحرف"، وحذف من الثاني (الحرف)؛ لأنّه قد أثبتته في قوله: "ما يدخله ضرب من هذه الأربعة"، فكأنّ المراد: لأفترق بين حرف الإعراب وحركته وبين حرف البناء وحركته^(٢).

وهذا فيه حذف حرف العطف والمعطوف في جزأي الكلام، وهو قليلٌ نادر^(٣).

والذي يظهر أنّ الوجه الأوّل هو الأقرب، وإن كان الأولى والأكمل أن يكون تقدير المحذوف فيه (علامة) بدلاً من (حركة)؛ لأنّ المقصود ليس الفرق بين الحركات خاصّة، بل الفرق بين الإعراب جملة، حركة كان أو سكوناً وبين

(١) انظر: الانتصار ٤٥.

(٢) انظر: تنقيح الألباب ٨/أ-ب.

(٣) انظر: شرح الكتاب للصفار ٢٥١/١.

البناء كذلك، وعليه يكون المراد: لأفترق بين علامات ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين علامات ما يُبنى عليه الحرف^(١).

وحذف المضاف جائز إذا عُلِمَ المراد، وهو شائع في الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٢).

٣- تفسير قول سيبويه: (وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة)

قال سيبويه: "وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة، إلا أن الأولى ياء وتفتح النون؛ لأنَّ الزيادة التي قبلها بمنزلة الزيادة التي في الجمع، وهي تكون في الأسماء في الجرِّ والنصب، وذلك قولك: أنتِ تفعلين ولم تفعلي ولن تفعلي"^(٣). قال أبو نصر: "قوله: "وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة"، يعني أنَّ التانيث هنا اسم هو ضمير المخاطبة إذا قلت لها: (أنتِ تفعلين) و(افعلي)، فلحاق النون في فعل الاثنين والجمع بعد الضمير في قولك: (أنتما تفعلان) و(أنتم تفعلون) دليل على أنَّ الياء في تفعلين بمنزلة الألف والواو في (تفعلان) و(تفعلون) في أنَّها ضمير. وممَّا يزيد هذا إيضاحاً قوله في باب الهمزة: "وتقول: اتَّبَعُوْ مَرَه؛ لأنَّ هذه الواو ليست بمدَّة زائدة في حرف الهمزة منه، فصارت بمنزلة واو (يدعو)، وتقول: اتَّبِعِيْ مَرَه، صارت كياء (يرمي) حيث انفصلت، ولم تكن مدَّة في كلمة واحدة مع الهمزة؛ لأنَّها إذا كانت متَّصلة ولم تكن من نفس الحرف أو بمنزلة ما هو نفس الحرف أو تجيء لمعنى، فأتمَّ تجيء

(١) انظر: شرح الكتاب للصفار ٢٥٠/١.

(٢) يوسف ٨٢.

(٣) بولاق ٥/١، وهارون ٢٠/١.

لمدة لا معنى. وواو (اضربوا) و(اتبعوا) هي لمعنى الأسماء، وليس بمنزلة الياء في (حطية) تكون في الكلمة لغير معنى، ولا تجيء مع المنفصلة لتلحق بناءً ببناءً، فيُفصل بينها وبين ما لا يكون مُلحقاً ببناءً ببناءً" (١) ... وأوضح من هذا كله قوله في باب ما يُضمُّ من السواكن: "وأما الياء التي هي علامة الإضمار وقبلها حرف مفتوح فهي مكسورة في ألف الوصل، وذلك الحشّي الرجل، للمرأة" (٢) (٣).

● المناقشة:

من المتقرّر أنّ الفعل المضارع إذا اتصلت به ياء المخاطبة يُعدُّ من الأفعال الخمسة، وهذا ما أشار إليه سيبويه في حديثه السابق، إلا أنّ قوله: "وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة" مشكل؛ ووجه الإشكال أنّ قوله لا يخلو من أن تكون الياء علامة مجرّدة من الضمير أو ضميراً؛ ولذا اختلف الشراح في تفسير قوله ومراده على رأيين:

الأوّل: أنّه يعدُّ هذه (الياء) علامة تانيث، وقد عزاه الصفار إلى الأَخفش (٤).

(١) بولاق ١٦٦/٢-١٦٧، وهارون ٥٤٨/٣.

(٢) بولاق ٢٧٦/٢، وهارون ١٥٥/٤.

(٣) شرح عيون كتاب سيبويه ٢٦-٢٧.

(٤) انظر: شرح الكتاب للصفار ٣٢٩/١.

والقول بحرفيّة ياء المخاطبة معزوّ - أيضاً - إلى المازني^(١).

الثاني: أنّه يعدّها ضميراً، وهو ما ذهب إليه أبو نصر وغيره من الشّراح، كالسيرافي^(٢) وأبي علي^(٣) والرماني^(٤) وابن خروف^(٥) والصفار^(٦).
واستدل أبو نصر على ما ذهب إليه بما يأتي:

أولاً: أنّ لحاق النون في فعل الاثني وجماعة الذكور بعد الضميرين في نحو: (يفعلان) و(يفعلون) دليل على أنّ (الياء) في نحو: (تفعلين) بمنزلة الألف والواو في كونها ضميراً.

ثانياً: نصين من الكتاب صرّح فيهما سيبويه باسميتها:

أحدهما: قوله في حديثه عن تخفيف الهمزة بنقل حركتها إلى ما قبلها:
"وتقول: اتَّبَعُوْهُ... إلى آخر نصّه السابق.

فالذي سوّغ تخفيف الهمزة بنقل حركتها إلى (الياء) في نحو: (اتَّبَعِيْهُ) وعدم قلبها ياءً من جنس الياء التي قبلها وإدغامها فيها كما في (خطيئة) -

(١) انظر ما عُرِي إلى الأخفش والمازني ومناقشة هذا الرأي في: شرح الكتاب للرماني ٨٠/١، ووصف المباني ٤٤٤-٤٤٥، وشرح الكتاب للصفار ٣٣٠-٣٣٢، وشرح المفصل ٧/٧-٨، والبسيط في شرح الجمل ٢٠٦-٢٠٧، والارتشاف ٩١٤/٢، والجني الداني ١٨١، والمغني ١٣/١.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ١٤٩/١.

(٣) انظر: التعليقة ٤٠/١-٤١.

(٤) انظر: شرح كتاب سيبويه للرماني ٨٠/١.

(٥) انظر: تنقيح الألباب ١٢/أ.

(٦) انظر: شرح الكتاب للصفار ٣٢٩-٣٣٠.

حيث قالوا في تخفيفها: (خَطِيئَة) - هو أُمَّها مدَّة منفصلة جاءت لمعنى، وهو الاسميَّة، فهي تتحمَّل الحركة، كما في نحو: (اخشَيْنَ).

فقول سيبويه: "وواو (اضْرِبُوا) و(اتَّبِعُوا) هي لمعنى الأسماء، وليس بمنزلة الياء في (خَطِيئَة) تكون في الكلمة لغير معنى" دليل على أنه يرى اسميَّتها.

والآخر: قوله في باب ما يُضَمُّ من السواكن: "وأَمَّا الياء التي هي علامة الإضمار وقبلها حرف مفتوح فهي مكسورة في ألف الوصل، وذلك اخشي الرجل، للمرأة".

وهذا أوضح من سالفه، وهو نصُّ في أنه يعدُّها اسماً لا حرفاً. فمما تقدَّم يظهر أنَّ سيبويه يعدُّ ياء المخاطبة اسماً، وأنَّ قوله: "وكذلك إذا أحقت التأنيث في المخاطبة" هو من باب التجوُّز والتسامح، ومما يُؤكِّد رأي سيبويه ويجليه أيضاً:

- قوله: "وقد دعاهم حذف ياء (يقضي) إلى أن حذف ناس كثير من قيس وأسد (الياء) و(الواو) اللتين هما علامة المضمر، ولم تكثر واحدة منهما في الحذف ككثرة ياء (يقضي)؛ لأنَّهما تحيثان لمعنى الأسماء، وليستا حرفين بُنيَا على ما قبلهما"^(١).

- وقوله: "وأَمَّا (الهاء) فلا تُحذف من قولك:

..... شَيْ طَرَائِقُهُ

(١) بولاق ٣٠١/٢، وهارون ٢١١/٤.

(٢) بيت من الطويل، تمامه:

وَلِلْمَرْءِ يَبْلُوهُ بِمَا شَاءَ خَالِقُهُ

يَا عَجَباً لِلدَّهْرِ

لأنَّ الهاء ليست من حروف اللين والمد، فإِثْمًا جعلوا (الياء) وهي اسم مثلها زائدة^(١).

فهذان النِّصَانِ يُؤَكِّدَانِ بِجَلَاءِ أَنَّ سَبَبِيهِ يَرَى أَنَّ يَاءَ الْمُخَاطَبَةِ ضَمِيرٌ لَا عِلْمَةٌ تَأْنِيثُ.

٤- تفسير قول سيبويه: (واعلم أنَّ ما ضارع الفعل...)

قال سيبويه: "واعلم أنَّ ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أُجْرِي لفظه مُجْرَى ما يستقلون ومنعوه ما يكون لما يستخفون، وذلك نحو: أبيض وأسود وأحمر وأصفر، فهذا بناء أذْهَبُ وَأَعْلَمُ فيكون في موضع الجَرِّ مفتوحاً، استقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء..."^(٢).

قال أبو نصر: "إذا اجتمع في الاسم ما ذكرت لك مع كينونته على بناء الفعل الذي أوله إحدى الزوائد الأربع - الهمزة والياء والتاء والنون - اللواتي يكون بهنَّ موافقاً له في البناء، وكان صفة مثل الفعل لم ينصرف في معرفة ولا نكرة.

وأعني بقولي: (مثل الفعل)، ألا تلحقه في آخره علامة التأنيث كما لا تلحق الفعل، ألا ترى أنك تقول: (هذا ثوب أحمر) و(ملحفة حمراء)، ولا تقول: (أحمر)، كما تقول: (هذا رجل يذهب) و(امرأة تذهب)، ولا تقول: (يذهب).

وهو للراعي النميري في ديوانه ١٨٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٦٢، والمحكم ٦/٢٧٣، واللسان (طرق)

١٠/٢٢١، والتاج (طرق) ٢٦/٨٤.

(١) بولاق ٢/٣٠٢، وهارون ٤/٢١٣.

(٢) بولاق ١/٦، وهارون ١/٢١.

وبيان ما ذكرناه قوله _أي: سيبويه-: "والذي منعه أن ينصرف في النكرة أنه على مثال الفعل، وهو صفة مثله"^(١)، ولذلك تصرف (أرمل) و(أربع) في النكرة، ولذلك قالوا: (أرمل)، ولم يقولوا: (أحامر) ما دام صفة، فإذا كان (أحمر) اسماً علماً امتنع من الصرف من أجل أنه على بناء الفعل المضارع وأنه معرفة"^(٢).

● المناقشة:

منع بناء (أفعل) الصفة الذي مؤنثه (فعلاء) من الصرف عائد الأمرين؛ أحدهما: موافقة بنائه بناء الفعل المضارع. والآخر: مضارعتة ومشاجمته إياه أيضاً.

ومضارعتة الفعل المضارع من ثلاثة أوجه، اثنين أشار إليهما سيبويه وأبو نصر وجماعة من شراح الكتاب^(٣)، وواحد لم أقف عليه إلا عند أبي نصر. أمّا الوجهان الأولان فهما:

١. أنَّ الفعل لا يكون إلا بفاعل، والنعت لا يكون غالباً إلا بمنعوت.

٢. أنه يُوصَف به كما يُوصَف بالفعل.

(١) هذا النصُّ لم يرد في المطبوع من نسخة بولاق ولا هارون، وجاء في نسخة ابن يبي ٦/أ، وابن دادى ٦/ب.

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ٣١-٣٢.

(٣) انظر: بولاق ٦/١، وهارون ٢١/١، وشرح الكتاب للسيراي ١٦٤/١-١٦٥، وشرح الكتاب للرماني ٨٣/١، وشرح عيون كتاب سيبويه ٣١-٣٢، وتنقيح الألباب ١٤/أ-ب، وحواشي كتاب سيبويه ٨٥/١.

وأما الوجه الذي زاده أبو نصر فهو أنه لا تلحق آخره تاء التأنيث كما لا تلحق الفعل، فلا يقال في (أحمر): (أحمره)، وإنما (حمره)، كما لا يقال في (امرأة تذهب): (يذهبه).

وقد ذكر أبو نصر أنه إذا توفّر في هذا البناء الشرطان المتقدمان فإنه يُمنع من الصرف مطلقاً سواء أكان معرفة أم نكرة، أمّا في حال التنكير، فلموافقته الفعل في البناء وكونه صفة كالفعل، وأمّا في حال التعريف، فللعلمية وكونه على وزن الفعل، واستدلّ على ذلك بقول سيبويه: "والذي منعه أن ينصرف في النكرة أنه على مثال الفعل، وهو صفة مثله".

ثمّ أكّد هذا الفهم بالتفريق بين (أفعل) إذا كان اسماً و(أفعل) إذا كان صفة في حال التنكير، فذكر أنّ الأوّل يُصَرَّف؛ لأنّه ليس فيه إلا موافقة الفعل في البناء، وأنّ الثاني يُمنع من الصرف؛ للعتين السابقتين، وألمح ببراعة إلى أنّ ممّا يدلّ على مراعاة الوصفية في الثاني دون الأوّل امتناع جمعه على (أفاعل)؛ لأنّه لا يُجمَع عليه إلا ما كان اسماً، ألا ترى أنّهم قالوا في (أرمل): (أرامل)؛ لما كان اسماً، ولم يقولوا ذلك في (أحمر) ما دام صفة^(١).

وما قرّره أبو نصر وذكره هو ما نصّه عليه الزجاج^(٢) والسيراfi^(٣) وابن خروف^(٤).

(١) انظر: الكتاب ٣/٣٩٨، ٤٠٤، والمقتضب ٢/٢١٦-٢١٧، والأصول ٢/٤٢١، وشرح الشافية

لابن الحاجب ٢/٥٧٨-٥٧٩، وشرح الشافية للرضي ١/٣١٢-٣١٣.

(٢) انظر: حواشي كتاب سيبويه ٨٥/١.

(٣) انظر: شرح الكتاب للسيراfi ١/١٦٤-١٦٥.

(٤) انظر: تنقيح الألباب ١٤/ب.

وذهب الصقار إلى أن سيبويه يقصد أن ما كان على (أفعل) وهو صفة ثم سمي به، ثم نُكِّر بعد التسمية فإنه بعد التنكير يُمنع من الصرف لعلتين: الأولى: كونه على بناء الفعل.

الثانية: شبهه بأصله قبل التسمية به في كونه نكرة.

وفي هذا يقول: "ثم قال: "والذي منعه أن ينصرف في النكرة أنه على مثال الفعل "أبي: على وزنه. وقوله: "وهو صفة مثله"؛ أي: وأفعل الصفة مثل هذا المنكر في أنه اسم نكرة، كما أن المنكر بعد التسمية كذلك، فلما أشبه أصله حُكِم له بحُكمه" (١)

وفي كلامه نظر؛ إذ ليس في كلام سيبويه في هذا الموضوع ما يدل على ما ذكر، وغاية الأمر أن سيبويه قصد الموازنة بين ما يكون على (أفعل) وهو صفة، ك(أحمر) وبين ما يكون على (أفعل) وهو اسم، ك(أفكل)، يقول سيبويه: "فإن كان اسماً كان أخفَّ عليهم، وذلك نحو: (أفكل) و(أكلب) ينصرفان في النكرة. ومضارعة (أفعل) الذي يكون صفة للفعل أنه يكون وهو اسم صفة كما يكون الفعل صفة، [فالذي منعه أن ينصرف في النكرة أنه على مثال الفعل وهو صفة مثله]" (٢).

ثم إن سيبويه لو أراد التنكير بعد التسمية - كما فهم الصفار - لصرَّح بذلك كما صنع عند حديثه عن هذه المسألة في باب ما ينصرف وما لا ينصرف؛ إذ

(١) شرح الكتاب للصفار ١/٣٤٣.

(٢) انظر: بولاق ٦/١، وهارون ١/٢١-٢٢. وما بين المعقوفين ليس فيهما، وسبق الإشارة إلى ذلك.

قال: "فإن قلت: فما بالك تصرف (يزيد) في النكرة، وإنما منعك من صرف (أحمر) في النكرة وهو اسم أنه ضارع الفعل؟
 ف(أحمر) إذا كان صفةً بمنزلة الفعل قبل أن يكون اسماً فإذا كان اسماً ثم جعلته نكرة فإثماً صيرته إلى حاله إذ كان صفة"^(١).

٥- تفسير قول سيبويه: (رأيت القوم حتى عبد الله)

قال سيبويه: "وتقول: (رأيتُ القومَ حتى عبدَ الله^(٢)) وتسكت، فإثماً معناه أنك قد رأيت عبدَ الله مع القوم كما كان: (رأيتُ القومَ وعبدَ الله) على ذلك"^(٣).

قال أبو نصر: "قوله: (ورأيتُ القومَ حتى عبدَ الله)، فإثماً معناه أنك قد رأيت عبدَ الله مع القوم كما كان: (رأيتُ القومَ وعبدَ الله)".
 يعني: أن (عبد الله) - في قولك: (رأيتُ القومَ حتى عبدَ الله) - مرثيٌّ كالقوم، وإن كان مخفوضاً، إلا أنه لا يكون منصوباً؛ لأنَّ (حتى) إذا كانت غاية في الأسماء فإثماً هي حرف من حروف الجرِّ، كما أنك إذا قلت: (رأيتُ القومَ مع عبدِ الله)، ف(عبد الله) مرثيٌّ مع القوم، لا يجوز نصبه، وقد أوضح ذلك بقوله: "إلا أنك تجرُّ بها إذا كانت غاية"^(٤).

(١) بولاق ٤/٢، وهارون ١٩٨/٣.

(٢) ضُبطت (الدال) من (عبد) بالكسر في نسخة ابن دادى ٢٥/أ، وكتاب أبي نصر، وضُبطت بالفتح في كثير من النسخ، كنسخة ابن ييقى ١٨/أ، والكندي ١٠/ب، وابن خروف ٥/ب، ونور ٢٣/أ، وإسماعيل ٢٢/ب، وعليها جاءت طبعنا بولاق وهارون.

(٣) بولاق ٤٩/١، وهارون ٩٦/١.

(٤) بولاق ٥٠/١، وهارون ٩٦/١.

وأوضح من هذا ممّا لا حيلة لمعترض فيه قوله في باب (حتى): "واعلم أنّ ما بعد (حتى) لا يَشْرِكُ الفعل الذي قبل (حتى) في موضعه كَشْرِكَةِ الفعل الآخر الأوّل إذا قلت: (لم أجيء فأقل)، ولو كان ذلك لاستحال: (كان سيرى أمس شديداً حتى أدخل)"^(١)^(٢).

• المناقشة:

اختلفت نسخ الكتاب في ضبط الدال من (عبد) في المثال المذكور آنفاً على وجهين:

الأوّل: فتحها، وذلك في أكثر نسخ الكتاب، وعليه جاءت طبعنا بولاق وهارون.

الثاني: كسرهما، وذلك في نسخة ابن دادي، وهي نسخة منقولة عن نسخة في أوائل القرن الرابع على طرّتها إجازة أبي علي الفارسي. وهكذا ضُبِطت عند أبي نصر في كتابه.

وبناء على ذلك اختلف الشرح في تفسير كلام سيبويه السابق ومراده على ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّ (حتى) في كلامه غائبة جازة، وأنّ (عبد الله) وإن جرته فالرؤية واقعة عليه مع (القوم)، فما بعد (حتى) داخل في حكم ما قبلها من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، كما كان الحال في (مع) في نحو قولك: رأيت القوم مع عبد الله.

(١) بولاق ٤١٥/١، وهارون ٢٣/٣.

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ٧١-٧٢.

وهو تفسير أبي نصر، واستدلَّ على ذلك بنصِّين لسيبويه:
أحدهما: قوله في الموضوع نفسه بعد المثال: "إلا أتَّك تجرُّ بها إذا كانت
غاية".

والآخر: قوله في موضع آخر من الكتاب، وهو باب (حتَّى): "واعلم أنَّ
ما بعد (حتَّى) لا يَشْرِك الفعل الذي قبل (حتَّى) في موضعه كشركة الفعل الآخر
الأوَّل إذا قلت: (لم أجيء فأقلن)، ولو كان ذلك لاستحال: (كان سيرى أمس
شديداً حتَّى أدخل)".

فِيْفَهُم من استدلاله بهذا النصِّ أنَّ (حتى) لا تُشْرِك ما بعدها في حكم ما
قبلها كما تُشْرِك حروف العطف ما بعدها فيما قبلها.
والذي يظهر من استدلال أبي نصر الأخير أنَّه يرى أنَّ سيبويه لا يُجيز
مجيئها عاطفة.

الثاني: أنَّها عاطفة وما بعدها منصوب، وأنَّ المراد أنَّ ما بعدها يشترك مع
ما قبلها من جهتي المعنى واللفظ، وهو تفسير الصفار، يقول في شرحه هذا
النص: "وقوله: "رأيت القوم حتى عبد الله" ليس هذا من الاشتغال، إمَّا هو
من العطف، وإمَّا يريد أنَّها إمَّا كان فيها ما كان في (الواو) و(الفاء) و(ثم)؛
لأنَّها تكون في موضع آخر بمنزلة هذه الحروف المختصَّة بالعطف، ولهذا قال:
"فإنَّما معناه أنَّك رأيت عبد الله مع القوم"، فهذا تشريك بينهما من جهة المعنى،
وتشريك اللفظ بيِّن" (١).

(١) انظر: شرح الكتاب للصفار (ت: عزيزة): ٣٧٣.

الثالث: جواز الوجهين، وهو ظاهر كلام السيرافي؛ إذ قال معلّقاً على نص سيبويه السابق: "يعني: أنّك إذا قلت: (رأيت القوم حتى عبد الله)، فمعنى (حتى) وإن خفضت ما بعدها كمعناها إذا نصبت ما بعدها، وذلك أنّ قولك: (رأيت القوم حتى عبد الله) فمعناه: رأيت القوم واحداً واحداً إلى أن انتهيت برؤيتي إلى عبد الله، ف(عبد الله) داخل في الرؤية، والخفض فيه بمعنى (إلى)، وإذا قلت: (رأيت القوم حتى عبد الله)، ف(حتى) بمعنى (الواو)، وهي بمنزلة قولك: (رأيت القوم مع عبد الله) و(رأيت القوم وعبد الله)، والمعنى فيهما واحد" (١).

والذي يظهر لي ممّا تقدّم أنّ الأقرب هو أنّ سيبويه أورد المثال بنصب (عبد الله)، وأنّ (حتى) عاطفة، ويقوّي ذلك أمور:

١- الظاهر أنّ قول سيبويه: "إلا أنّك تجرُّ بما إذا كانت غاية والمجرور مفعول" الذي استدللّ به أبو نصر لا يقطع بوجوب الجرّ في المثال موضع الخلاف، وإنّما أراد به سيبويه الاستدراك والتنبيه على أنّ (حتى) تكون جازّة إذا كانت للغاية، وأيضاً فإنّ الأقرب أنّ سيبويه أراد به التمثيل على العطف ب(حتى) دون اشتغال، والأمثلة التي تقدّمت هذا المثال فيها اشتغال، فإنّه ذكر قبل هذا المثال قوله: "وممّا يُختار فيه النصب لنصب الأوّل، ويكون الحرف الذي بين الأوّل والآخر بمنزلة (الواو) و(الفاء) و(ثمّ) قولك: (لقيت القوم كلّهم حتى عبد الله لقيته)

(١) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤٠١/١.

و(ضربتُ القومَ حتَّى زِيداً ضربتُ أباه) و(أتيتُ القومَ أجمعين حتَّى زِيداً مررتُ به) و(مررتُ بالقوم حتَّى زِيداً مررتُ به)، ف(حتَّى) تجري مجرى (الواو) و(ثمَّ)"^(١).
ومَّا يَقْوِي ذلك قوله بعد المثال في بعض النسخ: "وتَسَكَّت"^(٢).

٢- أنَّ قول سيبويه: "واعلم أنَّ ما بعد (حتَّى) لا يَشْرِك الفعل الذي قبل (حتَّى) في موضعه... لا يُفْهَم منه أنَّ (حتَّى) لا تأتي عاطفة مطلقاً، بل هو متعلِّق بحكم عطف الأفعال بها، ومَّا يدلُّ على هذا الفهم قول ابن خروف - معلِّقاً على هذا النصِّ -: "وقوله: "واعلم أنَّ ما بعد (حتَّى)... " يريد أنَّه لا يعطِف عليه عطفاً صحيحاً، مثل قوله: (لم أجئ فأقلن)، لا يجوز: (لم أجئ حتَّى أقلن)، وإمَّا هي حرف ابتداء، وتُشْرِك الثاني مع الأوَّل في الزمان، فيكون الثاني ماضياً كالأوَّل، ولا تعطِفُ الجمل ولا الفعل على الفعل"^(٣).

وظاهر نصِّ سيبويه منع عطف الأفعال بها، وهو المشهور من قول النحويين، فقد نصُّوا على أنَّ (حتَّى) لا تعطِفُ الجمل ولا الأفعال^(٤).

٣- اتِّفَاق جِلِّ نسخ الكتاب على ضبط الدال من (عبد الله) بالفتح.

٦- تفسير قول سيبويه: (وإن كان الأوَّل؛ لأنَّه في معنى الحديث مفعول)

(١) بولاق ٤٩/١، وهارون ٩٦/١.

(٢) بولاق ٤٩/١، وهارون ٩٦/١.

(٣) تنقيح الألباب ١٨٢/أ.

(٤) انظر: الارتشاف ٢٠٠٢/٤، والجنى الداني ٥٥١، والمغني ١٣٦/١، والهمع ١٨٢/٣.

قال سيويوه: "فإن قلت: إنما هو لنصب اللفظ، فلا تنصب بعد: (مررتُ بزيدٍ)، وانصب بعد: (إنَّ فيها زيداً)، وإن كان الأوَّل^(١)؛ لأنَّه في معنى الحديث مفعول، فلا ترفع بعد (عبد الله) إذا قلت: (عبدُ الله ضربتُه) إذا كان بعده: (وزيداً مررتُ به)"^(٢).

قال أبو نصر: "قوله: "وإن كان الأوَّلُ؛ لأنَّه في معنى الحديث مفعول". يعني: وإن كان الأوَّلُ مُوجِباً لنصب الاسم المعطوف الذي وقع الفعل على ضميره أو على شيء من سببه، فحذف الخبر لما في الكلام من الدليل عليه، واستدلَّه بما جرى قبل ذلك... وذلك أنَّه لما تقدَّم قوله: "فإن قلت: إنما هو لنصب اللفظ" كان فيه معنى فإن قلت: كان الأوَّلُ مُوجِباً للنصب أنَّ لفظه منصوب، فلذلك قال: "وإن كان الأوَّلُ"، وهو يريد وإن كان الأوَّلُ كذلك؛ لأنَّه في معنى الحديث مفعول، فاجتزأ بما تقدَّم"^(٣).

● المناقشة:

من مسائل الاشتغال التي أشار إليها سيويوه قولك: (قام زيدٌ وعمراً كلَّمته)، ورأى أنَّ الراجع فيها النصب؛ لأنَّ الجملة الأولى فعلية، ومتى كانت كذلك

(١) ضُبِطت اللام من (الأوَّل) بالفتح في كثير من النسخ، كنسخة ابن معاني ٣١/ب، وابن يبي (١٨/أ، والكندي ١٠/ب، ونور ٢٣/ب، وإسماعيل أفندي ٢٢/ب، وضُبِطت بالضَّم في بعض النسخ، كنسخة باريس (١) ٢٤/ب، والخزرجي ٩/ب، وابن دادي ٢٥/أ، وكتاب أبي نصر، وجاءت غفلاً بلا ضبط في بعض النسخ، كنسخة السعدي ١٠/ب، وراغب باشا ١٨/أ، ولاله لي ٢٠/أ، وعليها جاءت طبعتا بولاق وهارون.

(٢) بولاق ١/٥٠، وهارون ١/٩٧.

(٣) شرح عيون كتاب سيويوه ٧٢-٧٣.

فالاختيار في الأوّل من الجملة الثانية المعطوفة بالنصب؛ لمشاكله الجملة، سواء عمِلَ الفعلُ في الأولى النصب، نحو: (أكرمْتُ زيداً وعمراً كَلَّمْتُهُ) أم لم يعمل، نحو: (قام زيدٌ وعمراً كَلَّمْتُهُ)، ونحو: (مررتُ بزيدٍ وعمراً كَلَّمْتُهُ)^(١).
ثمَّ أورد سيبويه قوله: "فإن قلت: إنما هو لنصب... ذاكراً فيه افتراضين ونقضهما:

أحدهما: أنه ليس الاختيار في الاسم الثاني في نحو: (قام زيدٌ وعمراً كَلَّمْتُهُ) النصب؛ لأنَّه لا منصوب قبله.

وقد نقضه بأنَّه لو كان اختيار النصب في الثاني عائداً إلى نصب ما قبله لوجب ألا يُنصَبَ بعد: (مررتُ بزيد)، فلا يُقال: (مررتُ بزيدٍ وعمراً كَلَّمْتُهُ)، وليس عربيٌّ إلا وهو يُجرى (مررتُ بزيدٍ) مُجرى (لقيتُ زيداً)، ولوجب أن يُنصَبَ بعد قولك: (إنَّ فيها زيداً)، فيُقال: (إنَّ فيها زيداً وعمراً كَلَّمْتُهُ)، وهذا غير مختار^(٢).

والآخر: هو موضوع هذه المسألة، فأقول وبالله التوفيق:

اختلفت نسخ الكتاب في ضبط اللام من (الأوّل) في قول سيبويه: "وإن كان الأوّل" على النحو الآتي:

الأوّل: فتحها، وذلك في أكثر نسخ الكتاب كما سبق.

الثاني: ضمُّها، وذلك في بعض النسخ، وهكذا وردت عند أبي نصر في كتابه.

(١) بولاق ٤٨/١، وهارون ٩٢/١.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤٠٢/١.

الثالث: إغفال ضبطها، وذلك أيضاً في بعضها، وعليه جاءت طبعنا بولاق وهارون.

وهذا بيان توجيه الشرح هاتين الروايتين:

أولاً: رواية النصب:

فنصب (الأوّل) محمول على كونه خبر (كان) المحذوف اسمها، وكأنّ التقدير: وإن كان المُوَجِّبُ لنصب الاسم المعطوف الأوّل، وهذا ما ذكره الصفار^(١) وابن خروف^(٢).

ثانياً: رواية الرفع:

في توجيهها ثلاثة آراء:

الأوّل: أنّ (كان) ناقصة، وخبرها محذوف، والتقدير على هذا: وإن كان الأوّل مُوجِباً لنصب الاسم المعطوف، وهو قول أبي نصر.

واستدلّ على هذا التقدير بما أشعر به قول سيبويه المتقدّم: "فإن قلت: إنّما هو لنصب اللفظ؛ فإنّ فيه معنى: فإن قلت: كان الأوّل مُوجِباً للنصب أنّ لفظه منصوب، وعلى هذا حذف خبر (كان) اجتزاء بما تقدّم.

الثاني: أنّها ناقصة، وخبرها "لأنّّه في معنى الحديث مفعول"، وهو قول ابن خروف^(٣).

(١) انظر: شرح الكتاب للصفار (ت: عزيزة) ٣٧٦.

(٢) انظر: تنقيح الألباب ٥١/أ.

(٣) انظر: تنقيح الألباب ٥١/أ.

وَجَعَلَ الْخَبْرَ هُنَا نَظِيرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزَوَّلَ مِنْهُ الْحَبْلُ﴾^(١).

الثالث: أَنَّهَا تَامَّةٌ، و(الأوَّل) فاعلها، وهذا القول جَوَّزَهُ ابْنُ خُرُوفٍ^(٢).

والأقرب أَنَّ (كان) ناقصة وخبرها محذوف، وذلك لما يأتي:

١. أَنَّ الأَصْلَ فِي (كان) النقصان لا التمام.

٢. دلالة توجيهه رواية النصب على ذلك.

٣. استقامته مع المعنى العام الذي أراده سيبويه.

٤. أَنَّ الحذف لدليل كلاً حذف.

٥. أَنَّ عَدَّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَتَزَوَّلَ مِنْهُ الْحَبْلُ﴾ خبر (كان) ليس محلَّ اتِّفَاقٍ بَيْنِ

النحويين، فَإِنَّ البصريين يجعلون خبرها محذوفاً^(٣)، وهذا يقوِّي ما ذهب إليه

أبو نصر.

ومراد سيبويه على كلتا الروايتين واحد، وهو:

فَإِنْ قُلْتَ -على سبيل الافتراض-: إِنَّ الأَسْمَ الأَوَّلَ فِي نَحْوِ: (مررتُ بزيدٍ

وعمراً كَلَّمْتَهُ) هو المَوْجِبُ لِنَصْبِ الأَسْمِ المَعطُوفِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الحَدِيثِ

مفعول.

فالجواب: فَلِمَ رُفِعَ (زيد) فِي نَحْوِ: (عبدُ اللهَ ضربتهُ وزيدٌ مررتُ به) مع أَنَّ

(عبد الله) فِي المَعْنَى مفعول!؟

(١) إبراهيم ٤٦.

(٢) انظر: تنقيح الألباب ٥١/أ.

(٣) انظر: البحر المحيظ ٤٢٦/٥، والدر المصون ١٢٦/٧، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٢٠.

فلو كان معنى المفعولية مُراعى لَمَا رُفِع، ولكنَّه رُفِع؛ حملاً على (عبد الله)، لتكون الجملة الثانية مشاكلة للأولى في الابتداء.

فدلَّ هذا على أنَّ العرب لم تراعى معنى المفعولية في الاسم المتقدِّم، وإمَّا راعت المشاكلة بين الجملتين^(١).

٧- تفسير قول سيبويه: (لأنَّها حروف ضارعت بما بعدها ما بعد حروف الجزاء)

قال سيبويه: "لأنَّها حروف ضارعت بما بعدها ما بعد حروف الجزاء، وجوابها كجوابه، وقد يصير معنى حديثها إليه، وهي غير واجبة كالجزاء، فقبُح تقديم الاسم لهذا، ألا ترى أنَّك إذا قلت: (أين عبدُ الله آتِه)، فكأنَّك قلت: (حيثما يَكُنُّ آتِه)"^(٢).

قال أبو نصر: "قوله: لأنَّها حروف ضارعت بما بعدها ما بعد حروف الجزاء".

يعني: ضارعت العرب بما بعد حروف الاستفهام ما بعد حروف الجزاء، كما قال في باب الإدغام: "هذا باب الحرف الذي يُضَارِع به حرف من موضعه"^(٣) (٤).

(١) انظر: شرح الكتاب للسيبوي ٤٠٢/١، والتعليقة ١٢٦/١-١٢٧، والنكت ٢٢٨/١، وشرح الكتاب للصفار (ت: عزيزة) ٣٧٦، وتنقيح الألباب ٥٠/٥، وحواشي كتاب سيبويه ١٩٤/١-١٩٥.

(٢) بولاق ٥١/١، وهارون ٩٩/١.

(٣) بولاق ٤٦٢/٢، وهارون ٤٧٧/٤.

(٤) شرح عيون كتاب سيبويه ٧٣.

● المناقشة:

ذكر سيبويه في باب (ما يُجْتَنَرُ فيه النصب وليس قبله منصوب بُني على الفعل، وهو باب الاستفهام) أنَّ أدوات الاستفهام إذا وقع بعدها جملة مكوّنة من اسم وفعل فُؤِدِمَ الفعل، وَقَبِحَ تقديم الاسم إلا في الشعر، فلا يُقال: (هل زيداً ضربت؟) إلا ضرورة^(١)، ثُمَّ بَيَّنَّ علّة ذلك كما تقدّم.

وقد وضّح أبو نصر تعليل سيبويه بقوله: "يعني: ضارعت العرب بما بعد حروف الاستفهام ما بعد حروف الجزاء"، واستعان على توضيح عبارته بالاستدلال بعبارة أخرى استخدم فيها سيبويه المضارعة والمشابهة بين الحروف في الإدغام، وهي قوله: "هذا باب الحرف الذي يُضَارَعُ به حرف من موضعه". ومراد أبي نصر أنَّ أدوات الاستفهام تشابه أدوات الشرط في بعض الأمور كما تشابه بعض حروف الإدغام بعضها في المخرج والصفة.

ولم يُبين أبو نصر عن أوجه شبه أدوات الاستفهام بأدوات الجزاء التي أشار إليها سيبويه في حديثه، وذكرها بعض الشراح^(٢)، يقول الصقّار: "وإنّما قدموا الفعل؛ لأنّ هذه الحروف بالفعل أولى من جهة شبهها بأدوات الشرط في أنّها غير واجبة، ألا ترى أنّك إذا قلت: (أزيدُ قام؟) لم تُثبِتْ شيئاً، كما أنّك إذا

(١) بولاق ٥١/١، وهارون ٩٨/١-٩٩.

(٢) شرح الكتاب للسيرافي ٤٠٨/١، والنكت ٢٣٠/١، وتفتيح الألباب ٥٠/ب، وحواشي كتاب

سيبويه ١٩٦/١-١٩٧.

قلت: (إن قام زيد قمث) فأنت لم تُثبت شيئاً، وأيضاً فإنها قد يُجازى بها، فتكون بمنزلة أدوات الجزاء، فتقول: (أين بيئتك أزرِك)"^(١).

٨- تفسير قول سيبويه:

(هذا باب يُضمرُ فيه الفعل وينتصب فيه الاسم؛ لأنَّه مفعول معه ومفعول به)

قال سيبويه: "باب ما يظهر^(٢) فيه الفعل وينتصب فيه الاسم؛ لأنَّه مفعول معه ومفعول به، كما انتصب (نفسه) في قولك: (امراً ونفسه). وذلك قولك: (ما صنعت وأباك)، و(لو تركت الناقةً وفصيلها لرضعها)، إنما أردت: ما صنعت مع أبيك، ولو تركت الناقةً مع فصيلها، ف(الفصيل) مفعولٌ معه، و(الأب) كذلك، و(الواو) لم تُعَيِّر المعنى، ولكنها تُعملُ في الاسم ما قبلها"^(٣). قال أبو نصر: "فقوله: "هذا باب يُضمرُ فيه الفعل وينتصب فيه الاسم؛ لأنَّه مفعول معه ومفعول به، كما انتصب (نفسه) في قولك: (امراً ونفسه). وذلك قولك: (ما صنعت وأباك) محمول على (امراً ونفسه). فإذا كانت (الواو) بمعنى (مع) عمل الفعل الظاهر في (ما) وفي (الأب)، وليست الترجمة بالإضمار على هذا، ولكنها على أنه أراد: هذا باب ما قد يضمُر فيه الفعل للمعطوف

(١) شرح الكتاب للصفار (ت: عزيزة) ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) لفظ (يظهر) جاء في كثير من نسخ الكتاب، كنسخة ابن معاني ٩٨/ب، والكندي ٢٣/ب، وابن خروف ٢٦/ب، ونور ٧٢/ب، وإسماعيل أفندي ٦٦/ب، وعليه جاءت طبعنا بولاق ١٥٠/١، وهارون ٢٩٧/١، وجاء (يُضمر) بدلاً منه في بعض النسخ، كنسخة ابن بيقى ٤٤/ب، وبايزيد ٣٩/ب، وباريس (٢) ٤٣/أ، والساسي ٣٧/ب، وحافظ أحمد ٦١/ب، وكتاب أبي نصر.

(٣) بولاق ١٥٠/١، وهارون ٢٩٧/١.

خاصّة، ولا يجوز إظهاره، ويدلُّ على الإضمار قوله: (رأسك يا فلان)، فإن شئت أظهرت الفعل، فقلت: اتق رأسك، وإن شئت أضمرت، فإذا ثبتت فقلت: (رأسك والحائط) لم يجز إظهار الفعل، فكذلك لما كانت الواو في (ما صنعت وأباك) للعطف ولم تكن بمعنى (مع) لم يجز إظهار الفعل الذي بعدها... وبيّن ما ذكرناه قوله: "ومثله: (أنت أعلم ومالك)، فإنما أردت: أنت أعلم مع مالك، و(أنت أعلم وعبد الله)؛ أي: أنت أعلم مع عبد الله..."^(١) فكذلك (ما صنعت وأباك) يصير على أيّ الوجهين وجّهته على (صنعت)، ويكون التقدير: ما صنعت وما صنعت وأباك، فلمّا حذفوا الواو التي بمعنى (مع) وأبقوا (واو) العطف حذفوا الفعل معها وأضمره، وصار فعلاً متروكاً إظهاره"^(٢).

● المناقشة:

اختلفت نسخ الكتاب في إيراد ترجمة هذا الباب على روايتين:
الأولى: هذا باب ما يظهر فيه الفعل وينتصب فيه الاسم، وذلك في أكثر نسخ الكتاب.
الثانية: هذا باب ما يُضمرُّ فيه الفعل وينتصب فيه الاسم، وذلك في بعض النسخ، وهكذا وردت عند أبي نصر في كتابه.

(١) بولاق ١/١٥١، وهارون ١/٣٠٠.

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ١١٩-١٢١.

أمّا الرواية الأولى، فقد أخذ بها بعض الشّرايح، كالسيرافي^(١)، والأعلم^(٢)، وابن خروف^(٣).

ورأوا أنّ مراد سيبويه هو انتصاب الاسم الذي بعد (الواو) التي بمعنى (مع) في نحو: (ما صنعتَ وأباك) بالفعل الظاهر المتقدّم، يقول أبو سعيد: "ومذهبه -يعني: سيبويه- أنّك إذا قلت: (ما صنعتَ وأباك) أنّ (الأب) منصوب بـ(صنعتَ)، وكذلك (فصيلها) منصوب بـ(تُرِكتَ)، وكان الأصل فيهما: ما صنعتَ مع أبيك، ولو تُرِكتَ الناقئة مع فصيلها، ومعنى (مع) و(الواو) يتقاربان؛ لأنّ معنى (مع) الاجتماع والانضمام، و(الواو) تجمع ما قبلها مع ما بعدها وتضمُّه إليه، فأقاموا (الواو) مقام (مع)؛ لأنّها أخفُّ في اللفظ، و(الواو) حرف لا يقع عليه الفعل ولا يعمل في موضعه، فجعلوا الإعراب الذي كان في (مع) من النصب في الاسم الذي بعد (الواو) لمّا لم تكن (الواو) معربة ولا في موضع معرب"^(٤).

وأما الرواية الثانية، فقد مال إليها أبو نصر، ورأى أنّ المراد إضمار الفعل للمعطوف خاصّة إذا لم تكن (الواو) بمعنى (مع)، وأنّ هذا الفعل المضمّر لا يجوز إظهاره.

(١) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢/١٩٤-١٩٦.

(٢) انظر: النكت ١/٣٥٩-٣٦١.

(٣) انظر: تنقيح الألباب ١٠٦/ب-١٠٧.أ.

(٤) شرح الكتاب للسيرافي ٢/١٩٥.

واستدلَّ على ما ذهب إليه بنصِّين من الكتاب:

الأوَّل: قول سيبويه في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه: "ومن ذلك: (رأسه والحائط)، كأنه قال: خلِّ أو دَع رأسه والحائط... وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنَّوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأوَّل بدلاً من اللفظ بالفعل حين صار عندهم مثل: (إيَّاك)، ولم يكن مثل: (إيَّاك) لو أفردته؛ لأنَّه لم يكثر في كلامهم... فلو قلت: (نفسك) أو (رأسك) أو (الجدار) كان إظهار الفعل جائزاً، نحو قولك: (أتقِ رأسك) و(احفظ نفسك) و(أتقِ الجدار)"^(١).

فكما لم يجوز إظهار الفعل في نحو: (رأسه والحائط) لما عطف وتثبت - لأنَّه في الكلام أكثر من (رأسه) - كذلك لم يجوز إظهار الفعل في نحو: (ما صنعت وأباك) إذا لم تكن (الواو) بمعنى (مع)، وصار الفعل الأوَّل الظاهر - وهو (صنعت) - بدلاً من اللفظ بالفعل الآخر المضمَر كما صار المفعول الأوَّل في قولك: (رأسه والحائط) بدلاً من اللفظ بالفعل.

الثاني: قوله في باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأوَّل: "ومثله: (أنت أعلم ومالك)، فإنَّما أردت: أنت أعلم مع مالك، و(أنت أعلم وعبدُ الله)؛ أي: أنت أعلم مع عبد الله، وإن شئت كان على الوجه الآخر، كأنك قلت: أنت وعبدُ الله أعلم من غيركما. فإن قلت: (أنت أعلم وعبدُ الله) في الوجه الآخر

(١) بولاق ١٣٨/١-١٣٩، وهارون ٢٧٤/١-٢٧٥.

فإنَّها أيضاً تُعْمَلُ فيما بعدها الابتداء كما أعملت في (ما صنعت وأخاك) (صنعت)، فعلى أيِّ الوجهين وجَّهته صار على المبتدأ^(١).

ووجه الاستدلال بهذا النصِّ أنَّه يجوز لك في نحو: (أنت أعلمُ وعبدُ الله) أن تجعل (الواو) بمعنى (مع)، فيكون المعنى: أنت أعلمُ مع عبدِ الله، وأن تجعلها عاطفة، فيكون المعنى: أنت أعلمُ وعبدُ الله أعلمُ من غيركما، وعلى كلا الوجهين فما بعد (الواو) مبتدأ، وكذلك الشأن في (ما صنعت وأباك) فعلى أيِّ الوجهين وجَّهته كان على (صنعت)، ويكون التقدير على الوجه الثاني: ما صنعت وما صنعت وأباك، فلمَّا جعلوا (الواو) عاطفة حذفوا الفعل وأضمره، وصار فعلاً متروك الإظهار.

والذي يظهر أن كلا الروائين له ما يعضده ويقويه، فمما يقوي الرواية الأولى أن حديث سيبويه وأمثله في الباب كَلِّه عن المفعول معه، ولم يتعرَّض إلى الإضمار ولم يذكره إلا في ترجمة الباب.

وأما رواية الإضمار ففيها دلالة على الوجه الأخرى الذي لم يظهر إلا في الترجمة، وأشار إليه سيبويه بقوله: "كما انتصب (نفسه) في قولك: (امراً ونفسه)"، وبالرجوع إلى الحديث عن هذا المثال نجد أن سيبويه أشار إلى الإضمار فيه بقوله: "ومن ذلك: (امراً ونفسه)، كأنه قال: دَعَّ امراً مع نفسه، فصارت (الواو) في معنى (مع) كما صارت في معنى (مع) في قولهم: (ما صنعت

(١) بولاق ١/١٥١، وهارون ١/٣٠٠.

وأحاك)، وإن شئت لم يكن فيه ذلك المعنى، فهو عربيٌّ جيّد، كأنّه قال: ...
دَعَّ امرأً ودَعَّ نفسه" (١).

ومأ يقوي -أيضاً- رواية الإضمار أنّ الزجاج يحمل (أباك) في نحو: (ما
صنعت وأباك) على إضمار الفعل (٢).

٩- تفسير قول سيبويه: (لا تُحمَلُ صفة الاثنين على الواحد...)

قال سيبويه: "وقال:

أَمِنْ عَمَلِ الْجَرَافِ أَمْسٍ وَظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ أَعْتَبْتُمُونَا بِرَاسِمِ
أَمِيرِي عَدَاءٍ إِنْ حَبَسْنَا بِهَائِمِ مَالٍ أَوْ دِيَا

نصبهما على الشتم؛ لأنك إن حملت (الأميرين) على (الإعتاب) كان
محالاً؛ وذلك لأنه لا تُحمَلُ صفةُ الاثنين على الواحد، ولا يُحمَلُ الذي جرَّ
(الإعتاب) على الذي جرَّ (الظلم)، فلمَّا اختلف الجرَّان واختلطت الصفتان
صار بمنزلة قولك: (فيها رجلٌ وقد أتاني آخرٌ كريمين)" (٤).

(١) بولاق ١/١٣٨، وهارون ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسرياني ٢/١٩٦، والنكت ١/٣٦٠، وشرح عيون كتاب سيبويه ١٢١-
١٢٢.

(٣) بيتان من الطويل، وهما لعبد الرحمن بن جُهيم في شرح أبيات سيبويه ١/٤٣٦-٤٣٧، والأوّل
منهما له في خزانة الأدب ٢/١٩٥-١٩٦، وهما بلا نسبة في شرح الكتاب للسرياني ٢/٤٧٨،
وشرح الكتاب للرماني ٣/١١١٩، وتحصيل عين الذهب ١/٢٩٢، وتنقيح الألباب ٢٠٩/أ.
الجرّاف وراسم: عاملان للسلطان على الصدقات. أعتبتمونا: أرضيتمونا. العداء: الظلم والتعدّي. بهائم
المال: الإبل. أودى بالشيء: ذهب به. انظر: تحصيل عين الذهب ١/٢٩٢.

(٤) بولاق ١/٢٨٨، وهارون ٢/١٥٠-١٥١.

قال أبو نصر: "يعني: أن (راسماً) أُضيف إليه (الإعتاب) بالباء، و(الهاء) التي هي ضمير (الجَرَاف) مضاف إليها (الظلم)، ف(الظلم) جازٌّ للهاء، و(الإعتاب) جازٌّ ل(راسم)، فلا يُحْمَلُ الذي جَرَّ (الإعتابُ) على الذي جَرَّ (الظلم) - أعني: أنَّ المضمَر الذي أُضيف إليه (الظلم) هو (الجَرَاف)، فلذلك لم يحمل (الأميرين) عليهما؛ أي: لا ينجران بهما؛ لاختلاف الجَرِّين، ولا ينجران بـ(الإعتاب)؛ لأنَّك لا تَحْمِلُ صفة الاثنين على الواحد، وإِثْمًا يعني بقوله: "الذي جَرَّ الظلم": على الذي جَرَّ (العمل)؛ لأنَّه مع فساده قد قال: إنَّ المضمَر والمظهر معاً لا يُوصَفان بصفة ظاهرة، لا تقول: (مررت به وبزيد الكرهمين) على الصفة^(١) (٢).

● المناقشة:

ذكر سيبويه أنَّ (أميري عَداء) في قول الشاعر المتقدِّم يجب نصبه على الذمِّ، ويتعَدَّر جعله وصفاً للضمير العائد على (الجَرَافِ)، و(راسم) معاً أو لأحدهما، وعلَّل ذلك.

وقد فسَّر أبو نصر تعليل سيبويه ووضَّحه، فذكر أنَّ امتناع جعله وصفاً للضمير و(راسم) عائد إلى اختلاف العامل فيهما، ف(الهاء) في (ظلمه) مجرور بالإضافة، و(راسم) مجرور بالباء، وهما متعلِّقان بـ(أعتبتمونا)، وجعل (أميري عَداء) صفة لهما يُوجب عمل عاملين في معمول واحد.

(١) كذا في شرح أبي نصر، وفي بولاق ٣٩٣/١: "واعلم أنَّه قبيح أن تقول: مررتُ به وبزيدِهما، كما قُبِحَ أن تُشْرِكَ المظهر والمضمَر فيما يكون وصفاً للمظهر، ألا ترى أنَّه قبيح أن تقول: (مررتُ بزيدِ وبه الطويلين)".

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ١٤٨-١٤٩.

وأما امتناع جعله وصفاً لأحدهما فسيبه أن ذلك يُؤدِّي إلى جعل المثني وصفاً للواحد.

ثمَّ أكَّد فساد الوجه الأوَّل -أيضاً- بالاستدلال بكلام آخر لسيبويه ذكر فيه علَّة أخرى لامتناعه، وهو قوله في باب (هذا باب ما تكون فيه (أنت) و(أنا) و(نحن) و(هو) و(هي) و(هم) و(هنَّ) و(أنتنَّ) و(هما) و(أنتما) و(أنتم) و(صفاء): "واعلم أنه قبيح أن تقول: مررتُ به وبزيدِهما، كما قبيح أن تُشركَ المظهر والمضمر فيما يكون وصفاً للمظهر، ألا ترى أنه قبيح أن تقول: (مررتُ بزيدٍ وبه الطويلين)".

فالقول بأنَّ (أميري عداء) وصفاً لضمير (الجِراف)، و(راسم) يُؤدِّي - إضافة إلى ما تقدَّم- إلى وصف الضمير والاسم الظاهر بصفة ظاهرة، وهذا قبيح كما ذكر سيبويه.

وهذا التأكيد الذي أشار إليه أبو نصر لم أقف عليه عند غيره من الشراح، وقد وافقه جماعة منهم في تفسير وجه امتناع الأمرين السابقين، إلا أنَّ بعضهم أضاف إلى امتناع نصب (أميري عداء) على الوصف امتناع نصبه على البدلية أو الحالِيَّة؛ لما تقدَّم أيضاً^(١).

(١) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤٧٨/٢، وشرح الكتاب للرماني ١١١٩/٣، وشرح أبيات سيبويه ٤٣٧/١، وتحصيل عين الذهب ٢٩٢/١، والنكت ٥٢١/١، وشرح الكتاب للصفار ٣٦/ب، وتنقيح الألباب ٢٠٩/أ.

١٠ - تفسير سؤال سيويه الخليل عن قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾

قال سيويه: "وسألت الخليل عن قوله جلّ ذكره: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾^(١)، فقال: إنّما هو على حذف اللام، كأنه قال: ولأنّ هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاتقون"^(٢).

قال أبو نصر: "التقدير -والله أعلم- فاتقوني لأنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم، فأوصل الفعل إلى (أنّ) حين حذف اللام من (لأنّ).
فإن قال قائل: كيف وصل الفعل إلى (أنّ)، وهو متقدّم قبل الفعل الذي معه (الفاء)، وأنت لا تقول: زيداً فضربت؟

قيل: إنّما جاز ذلك في الأمر؛ لما فيه من معنى الجزاء، فقولك: (زيداً فاضرب) إنّما معناه: مهما يكن من شيء فاضرب زيداً، وإن شئت فزيداً اضرب، ولذلك تقول: (بزيدٍ فامرؤ)، فتوصل الفعل الذي بعد الفاء إلى (زيد) بالباء.

(١) المؤمنون: ٥٢.

فتح همزة (أنّ) مع تشديد النون قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع، وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة وتخفيف النون، وقرأ البقية بكسر الهمزة وتشديد النون. انظر: السبعة ٤٤٦، والحجة للقراء السبعة ٢٩٦/٥-٢٩٧، وحجة القراءات ٤٨٨.

(٢) بولاق ٤٦٤/١، وهارون ١٢٦/٣-١٢٧.

وقد مثل سيبويه (إِيَّاكَ وَالْأَسَدَ)، فقال: "كَأَنَّهُ قَالَ: إِيَّاكَ فَاتَّقِيَنَّ
وَالْأَسَدَ" (١) (٢).

● المناقشة:

لشرح الكتاب في توجيه قراءة فتح همزة (أَنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّها منصوبة بفعل محذوف، يفسّره (عليم) من قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣)، والتقدير على هذا: واعلموا أنّ هذه أمتكم أمة واحدة، وهذا
القول عزاه ابن خروف لابن طاهر (٤)، وجوّزه الفراء في معانيه (٥).

الثاني: أنّها معطوفة على (ما) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؛ أي:
إني عليم بما تعملون وبأنّ هذه أمتكم أمة واحدة، وهو قول ابن خروف (٦)،
وهو المشهور عن الكسائي (٧).

(١) بولاق ١/١٣٨، وهارون ١/٢٧٣-٢٧٤.

(٢) شرح عيون كتاب سيبويه ١٨٨-١٨٩.

(٣) المؤمنون: ٥١.

(٤) انظر: تنقيح الألباب (ت: بديري) ٢١٨.

(٥) انظر: معاني القرآن ٢/٢٣٧.

(٦) انظر: تنقيح الألباب (ت: بديري) ٢١٨.

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/١١٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/٥٨.

الثالث: أمَّا على حذف اللام، وهي متعلِّقة بـ﴿فَاتَّقُونَ﴾، والتقدير: فاتقوني لأنَّ هذه أمتكم أمة واحدة، وهو قول أبي نصر، وهو في هذا موافق للخليل وسيبويه^(١).

ويُشكِّل على هذا القول إيراد أورده أبو نصر، وهو كيف عمل ما بعد الفاء فيما قبلها، ومن المتقرِّر امتناع نحو: (زيداً فاضربت)؟ وأجاب أبو نصر عن هذا بأنَّ الذي سَوَّغ جواز ذلك أنَّ (اتقوني) فعل أمر، والأمر فيه معنى الجزاء، ألا ترى أنَّ معنى قولك: (زيداً فاضرب): مهما يكن من شيء فاضرب زيداً.

ويُفهم من هذا أنَّه لما حُذِف الشرط بقي (فاضرب زيداً)، فقُدِّم (زيد) لإصلاح اللفظ، فأصبح: (زيداً فاضرب).

ثمَّ استدلَّ على عمل ما بعد (الفاء) فيما قبلها في الأمر بنحو: (بزيد فامرئ)، فلولا أنَّ ما بعد (الفاء) عمل فيما قبلها ما دخلت (الباء) على (زيد)؛ لأنَّ (الباء) في صلة المرور، ولا يصلح أن يضم مروراً آخر؛ وذلك لأنَّ الفعل إذا كان متعدياً بحرف الجرِّ لا يُضَمَّر^(٢).

وأجاب غيره من الشَّراح بأنَّ (الفاء) في نحو: (زيداً فاضرب) وقعت في جواب أمر محذوف، والتقدير: تنبَّه فاضرب زيداً، فلَمَّا حُذِف (تنبَّه) قُدِّم (زيد)؛ لإصلاح اللفظ كما تقدَّم^(٣).

(١) بولاق ٤٦٤/١، وهارون ١٢٧/٣.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤٩٢/١.

(٣) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤٩٢/١، والنكت ٢٦٥/١، وشرح الكتاب للصفار (ت: العمري)

٨٨، وتنقيح الألباب ٥٩/ب-٦٠/أ.

وهناك من يرى أنّ (الفاء) في نحو ما تقدّم زائدة^(١).

ثم أكد أبو نصر صحّة هذا التقدير في الآية بالاستدلال بكلام لسيبويه في حديثه عن التحذير، وهو: "ومن ذلك أيضاً: (إِيَّاكَ وَالْأَسَدَ) ... كَأَنَّهُ قَالَ: إِيَّاكَ فَاتَّقِيَنَّ وَالْأَسَدَ"، ففي هذا التقدير عمل ما بعد (الفاء) في ضمير النصب المنفصل (إِيَّاكَ) المتقدّم عليها، وهذا يدلُّ على صحّة التقدير المتقدّم.

١١ - تفسير قول سيبويه: (واعلم أنّ الألفين لا تزدان إلا للتأنيث)

قال سيبويه: "واعلم أنّ الألفين لا تزدان أبداً إلا للتأنيث"^(٢).

قال أبو نصر: "وقوله: "أنّ الألفين لا يزدان إلا للتأنيث" إنّما يعني: أنّ ألفي (حمراء) ونحوها لا يزدان لاسم مؤنّث، ولم يُرد أنّ الألفين معاً علامتان للتأنيث.

يدلُّك على ذلك أنّ الهاء التي تكون للتأنيث لا تلحقها هاء أخرى للتأنيث إلى جنبها، ويدلُّك على ذلك أيضاً قوله في (باب ما لحقته الزوائد) في كتاب

(١) انظر: الدر المصون ١/٣١٤، واللباب في علوم الكتاب ١٢/٢.

(٢) بولاق ١٠/٢، وهارون ٢١٤/٣.

الفعل^(١): "وأقصى ما تلحق الألف لغير التأنيث سادسة في (مَعْيُورَاءَ)^(٢) و(اشْهِيَابِ)"^(٣)"^(٤).

• المناقشة:

الألفان في (حمراء) ونحوها ليستا من أصل الكلمة، وإنما لحقتا معاً لجعل الاسم مؤنثاً كما تلحق الألف الواحدة، يدُلُّك على هذا أنك إذا سمَّيت رجلاً بـ(حمراء)، وأردت ترخيمه حذفتهما معاً، فقلت: (يا حمراء)، كما تحذف الحرفين معاً من (مسلمون) و(عطشان) ونحوهما^(٥).

وأشار أبو نصر إلى أنَّ سيبويه لا يعني بقوله: "أنَّ الألفين لا يزدان إلا للتأنيث" أنَّهما علامتان للتأنيث، وإنما علامة التأنيث الأخيرة منهما فقط، واستدلَّ على ذلك بأمرين:

أحدهما: أنَّ التاء التي تكون للتأنيث لا تلحقها تاء أخرى للتأنيث إلى جانبها.

ومن المتقرَّر أنَّه لا يجمع في اسم واحد علامتا تأنيث^(٦).

(١) يعني ما يسميه النحويون بـ(التصريف)، وإلى هذا أشار سيبويه في ترجمة الباب، فقال: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل". بولاق ٣١٥/٢، وهارون ٢٤٣/٤، وشرح عيون كتاب سيبويه ١٩٨ حاشية (٢).

(٢) المَعْيُورَاءَ: الأعيار، وهي الحمير. اللسان (عبر) ٦٢٠/٤، والتاج (عبر) ١٧٢/١٣-١٧٣.

(٣) بولاق ٣٢٤/٢، وهارون ٢٦٤-٢٦٥.

(٤) شرح عيون كتاب سيبويه ١٩٨.

(٥) انظر: التعليقة ٣٧/٣.

(٦) انظر: اللمع ٦٦، وأسرار العربية ٦٠، والإنصاف ٤٣/١.

والآخر: قول سيبويه في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل، وهو: "وأقصى ما تلحق الألف لغير التأنيث سادسة في (مَعْيُورَاء)".
 ووجه الدلالة فيه أنه اجتمع في آخر (مَعْيُورَاء) ألفان، وقد أشار سيبويه إلى أنَّ الأولى منهما ليست للتأنيث، وهذا يدلُّ على أنَّ الألف الأخيرة هي علامة التأنيث وحدها، يقول الفارسي شارحاً هذا النصَّ: "الألف في (مَعْيُورَاء) الأولى السادسة لحروف (مَعْيُورَاء) لا يجوز أن تكون للتأنيث؛ لأنَّ علامة التأنيث الحرف السابع، فلو جعلت السادسة أيضاً تأنيثاً لأدخلت تأنيثاً على تأنيث"^(١).

ولم أقف فيما بين يديَّ من مصادر لشرح الكتاب على الإشارة إلى هذا التنبيه الذي فطن إليه أبو نصر رحمه الله تعالى.

١٢ تفسير قول سيبويه: (فإذا اجتمع الألفان مُدَّ الحرف)

قال سيبويه: "وأما يونس وناس من النحويين فيقولون: (اضْرِبَانُ زِيداً) و(اضْرِبَانُ زِيداً).

فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يُدْعَم.

ويقولون في الوقف: (اضْرِبَا) و(اضْرِبْنَا) فيمدُّون، وهو قياس قولهم؛ لأنَّها تصير ألفاً، فإذا اجتمعت ألفان مُدَّ الحرف"^(٢).

(١) التعليقة ٤/٢٥٧. وانظر: شرح الكتاب للرماني ٤/٢٠٦٧، وتنقيح الأبواب (ت: الحارثي) ٥٩٨،

وحواشي كتاب سيبويه ٤/١٦٥٧.

(٢) بولاق ٢/١٥٧، وهارون ٣/٥٢٧.

قال أبو نصر: "يعني بقوله: "فإذا اجتمع الألفان مُدَّ الحرف"؛ أي: فُعل به ما يُفعل ب(حمراء) ونحوه من الممدود، وأُحِق به، وذلك أنك تُبَدِّل من الألف الأخيرة في (حمراء) ونحوها همزة في الوصل، فإذا كان في الوقف رجعت الألف إلى أصلها، فحذفت؛ لأنَّه لا يجتمع ألفان، ولم يكن للهمزة ثبات في الوقف؛ لأنَّها لم تَحْدُث فيه، وإمَّا حدثت في الوصل؛ لتناها الحركة ومُتدُّ؛ إذ لا تُمَدُّ الألف، ومعنى (مُتدُّ): تُوقَى نصيبها من الحركة بالإشباع الذي سَمَّاه تمطيظاً، وهذا المدُّ لا يكون في الألف؛ لأنَّها مَبِيَّتة لا نصيب لها في الحركة، فهذا هو المدُّ الذي عناه في هذا الموضع، وممَّا يدلُّك على ذلك قوله في الكتاب: "إنَّه لا يجتمع ألفان في شيء من الكلام"^(١).

ولو كان ذلك على ما توهمَّ بعض من طالع الكتاب لكان الممدود الذي هو ضدُّ المقصور في الوصل والوقف بألفين، ولم يُبَدَّل من الآخر همزة، ولأشبع المدُّ فيه حتى يكون له مزيَّة على الألف المقصورة، وكان كلِّما أشبع المدُّ لحقت ألف أخرى، وهذا محال.

وممَّا يوضِّح ما ذهبنا إليه قوله: "هذا باب الإشباع في الجرِّ والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي، فأما الذين يُشَبِّعون فيمطيظون، وذلك قولك: (يَضْرِبُهَا)، و(مِنْ مَأْمِنِكَ)"^(٢)^(٣).

(١) لم أقف على موضعه من الكتاب.

(٢) بولاق ٢٩٧/٢، وهارون ٢٠٢/٤.

(٣) شرح عيون كتاب سيبويه ٢٤٨-٢٤٩.

● المناقشة:

في لحاق نون التوكيد الخفيفة الفعل المسند لألف الاثنين ونون النسوة خلاف، فالخليل وسيبويه يمنعانه، ويونس والكوفيون يجيزونه، فيقولون: (اضْرِبَان) و(اضْرِبَانان)^(١).

وقد ذكر سيبويه أنهم يقولون في الوقف: (اضْرِبَا) و(اضْرِبْنَا)، ثم قال معللاً ذلك: "وهو قياس قولهم؛ لأنها تصير ألفاً، فإذا اجتمعت ألفان مُدَّ الحرف". وفي تفسير عبارة سيبويه الأخيرة في بيان مذهب يونس ومن وافقه حال الوقف قولان للشرّاح:

الأوّل: أنّ المراد قلب نون التوكيد الخفيفة ألفاً، فيكون في الوقف ألفان، فيقال: (اضْرِبَا) و(اضْرِبْنَا)، وهو قول المازني^(٢) وأبي سعيد السيرافي^(٣) والفارسي^(٤) والرّماني^(٥) والأعلم^(٦)، يقول أبو عثمان: "المدُّ هو قياس قولهم؛ إذ كانوا يجيئون بعد الألف في الاثنين وجميع النساء بنون ساكنة،

(١) انظر الخلاف في المسألة في الكتاب ٥٢٥-٥٢٧، والمقتضب ٢٤/٣، وشرح الكتاب للرماني ٢٦٤١/٦، والنكت ٩٦٥/٢، والإنصاف ٦٥٠/٢-٦٦٩، وشرح المفصل ٣٨/٩، والارتشاف ٦٦٤/٢.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٦١/٤، والتعليقة ٣٤-٣٥، وحواشي كتاب سيبويه ١٣٦٣-١٣٦٤.

(٣) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٢٦١/٤-٢٦٢.

(٤) انظر: حواشي كتاب سيبويه ١٣٦٣/٣، ومختار التذكرة ٤٢.

(٥) انظر: شرح الكتاب للرماني ٢٦٤١/٦.

(٦) انظر: النكت ٩٦٧/٢.

أن يُبَدِّلُوا منها في الوقف ألفاً، فيقولون: (اضْرِبْنَا) أو (اضْرِبْنَا)، فلَمَّا ثبتت النون بعد الألف وجب أن تثبت علامته^(١).

وعلى هذا يُقَدَّرُ أَنَّ ذلك المدَّ الذي زاد بعد الألف الأولى يُرَامُ به ألف ثانية، وإن لم تنكشف حال النطق كل الانكشاف^(٢).

الثاني: أن المراد معاملته معاملة الممدود حال الوقف، فيُفْعَلُ به ما يُفْعَلُ بـ(حمراء) ونحوها، فإنه يُبَدَّلُ من ألفها همزة في الوصل، فإذا وَقِفَ عليها رجعت الهمزة إلى أصلها، وهو الألف، ثمَّ حُذِفَتْ؛ وعلى هذا يُقال في نحو: (اضْرِبْنَا) و(اضْرِبْنَا) حال الوقف: (اضْرِبَا) و(اضْرِبْنَا)، وهو قول أبي نصر.

واعتمد أبو نصر فيما ذهب إليه على ما يأتي:

١- أن الألف حرف لا يُمَدُّ حتى يُوقَى نصيبه من الحركة بالإشباع الذي سَمَّاه سيبويه (تمطيّاً).

وقد استدلَّ على ذلك بقول سيبويه: "هذا باب الإشباع في الجرِّ والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي، فأما الذين يُشْبِعُونَ فيمَطِّطُونَ، وذلك قولك: (يَضْرِبُهَا)، و(مِنْ مَأْمِنِكَ)".

فقد ذكر سيبويه أن الإشباع عند هؤلاء القوم إمَّا يكون في حالي الرفع والجرِّ دون النصب.

(١) حواشي كتاب سيبويه ٣/١٣٦٣-١٣٦٤.

(٢) انظر: شرح الكتاب للسيرافي ٤/٢٦١، والنكت ٢/٩٦٧.

ووجه الدلالة من هذا أنّ الحركات أبعاض حروف المدِّ، وإذا كانت الضمّة والكسرة تُشَبَّعان وتقبلان التمطيط، ففي هذا إشارة إلى أنّ الواو والياء لهما نصيب من حركتيهما بخلاف الألف الميتة التي لا تقبل الحركة.

٢- قول سيبويه الذي نقله عنه أبو نصر: "إنَّه لا يجتمع ألفان في شيء من الكلام".

وقد تعقَّب أبو نصر القول الأوَّل، وضعَّفه بأمرين:

أحدهما: أنّ الأمر لو كان كما ذُكِرَ لكان الاسم الممدود بألفين في الوصل والوقف، ولم يُبدَل من الآخر همزة، ولأشَبَّعت الألف فيه حتى يفرَّق بينه وبين المقصور، فإبداله همزة يدلُّ على فساده.

الآخر: أنّه يلزم منه كلّما أُشَبَّعت الألف لحقت بها ألف أخرى، وهذا مستحيل.

وما ذكره أبو نصر وجيه، وممَّا يقويه:

١- أنّ الزجاج ذكر أنّ الألف الواحدة لو مُدَّت وطال مدُّها ما زادت على الألف؛ لأنَّها حرف لا يتكرر ولا يؤتى بعدها بمثلها^(١).

٢- أنّ زيادة المدِّ في الوقف ليست بقياس، وإمَّا القياس إذا اجتمعت ألفان الحذف^(٢).

ويمكن أن يُحمَل كلام سيبويه على أنّ المراد أن تُقلَّب الألف الثانية همزة، ولا تُحذف، فيقال في الوقف: (اضرباء) و(اضربئاء).

(١) انظر: شرح الكتاب للسيراني ٢٦١/٤، والنكت ٩٦٧/٢.

(٢) انظر: تنقيح الألباب (ت: الحارثي) ٥٩.

وهذا الرأي قال به ابن الدهان^(١).

المبحث الثاني: أغراض الاستدلال بعبارة سيويه عند أبي نصر.

تعددت أغراض الاستدلال بعبارة الكتاب على مراد سيويه عند أبي نصر، ويمكن إجمال هذه الأغراض فيما يأتي:

أولاً: الاستدلال بالعبارة لشرح الغامض.

كثيراً ما يوظّف أبو نصر عبارة سيويه لشرح الغامض من كلامه والمشكل، ومن أمثلة ذلك:

- قول سيويه في حديثه عن الأفعال الخمسة: "وكذلك إذا ألحقت التانيث في المخاطبة" فكلامه فيه غموض وإشكال؛ إذ لا يخلو من أن تكون الياء علامة مجردة من الضمير أو ضميراً، وقد أبان أبو نصر عن مراد سيويه وجلاءه، فذكر أنه يعني بالياء ضمير المخاطبة، واستدلّ على ذلك بقول سيويه في باب ما يُضَمُّ من السواكن: "وأما الياء التي هي علامة الإضمار وقبلها حرف مفتوح فهي مكسورة في ألف الوصل، وذلك احشّي الرجل، للمرأة"^(٢).

- قول سيويه: "وإن كان الأوّل؛ لأنه في معنى الحديث مفعول، فلا ترفع بعد (عبد الله) إذا قلت: (عبد الله ضربته) إذا كان بعده: (وزيداً مررتُ به)"، فقوله: "وإن كان الأوّل" غامض، وقد شرّحه أبو نصر بقوله: "وإن كان الأوّل مُوجِباً لنصب الاسم المعطوف الذي وقع الفعل على ضميره أو على شيء من سببه، فحذف الخبر لما في الكلام من الدليل عليه"، واستدلّ هذا التقدير بما

(١) انظر: الغرة ٢٢٢/أ.

(٢) انظر: المسألة الثالثة.

أشعر به قول سيبويه المتقدِّم: "فإن قلت: إنّما هو لنصب اللفظ؛ فإنّ فيه معنى: فإن قلت: كان الأوّل مُوجِباً للنصب أنّ لفظه منصوب، وعلى هذا حذف خبر (كان) اجتزاء بما تقدّم^(١).

ثانياً: الاستدلال بالعبارة للتنظير والتشبيه.

قد يستدل أبو نصر على توضيح مراد سيبويه بعبارة مماثلة ومناظرة أو فيها نفس الحكم الذي تضمّنه الكلام المراد تفسيره، ومن أمثلة ذلك:

- ذكره أنّ قول سيبويه: "وإنّما ذكرتُ لك ثمانية مجارٍ؛ لأفترق بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة ... وبين ما يُبني عليه الحرف" محمول على حذف مضاف، والتقدير: لأفترق بين حركة ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين حركة ما يُبني عليه الحرف، واستدلّ على ذلك بعبارة لسيبويه مماثلة، حُدِف فيها المضاف، وهي قوله في حديثه عن نون (يفعلن): "لا تُحْدَف؛ لأنّها علامة إضمار وجمع فيمن قال: (أكلوني البراغيث)"، والتقدير: (في قول من قال)^(٢).

- قول أبي نصر: "قوله: لأنّها حروف ضارعت بما بعدها ما بعد حروف الجزاء".

يعني: ضارعت العرب بما بعد حروف الاستفهام ما بعد حروف الجزاء، كما قال في باب الإدغام: "هذا باب الحرف الذي يُضارَع به حرف من موضعه"^(٣).

(١) انظر: المسألة السادسة. وانظر -أيضاً-: المسألة الأولى، والمسألة الثانية.

(٢) انظر: المسألة الثانية.

(٣) انظر: المسألة السابعة.

ثالثاً: الاستدلال بالعبارة لبيان المذهب.

قد يوظّف أبو نصر عبارة سيبويه في بيان مذهبه في النصّ المراد تفسيره وشرحه، ومن أمثلة ذلك:

- ذكره أنّ سيبويه يمنع صرف بناء (أفعل) الذي مؤنّته (فعلاء) سواء أكان معرفة أم نكرة، واستدلّ على منعه حال التنكير بقول سيبويه: "والذي منعه أن ينصرف في النكرة أنّه على مثال الفعل، وهو صفة مثله"^(١).

- ذكره أنّ سيبويه يرى أنّ مذهب يونس في الوقف على نحو: (اضربان) و(اضربنان) يكون بألف واحدة لا بألفين، واستدلّ على ذلك بقول سيبويه: "إنّه لا يجتمع ألفان في شيء من الكلام"^(٢).

رابعاً: الاستدلال بالعبارة على تأكيد المراد والحكم.

أحياناً قد يفسّر عبارة سيبويه ويستدلّ على ذلك بنصّ من الكتاب ثم يؤكّد ذلك التفسير والفهم بنصّ آخر، ومن ذلك أنّه ذكر أنّ (حتى) في قول سيبويه: "وتقول: (رأيتُ القومَ حتّى عبدالله)" جازّة، واستدلّ على ذلك بقول سيبويه: "إلا أنّك تجرّ بها إذا كانت غاية"، ثمّ ذهب يؤكّد ذلك الفهم بقوله: "وأوضح من هذا ممّا لا حيلة لمعترض فيه قوله في باب (حتى): "واعلم أنّ ما بعد (حتّى) لا يشترك الفعل الذي قبل (حتّى) في موضعه كشركة الفعل الآخر

(١) انظر: المسألة الرابعة. وانظر: المسألة الخامسة.

(٢) انظر: المسألة الثانية عشرة.

الأوّل إذا قلت: (لم أجيء فأقلن)، ولو كان ذلك لاستحالة: (كان سيرى أمس شديداً حتى أدخل)"^(١).

وربما أكّد الحكم الذي ذكره سيبويه في كلامه بعبارة أخرى فيها إضافة وتقوية، ومن ذلك أنّ سيبويه قرّر امتناع جعل (أميري عدا) في قول الشاعر:

أَمِنْ عَمَلِ الْجَرَافِ أَمْسٍ وَظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ أَعْتَبْتُمُونَا بِرَاسِمِ
أَمِيرِي عَدَاءٍ إِنْ حَبَسْنَا بَهَائِمَ مَالٍ أَوْ دِيَا

وصفاً ل(راسم) أو الضمير العائد على (الجرّاف) لأنّ الواحد لا يُوصف بالثنى أو لهما جميعاً لاختلاف العاملين فيهما، فجاء أبو نصر بعد شرح كلام سيبويه وأكدّه بذكر علّة أخرى ذكرها سيبويه في موضع من الكتاب، وهي قوله: "واعلم أنّه قبيح أن تقول: مررتُ به وبزيدٍ هما، كما قُبِحَ أن تُشْرِكَ المظهر والمضمّر فيما يكون وصفاً للمظهر، ألا ترى أنّه قبيح أن تقول: (مررتُ بزيدٍ وبه الطويلين)"^(٢).

خامساً: الاستدلال بالعبارة على ترجيح إحدى الروايات.

يعمد أبو نصر في بعض مواضع الكتاب إلى ترجيح رواية على أخرى، ويستدلُّ على ذلك بنصٍّ من الكتاب، ومن ذلك أنّه رأى أنّ رواية (يُضْمَر) في قول سيبويه: "هذا باب يُضْمَرُ فيه الفعل وينتصب فيه الاسم؛ لأنّه مفعول

(١) انظر: المسألة الخامسة.

(٢) انظر: المسألة التاسعة.

معه ومفعول به "أولى من رواية (يظهر) وأنَّ المراد إضمار الفعل وجوباً للمعطوف خاصةً إذا لم تكن (الواو) بمعنى (مع)، واستدلَّ على ذلك بنصِّين من الكتاب: **الأوَّل**: قول سيبويه في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه: "ومن ذلك: (رأسه والحائطُ)، كأنَّه قال: خلِّ أو دَع رأسه والحائطُ... وإمَّا حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنَّوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأوَّل بدلاً من اللفظ بالفعل حين صار عندهم مثل: (إيَّاك)، ولم يكن مثل: (إيَّاك) لو أفردته؛ لأنَّه لم يكثر في كلامهم ... فلو قلت: (نفسك) أو (رأسك) أو (الجدار) كان إظهار الفعل جائزاً، نحو قولك: (أتقِ رأسك) و(احفظ نفسك) و(أتقِ الجدار)".

الثاني: قوله في باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأوَّل: "ومثله: (أنت أعلم ومالك)، فإمَّا أردت: أنت أعلم مع مالك، و(أنت أعلم وعبد الله)؛ أي: أنت أعلم مع عبد الله، وإن شئت كان على الوجه الآخر، كأنك قلت: أنت وعبد الله أعلم من غيركما. فإن قلت: (أنت أعلم وعبد الله) في الوجه الآخر فإنَّها أيضاً تُعمل فيما بعدها الابتداء كما عملت في (ما صنعت وأخاك) (صنعت)، فعلى أيِّ الوجهين وجَّهته صار على المبتدأ"^(١).

سادساً: الاستدلال بالعبارة لدفع التفسير والفهم الخاطيء.

ربما يتبادر إلى الذهن فهم خاطيء لعبارة الكتاب فينَّه أبو نصر إلى ذلك، ويدفع ذلك الفهم بالاستدلال على المراد بنصِّ آخر من الكتاب، ومن ذلك

(١) انظر: المسألة الثامنة.

قوله في حديثه عن قول سيبويه: "واعلم أنّ الألفين لا يزدان إلا للتأنيث": "إمّا يعني: أنّ ألفي (حمراء) ونحوها لا يزدان لاسم مؤنّث، ولم يُرد أنّ الألفين معاً علامتان للتأنيث.

يدلُّك على ذلك أنّ الهاء التي تكون للتأنيث لا تلحقها هاء أخرى للتأنيث إلى جنبها، ويدلُّك على ذلك أيضاً قوله في (باب ما لحقته الزوائد) في كتاب الفعل: "وأقصى ما تلحق الألف لغير التأنيث سادسة في (معيّوراء) و(اشهيباب)"^(١)

المبحث الثالث: انفرادات أبي نصر.

كان لأبي نصر جملة من الآراء والتعليقات والتنبيهات على بعض المواضع من الكتاب التي لم أقف عليها عند غيره من الشراح.

هذه الانفرادات كان لها أثر بالغ في إيضاح عبارة الكتاب وتفسيرها، كما أنّ بعضها كان متصلاً بنسخ الكتاب.

وسأشير بإيجاز في هذا المبحث إلى جملة من الانفرادات التي وقفت عليها، هذا بيانها:

١. أجاز أنّ يكون المراد ب(الحرف) في قول سيبويه: "وإنّما ذكرت لك ثمانية مجارٍ؛ لأفرّق بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة... وبين ما يُبني عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه" الكلمة إذا جُعِلت (ما) الأولى كناية عن حرف

(١) انظر: المسألة الحادية عشرة.

الإعراب، و(ما) الثانية كناية عن حرف البناء، وكأنَّ المراد: لأفترق بين حرف الإعراب وبين حرف البناء الذي تُبْنَى عليه الكلمة^(١).

٢. من المشهور عند سيبويه وغيره من الشَّرَاح أنَّ مضارعة بناء (أفعل) الصفة الذي مؤنَّته (فعلاء) للفعل المضارع من وجهين:

أحدهما: أنَّ الفعل لا يكون إلا بفاعل كما أنَّ النعت لا يكون إلا بمنعوت. والآخر: أنَّه يجيء صفة كما يجيء الفعل صفة.

وعند أبي نصر نجد الإشارة إلى وجه ثالث، وهو أنَّه لا تلحق آخره تاء التأنيث كما لا تلحق الفعل، فلا يقال في (أحمر): (أحمره)، وإثما (حمراء)، كما لا يقال في (امرأة تذهب): (يذهبه)^(٢).

٣. رأى أنَّ الرواية الصحيحة في قول سيبويه: "ورأيتُ القومَ حتَّى عبد الله" هي بكسر دال (عبد الله)، وأنَّ (حتَّى) في كلام سيبويه جازة، بل إنَّه قد يُفهم من استدلاله بقول سيبويه: "واعلم أنَّ ما بعد (حتَّى) لا يَشْرِك الفعل الذي قبل (حتَّى) في موضعه كشركة الفعل الآخر الأوَّل إذا قلت: (لم أجيء فأقول)، ولو كان ذلك لاستحال: (كان سيري أمس شديداً حتَّى أدخل)" أنَّه يرى أنَّ سيبويه لا يُجيز مجيئها عاطفة^(٣).

(١) انظر: المسألة الثانية.

(٢) انظر: المسألة الرابعة.

(٣) انظر: المسألة الخامسة.

٤. رأى أنّ (كان) في قول سيبويه: "وإن كان الأوّل؛ لأنّه في معنى الحديث مفعول" ناقصة، وأنّ خبرها محذوف، والتقدير: وإن كان الأوّل مُوجِباً لنصب الاسم المعطوف؛ لأنّه في معنى الحديث مفعول^(١).

٥. رأى أنّ رواية (يُضْمَر) في قول سيبويه: "هذا باب يُضْمَرُ فيه الفعل وينتصب فيه الاسم؛ لأنّه مفعول معه ومفعول به" أولى من رواية (يظهر) وأنّ المراد إضمار الفعل وجوباً للمعطوف خاصّة إذا لم تكن (الواو) بمعنى (مع)^(٢).

٦. ذكر سيبويه أنّ امتناع محييء (أميري عداء) صفة لضمير (الجرف) و(راسم) في قول الشاعر:

أَمِنْ عَمَلِ الْجُرْفِ أَمْسٍ وَظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ أَعْتَبْتُمُونَا بِرَاسِمِ
أَمِيرِي عَدَاءٍ إِنْ حَبَسْنَا بَهَائِمِ مَالٍ أَوْ دِيَا

عائد إلى اختلاف العامل فيهما، ف(الهاء) في (ظلمه) مجرور بالإضافة، و(راسم) مجرور بالباء، وهما متعلّقان بـ(أعتبتمونا)، وجعل (أميري عداء) صفة لهما يُوجب عمل عاملين في معمول واحد. وقد تابعه الشراح في ذلك.

(١) انظر: المسألة السادسة.

(٢) انظر: المسألة الثامنة.

وأما أبو نصر فإضافة لما ذُكر فقد أشار إلى علة أخرى أُكِّد فيها الحكم الذي قرَّره سيبويه، فذكر أنَّ مجيء (أميري عداء) صفة لهما يؤدِّي إلى وصف المضمر والمظهر باسم ظاهر، وذلك قبيح كما ذكر سيبويه^(١).

٧. ذكر أنَّ علة جواز عمل ما بعد (الفاء) فيما قبلها في نحو: (زيداً فاضرب) هي ما في الأمر من معنى الجزاء، فقولك: (زيداً فاضرب) إنما معناه: مهما يكن من شيء فاضرب زيداً.

في حين ذكر غيره من الشراح أنَّ ذلك عائد إلى وقوع (الفاء) في جواب أمر محذوف، والتقدير: تنبّه فاضرب زيداً، فلَمَّا حُذِف (تنبّه) قُدِّم (زيد)؛ لإصلاح اللفظ^(٢).

٨. أشار إلى أنَّ المراد من قول سيبويه: "واعلم أنَّ الألفين لا يزدان إلا للتأنيث" هو أنَّ ألفي (حمراء) ونحوها لا يزدان لاسم مؤنَّث، لا أنَّ المراد أنَّ الألفين معاً علامتان للتأنيث^(٣).

٩. رأى أنَّ الوقف في نحو: (اضرباً) و(اضربناً) على مذهب يونس كما ذكر سيبويه يكون بألف واحدة، لا بألفين كما ذهب غيره من الشراح، فيقال: (اضرباً) و(اضربناً)^(٤).

(١) انظر: المسألة التاسعة.

(٢) انظر: المسألة العاشرة.

(٣) انظر: المسألة الحادية عشرة.

(٤) انظر: المسألة الثانية عشرة.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يحسن أن أوقف القارئ الكريم على أبرز ما خلصت إليه من نتائج، وهي:

أولاً: وقف البحث على اثني عشر موضعاً من شرح أبي نصر، وظَّف فيها أبو نصر جملة من نصوص الكتاب واستعان بها؛ لبيان مراد سيبويه وتفسير كلامه. **ثانياً:** أبرز البحث شيئاً من جوانب شخصية أبي نصر العلمية، وسلَّط الضوء على تكوينه المعرفي، وذلك من خلال عرض آرائه وسبرها ومناقشتها. **ثالثاً:** اتَّضح من خلال البحث عناية أبي نصر بكتاب سيبويه ونسخه، وقدرته على استحضار نصوصه، وتوظيفها في تفسير كلام سيبويه وفهمه. **رابعاً:** أكَّد البحث أن جُلَّ المواضع التي دُرست كانت مواضع إشكال في الفهم عند الشَّرَّاح.

خامساً: كشف البحث عن بعض أغراض الاستدلال بعبارات سيبويه عند أبي نصر.

سادساً: ظهر في البحث جملة من الانفرادات والآراء التي لم يُسَبَق إليها أبو نصر.

سابعاً: أنَّ جُلَّ المسائل والقضايا التي نُوقِشت لم تنل حظَّها من الدراسة والبحث من قبل، حسب ما انتهى إليه علم الباحث.

ثامناً: كشف البحث عن أثر اختلاف نسخ الكتاب في فهم مراد سيبويه عند الشَّرَّاح.

تاسعاً: وافق البحث أبا نصر فيما ذهب إليه في خمسة مواضع، وخالفه في موضعين، وتوقف في موضعين.

عاشراً: يوصي البحث بدراسة مثل هذا الموضوع عند شرح الكتاب، وطرق توظيفهم عبارات الكتاب في تفسير كلام سيبويه وشرحه.

هذا ملخص ما توصل إليه الباحث، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

ثبت المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب: أبو حيان، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
- الأصول في النحو: ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- إعراب القرآن: النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الانتصار لسيبويه على المبرد: ابن ولاد، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، اعتنى به محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي: ابن أبي الربيع الأشبيلي، تحقيق عياد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، مطبعة حكومة الكويت.
- تاريخ الإسلام: الذهبي، تحقيق عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب: الأعلام الشنتمري، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- التعليقة على كتاب سيبويه: أبو علي الفارسي، تحقيق عوض القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب: ابن خروف، مخطوطة مصورة عن المكتبة البساطية، المدينة المنورة.
- تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب: ابن خروف، تحقيق خليفة محمد بديري، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م.
- تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب: ابن خروف، تحقيق صالح الحارثي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية: شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- حواشي كتاب سيبويه: جمعها أبو علي الفارسي و أبو القاسم الزمخشري وأبو عبد العزيز العيوني، تحقيق سليمان العيوني، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ديوان الراعي النميري: جمعه وحققه راينهرت فاييرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- رصف المباني: المالقي، تحقيق أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- السبعة في القراءات: ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- شرح أبيات سيبويه: ابن السيراني، تحقيق محمد الريح هاشم، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- شرح الشافية: ابن الحاجب، تحقيق غازي خلف العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.
- شرح شافية ابن الحاجب: الرضي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- شرح عيون كتاب سيبويه: أبو نصر القرطبي، تحقيق عبد ربه عبد اللطيف، مطبعة حسان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- شرح كتاب سيبويه: الرماني، تحقيق شريف النجار، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.
- شرح كتاب سيبويه: السيراني، تحقيق أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- شرح كتاب سيبويه: الصفار، تحقيق معيض العوفي، دار المآثر، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- شرح كتاب سيبويه: الصفار، تحقيق عزيزة الذبياني، رسالة علمية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- شرح كتاب سيبويه: الصفار، تحقيق فيصل العمري، رسالة علمية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- شرح المفصل: ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: ابن شكوال، تحقيق السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
- الغرّة: ابن الدهان، مخطوطة مصورة عن مكتبة قليج علي باشا في المكتبة السليمانية، إستانبول، رقم (٩٣٠).
- فهرسة ابن خير: محمد بن خير الإشبيلي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، الطبعة الأولى، ١٣١٦هـ.
- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
- كتاب سيبويه: (نسخة إسماعيل أفندي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة إسماعيل أفندي في المكتبة السليمانية، إستانبول، رقم (٦٣٤).
- كتاب سيبويه: (نسخة باريس ١)، مخطوطة مصورة عن المكتبة الوطنية، باريس، رقم (١١١٥).
- كتاب سيبويه: (نسخة باريس ٢)، مخطوطة مصورة عن المكتبة الوطنية، باريس، رقم (٥٢٨٠).
- كتاب سيبويه: (نسخة بايزيد)، مخطوطة مصورة عن مكتبة الحميدية في المكتبة السليمانية، إستانبول، رقم (١٣٢٦).
- كتاب سيبويه: (نسخة حافظ أحمد)، مخطوطة مصورة عن مكتبة حافظ أحمد باشا في مكتبة كوبريلي، إستانبول، رقم (٣٠٩).

- كتاب سيوييه: (نسخة ابن خروف)، مخطوطة مصورة عن المكتبة الوطنية، باريس، رقم (٦٤٩٩).
- كتاب سيوييه: (نسخة الخزرجي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة الخزانة الحمزية، المغرب، رقم (٤٨).
- كتاب سيوييه: (نسخة ابن دادبي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة كوبريلي، إستنبول، رقم (١٥٠٠).
- كتاب سيوييه: (نسخة راغب باشا)، مخطوطة مصورة عن مكتبة راغب باشا في المكتبة السلিমانيّة، إستنبول، رقم (١٣٧٦).
- كتاب سيوييه: (نسخة الساسي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة بشير آغا في المكتبة السلिमانيّة، إستنبول، رقم (٦١٠).
- كتاب سيوييه: (نسخة السعدي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة مراد ملا في المكتبة السلिमانيّة، إستنبول، رقم (١٧١٧).
- كتاب سيوييه: (نسخة الكندي)، مخطوطة مصورة عن المكتبة الوطنية، باريس، رقم (٥٠٦٨).
- كتاب سيوييه: (نسخة لاله لي)، مخطوطة مصورة عن مكتبة لاله لي في المكتبة السلिमانيّة، إستنبول، رقم (٣٤٨٤).
- كتاب سيوييه: (نسخة ابن معاني)، مخطوطة مصورة عن مكتبة جوروم باشا، تركيا، رقم (٢٥٦٢).
- كتاب سيوييه: (نسخة نور)، مخطوطة مصورة عن مكتبة نور عثمانية، إستنبول، رقم (٤٦٢٨).
- كتاب سيوييه: (نسخة ابن ييقى)، مخطوطة مصورة عن مكتبة الإسكوريال، أسبانيا، رقم (١).
- كشف الظنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب: عمر بن علي بن عادل الحنبلي، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- اللمع في العربية: ابن جني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- مشكل إعراب القرآن: مكي القيسي، تحقيق حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- معاني القرآن: الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام، مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- المقتضب: المبرد، محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعلام الشتتمري، تحقيق زهير سلطان، معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

List of references

- Irtashaf al darb: Abu Hayyan, authenticated by Dr. Rajab Uthman Muhammad, maktabah Alkhaniji, Cairo, First edition, 1998/1418AH.
- al'azhiat fi eilm alhurufi: alharwy, tahqiq eabd almuein almalawhi, matbueat majmae allughat alearabiati, Damascus, Second edition.
- al'ashbah walnazayir fi alnuhu: alsuyuti, tahqiq ghazi mukhtar talaymat wakhrin, matbueat majmae allughat alearabiati, Damascus, 1407/1987.
- Alusuul fil nahw: ibn assaraj, authentication by Dr abdul Hussein alfatli, alrisalah company, Beirut, the fourth edtion, 1999/1420
- al'atwal sharh talkhis miftah aleulumi: 'iibrahim bin muhamad al'iisfrayinii, tahqiq d eabd alhamid hindawi, dar alkutub aleilmiati, Beirut
- Al'aelam: Alzzarkali, Dar aleilm lilmalayini, bayrut, altabeat alkhamisat eashrata, 2002.
- aliaqtirah fi eilm 'usul alnuhu: alsuyuti, qara'ah waealaq ealayh du.mahmud sulayman yaqutu, dar almaerifat aljamieiat, Eygpt, 1426/2006
- 'amali abn alshajari: hibat allah bin eali alealawi, tahqiq da.mahmud muhamad altanahi, maktabat alkhanji, alqahirati, altabeat althaaniatu, 1427/2006
- 'Tinbah Alruwaat ealaa 'Anbah Alnnuhaat: Alqafti, tahqiq Muhamad 'Abu alfadl 'iibrahim, Dar Alfikr Alarabi, Alqahirat, Muasasat Alkutub Althaqafiatu, Bayrut, altabeat al'uwlaa, 1406/1986
- Alinsaf fi masail alkhalaf: Abu Albarakat Alanbari, I'tani bih Muhammad muhyideen abdul hameed, almaktaah al asariyah, Beirut, 1998/1419.
- 'Awdah Almasalik 'ILa 'Alfiyat Ibn Malk: Ibn Hisham, Aietanaa bih Muhamad Muhyi aldiyn abdu Alhamid, Almaktabat Alasasriyat, Bayrut, 1420/1999.
- al'iidah fi sharh almufasali: abn alhajibi, da.'iibrahim muhamad eabd allahi, dar saed aldiyn, Damascus, altabeat al'uwlaa, 1425/2005
- al'iidah fi eulum albalaghati: alqazwini, tahqiq du. muhamad eabd almuneim, dar aljili, bayrut, altabeat althaalithati, 1414/1993
- 'iidah almaknun fi aldhayl ealaa kashf alzununi: 'iismaeil basha albaghdadii, dar 'iihya' alurath alearabi, Beirut.
- albadr altaalie bimahasin min baed alqarn alsaabiei: alshuwkani, dar almaerifati, Beirut.
- alburhan fi eulum alqurani: alzarkashi, tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar altarathi, alqahirati, altabeat althaalithatu, 1404/1984

- Albasit fi Sharh jamal alzajaji: Ibn 'abi Alrabie Al'ashbili, tahqiq Dr..Eiad Althabiti, Dar Agharb Alislami, Bayrut, altabeat al'uwlaa, 1986/1407AH.
- Bughyat Al-wua' litalkhis almiftah fi eulum albalaghati: eabd almutaeal alsaeidii, maktabat aladab, altabeat altaasieati, 1420/2000
- Bugyat Al wua'ah fi tabaqat Al-lugawi'in wan Nuahaat: As-Suyuti, authenticated by Muhammad Abu Alfadl Ibrahim, Daru Al- fikr, second edition, 1979/1399AH.
- Albalagat fi tarajim a'aimatul nawh wal lugah: alfiruzabadi, authentication by Muhammad al masri, dar sa'adudeen, Damasus, first edition, 2000, 1421
- Taj aluroos min jawahar alqamus: Muhammad Murtadoh Alhuasaini Az-Zubaidi, silsilat tasadaraha Wizarah Al I'lam fi Kuwait, Kuwaiti Government edition.
- altabyin ean madhahib alnahwiiyna: aleakbiri, tahqiq da.eabd alrahman aleuthaymin, maktabat aleabikan, first edition, 1421/2000
- Altadhil wat-takmil: Abu Hiyan al-andalusi, authentication by Dr Hassan Hindawiya, Darul qalam, Damascus, kunuz ishbiliya, Ar-Riyadh, first edition.
- Tasheel alfawaid wa takmeel al-muqasid: ibn malik, authentication by Muhammad kamil brakat, dar alkatib al arabi, 1967/1387
- atlasrih bimadmun altawdihi: al'azhari, tahqiq da.eabd alfataah buhayri 'iibrahim, alzahra' lil'ielam alearabii, First edition, 1413/1992
- altaerifat: eali aljirjani, tahqiq muhamad sidiyq alminshawi, dar alfadilati, Eygpt
- altakmilat waldhayl walsilat likitab taj allughat wasihah alearabiati: alsaghani, tahqiq eabd alealim altuhawi wakhrin, matbaeat dar alkutub, Cairo, 1970-1979
- Tawdeeh al-muqasid wal-masalik bisharh alifiyah ibn malik: almuradi, Authentication by ahmed Muhammad A'zuz, almaktabatul A'asriyah, Beirut, first edition, 2005/1426
- Al-jana Ad-daani fi huruf almaeani: Almuradi, tahqiq .Fakhr Ad-deen Qabawat wa Muhamad Nadim fadil, Dar alkutub aleilmiati, Bayrut,first edition, 1992/1413AH.
- jamharat 'ansab alearabi: aibn hazma, tahqiq eabd alsalam muhamad harun, dar almaearifi, Cairo,fifth edition
- jawahir al'adab fi maerifat kalam alearibi: eala' aldiyn al'iirbili, shhahh eali nayil wahasan alshaykh 'abu zid, matbaeat wadi alniyli, Eygpt, 1294.
- hashiat aldisuwqi ealaa mughaniy allbib: mustafaa aldisuqi, maktabat wamatbaeat almashhad alhusayni, Eygpt, 1372

- hashiat alsubaan ealaa sharh al'ashmuni: muhamad bin eali alsabaan, tahqiq tah eabd alruwuf saedu, almaktabat altawfiqiat, Cairo.
- Alhujatul lilqur'ra'a as-saba: abu ali alfarisi, authentication by Badrudeen Qahawaji wabasheer Juyajati, dar alma'amun, damacus, first edition, 1984/1404
- alhudud fi eilm alnuhu: 'ahmad bin muhamad alabbadhy, tahqiq najaat hasan eabd allah nuli, aljamieat al'iislamiati, almadinat almunawarati, aleadad 112, 1421/2001
- Alkhusu'is: ibn jinni, authentication Muhammad ali an-najr, al-maktabatul Alimiyat
- khulasat al'athar fi 'aeyan alqarn alhadi eashra: almuhbiy, dar sadir, Beirut.
- aldirar alkaminat fi 'aeyan almiayat althaaminati: abn hajar aleasqalani, dar aljili, Beirut, 1414/1993
- Ad-darul masun fi uloom al kitaab al maknoon: As-samin Al-halabi, authenticated by Dr. Hamad al Kharat, Darul qalam, Damascus, Secdon edition, 2003/1424AH.
- rasaf almabani fi sharh huruf almaeani: almaliqi, tahqiq da.'ahmad alkharati, matbueat majmae allughat alearabiat bidimashaq (Damascus).
- Az-ziadat wal-ihsan fi uloom alqu'ran: ibn aqeel almakii, risa'il majastir libada al-asatata markaz al-bahuth waldirasat jaamiyat as-sharqiyat, al-emirat, first edition, 1427
- silafat aleasr fi mahasin alshueara' bikuli masr: eali sadr aldiyn almadani, almaktabat almurtadawati.
- samit alnujum aleawali fi 'anba' al'awayil waltawali: eabd almalik bin husayn aleasamia, tahqiq eadil 'ahmad waeali 'ahmadu, dar alkutub aleilmiati, Beirut, first edition 1419/-1998
- alsana' alzaahir bitakmil alnuwr alsaafiri: muhamad alshali, tahqiq 'iibrahim bin 'ahmad almuqhafi, maktabat al'iirshadi, First edition, 1425/2004.
- shdharat aldhabab fi 'akhbar min dhahabi: aibn aleamadi, 'ashraf ealaa tahqiqih eabd alqadir al'arnawuwta, dar aibn kathir, Damascus, first edition.
- sharah alajrumiat: eabd almalik aleasami, tahqiq wajih fawzi alhamami, dar alzaahiriati, Kuwait, first edition, 1440/2018
- sharh 'abyat mughaniy allabib: eabd alqadir albaghdadii, tahqiq eabd aleaziz rabaah wa'ahmad yusif daqaaqa, dar almamuni, Damascus
- sharah al'ashmuni ealaa 'alfiat aibn malk: al'ashmuni, tahqiq muhamad muhyi aldiyn eabd alhamidi, dar alkitaab alearabii, Beirut, First edition, 1375/1955

- Sharh at-tasheel: ibn malik, authentication by Dr abdul rahman as-sayd wa Dr Muhammad badawi almuktun, dar hijar, Egypt, first edition, 1990/1410
- sharh altasrifi: althamanini, tahqiq da.'iibrahim sulayman albaeimi, maktabat alrushdi, Riyadh, First Edition, 1419/1999
- sharah aljumla: abn eusfuri, tahqiq da.sahib 'abu janahi, ealim alkitab, Beirut,first edition, 1419h/1999
- Sharh kafiyah ibn al-hajib: radi-addeen al-astrabathi, authentication by Dr Imeen ya'qoub, darul kitaab al I'lmiyat, Beirut, second edition, 2007/1428
- Sharh al-khafiyat as-shafiyat: Ibn Malik, authentication by Dr Abdul muna'im Ahmed Haridi, markaz Al-bath al-ilmi wa ihya'a at-turath al-islami bi jamiyat umm Al qura, Darul mamun, Syria, first edition, 1982/1402
- sharh kitab alhudud fi alnuhuw: alfakihi, tahqiq d almutawaliy ramadan, maktabat wahbata, Cairo, Second edition 1414/1993
- Sharh Al kitaab As-sibawayh: As-sirafi, authenticated by Ahmed Hassan Muhadle wa Ali Sayd Ali, Daru Alkutub Al i'lmiyat, Bayrut, first edition, 2008/1429AH.
- Sharh Al-mufasal: Ibn Yai'ish, A'lam Al-kutub, Bayrut.
- sharh almuluki fi atasrifi: aibn yaeishu, tahqiq du.muhamad husayn almahrisawi, matbaeat dar alkitab walwathayiq alqawmiati, Cairo, 1433/2012
- sharah manzumat al'alghaz alnahwiati: eabd almalik aleasamii, tahqiq d ealii albawabi, maktabat althaqafat aldiyniati, Egypt, 1419/2000
- As-sa'sah taaj al-lugat wa sa'hah al-arabiyat: Al-jawhari, authenticated by Ahmed Abdul Ghafur Attar, Darul I'lm lilmala'een, Bayrut, fourth edition,1990/1410AH.
- earus al'afrah fi sharh talkhis almiftahi: alsabki, tahqiq d eabd alhamid hindawi, almaktabat aleasriati, Beirut,first edition, 1423/2003
- alghrrat fi sharh allume: abn aldihan, tahqiq d farid alzaamili, dar altadamuriati, Riyadh,First edition, 1432/2011
- alfutuhat al'ilahiat bitawdih tafsir aljalalin: sulayman aljumla, matbaeat mustafaa muhamad, Egypt, 1352/1933.
- futuh alghayb fi alkashf ean qinae alriyb: sharaf aldiyn altayby tahqiqu: 'iiaad muhamad alghuji, jayizat dubayi alduwliat lilquran alkarim, First edition, 1434/2013
- alqamus almuhita: lilfiruzabadi, tahqiq muhamad naeaym, muasasat alrisalati, Beirut, eighth edition, 1426/2005.
- ktab al'asnam: alkalbi, tahqiq 'ahmad zaki basha, dar alkitab almisriati, Cairo, Fourth edition, 2000

- Kitaab Sibaway: Abu Bishr A'mru bin Uthmaan, authenticated by Dr. Abdus-salaam, Darul jeel, Bayrut, first edition.
- ktab alshaera: alfarisi, tahqiq d mahmud altanahi, maktabat alkhajji, Cairo, First edition, 1408/1988
- Al-kitaan alfareed fi I'raab al-qu'ran al-majeed: almuntajb al-hamdaani, authentication Muhammad naathim ad-deen al-fatith, maktabat dar az-zaman, the kingdom of Saudi Arabia, first edition, 2006/1427
- Al-khasaf a'n haqa'iq at-tanzil wa I'yun al-aqawil fi wajuhu at-tawail: az-zamkhashuri, darul fikr
- Kashaf alzununi: Hajiy khalifata, Dar 'iihya' Alturath Alarabi, Bayrut.
- alklyaat: alkufawi, qabalah wa'eaduh wawadae faharisah d eadnan darwish wamuhammad almasri, muasasat alrisalati, Beirut, second edition, 1419h/1998
- Al-labab fi u'lum al-kitaab: Umar bin Ali bin Adil Al-halabi, Adil ahmed Abdul Muwjud wa Ali Muhammad Ma'uud, Darul kutub al-I'Imiyat, Bayrut, first edition, 1998/1419AH.
- Lisaanul Alarab: Ibn Manthur, Dar Sadr, Bayrut, third edition, 1994/1414AH.
- Al-muhtasib fi tabyiin wajah shawadh al-qira'at: ibn jinni, authentication by Ali an-najdi wa Aakhareen, wizaratul awqaf al-misriyah, cairo, 2004/1424
- Al-muhkam wal muhit Ala'adhm: Ibn Sa'edah, authenticated by Dr. Abdul hameed Hhindawi, Darul kitaab li'I'Imiyat, Bayrut, first edition, 2000/1421AH.
- mukhtasar almaeani: saed aldiyn altaftazani, dar alfikri, Beirut, first edition, 1411
- almukhtasar min kitab nashr alnuwr walzahr fi tarajim 'afadil makat: eabd allah mirdad 'abu alkhayra, tahqiq muhamad aleamudi wa'ahmad ealay, ealam almaerifati, Jeddah, second edition, 1406/1986
- almasayil alsafariat fi alnahuw: aibn hishami, tahqiq d hatim aldaamin, muasasat alrisalati, Beirut, first edition,, 1403/1983
- almasayil almushkilat almaerufat bialbaghdadiaati: 'abu eali alfaarsi, tahqiq salah aldiyn eabd allah alsinkawy, matbaeat aleani, Baghdad.
- Al-musa'aid alaa tasheel alfawaid: ibn aqeel, authentication by Dr Muhammad kamil barakati, darul fikr, Damascus, 1980/1400
- masabih almaghani fi huruf almaeani: aibn nur aldiyn almuzaei, tahqiq d eayid bin nafie aleamari, dar almanari, Egypt, first edition, 1414/1993
- Ma'ani Al Qu'ran: Alfar'a, A'limulkitab, Bayrut, second edition, 1983/1403AH
- Ma'ani al qu'ran wa I'raabuhu: az-zajaj, authentication by Dr. abdul jalil abdu shlbi, a'limul kitaab, Beirut, first edition, 1988/1408

- muejam tarikh alturath al'iislamii fi maktabat alealami: 'iiedad eali alrida wa'ahmad turan, dar aleaqabati, Turkey, first edition, 1422h/2001
- Muejam Almualifina: Umar Rida Kahaalati muasasat alrisalati, Beirut, first edition,, 1414h/1993
- Mughni al-labeeb a'an Kutubi Al-a'areeb : Abdullah ibn Yusuf, ibn Hisham, Dr mazin Al Mubarak wa Muhammad Ali Hamdullah, Darul fikr, Damascus, first edition, 1964/1384AH.
- miftah aleulumi: alsakaki, tahqiq naeim zarzura, dar alkutub aleilmiati, Beirut, second edition, 1407/1987
- Al-mufasal fi sina'a al-I'raab: alzimukshari, authentication Dr ali Bu Malham, dar wa maktabah alhilal, Beirut, first edition, 1993
- Al-muqtadob: Almubarid, Dr. Muhammad Abdul Khaliq Adeemiy, A'lam al-kutub, Bayrut.
- maqsid alsaalik 'iilaa 'alfiat aibn malk: aibn khatib almansuriati, tahqiq d eabd allah aleutaybi, risalat dukturah bikuliat allughat alearabiat bijamieat al'iimam(Al-imam university), 1443/2022
- Al-mansuf: ibn Jinni, authentication by ibrahmin Mustapha, wa Abdullah amen, wizarat al-ma'araf alu'mumiyat, first edition, 1954/1373
- natayij alfikri: alsuhayli, tahqiq eadil 'ahmad eabd almawjud waali muhamad mueawad, dar alkutub aleilmiati Beirut, first edition, 1412/1992
- nuzhat al'alba' fi tabaqat al'udaba'i: 'abu albarakat al'anbari, tahqiq da.'iibrahim alsaamaraayiy, maktabat almanar, Jordan, third edition,, 1405/1985
- nafahat alrayhanat warashhat tila' alhanat: aibn almahibiy, tahqiq eabd alfataah muhamad alhulu, eisaa albabi alhalbi, first edition, 1389/1969
- nihayat al'arb fi maerifat 'ansab alearbi: alqiliqashandi, tahqiq 'iibrahim al'abyari, dar alkitaab allubnani, Beirut, second edition,, 1400/1980
- hadiat alearifin: 'iismaeil basha albaghdadii, dar 'iihya' alturath alearabi, Beirut..
- Hamaa'a alhawama'a fi sharh jama'a aljawamia': As-suyuti, authenticated by Ahmed Shamsudeen, Darul kutubi Al-ilmiyat, Bayrut, second edition,2006/1427AH.
- Alwafy balufyat: Alsafadii, tahqiq 'Ahmad Al'arnawuwat wa Turki Mustafaa, Dar 'iihya' At-turath Alarabi, Bayrut, first edition,, 1420h/2000AH.

التثانيات الضدية في سلسلة "العربية بين يديك"
(دراسة لسانية تحليلية)

د. ظافر بن علي الشهري

قسم اللغة والثقافة – معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها

جامعة الملك عبد العزيز



الثنائيات الضدية في سلسلة "العربية بين يديك". (دراسة لسانية تحليلية)

د. ظافر بن علي الشهري

قسم اللغة والثقافة – معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها
جامعة الملك عبد العزيز

تأريخ تقديم البحث: ٢٥ / ٧ / ١٤٤٤ هـ تأريخ قبول البحث: ١٠ / ١٠ / ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

تناول الدراسة ظاهرة الثنائيات الضدية في السياقات العربية الفصيحة من سلسلة العربية بين يديك، ويناقش البحث عدة أمور وقضايا متعلقة بهذا الأمر مثل: معنى الثنائيات الضدية وتنوعها في تعليم العربية، متخذاً من سلسلة (العربية بين يديك)، مدونة للبحث من خلال تقسيمه إلى مبحثين اثنين: جاء في المبحث الأول: مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها والدراسة النظرية. وفي المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لسلسلة الدراسة، ثم خاتمة الدراسة وفيها نتائج البحث وأفكاره وتوصياته، وجاء من أهم نتائج الدراسة أن عدد الثنائيات في السلسلة مجموعة في (٦٨٠) موضعاً، حرص فيها المؤلف على إكساب متعلم اللغة العربية على أنها لغة ثانية المزيد من المفردات والأساليب والتراكيب اللغوية، مع التأكيد على ضرورة تدريب المتعلمين على الثنائيات الضدية وصيغها.

الكلمات المفتاحية: الثنائيات الضدية، التضاد، سلسلة، العربية بين يديك، الناطقون بغير العربية.

The Binary Oppositions in the series "Arabic in Your Hands": An Analytical Linguistic Study

Dr. Dhafer Ali Alshehri

Department of Language and Culture – Arabic Language Institute for Non
Native Speakers. King Abdulaziz university

Submission date: Raj.25, 1444 AH

Acceptance date: Shaw.10,1444 AH

Abstract:

This research discusses the structure of "Binary Oppositions" in Arabic rhetorical contexts when presented to learners of Arabic to non-native speakers, and its role in enriching the language learner's lexicon during language learning, and the research discusses many issues and related issues. In this regard, such as the meaning of "Binary Oppositions" and their diversity in teaching the Arabic language", relying on the series (Arabic in Your Hands) as a blog for research by dividing it into two parts: The first topic an applied study of the study series, then the conclusion of the study, which includes the results, ideas, and recommendations of the research. One of the most important results of the study was that the number of pairs in the series is grouped in (680) places, in which the author was keen to provide the Arabic language learner as a second language with more vocabulary, methods, and linguistic structures, while emphasizing the need to train learners on opposite dualities and their formulas

key words: Binary Oppositions, opposite, series, Arabic in your hands, non-Arabic speakers.

المقدمة:

تشير الثنائية إلى معنى التعدد ومن المنطقي أن تنتهي إلى الوحدة والتكامل في المعنى، فعلى سبيل المثال: الشر لا يناقض في جوهره الخير، ولكنه متمم له ولازم لوجوده، فلا تظهر الفضيلة إلا باقترانها بالضد، ولا معنى للكرم من غير اقترانه بالضد، فلا بد لكل شيء من ضد يميزه ويوضحه^(١).

وفي اللغة العربية ذاتها عرف العرب هذه الثنائيات قديماً، فلا ريب أن نجد صورة هذه الثنائية الضدية في تعليم العربية، فقدبماً عرفت العرب المحاسن والأضداد للجاحظ، والمحاسن والمساوي للبيهقي، والمقابلة والطباق، وكذلك في التمثيل يقول عبد القاهر: وهل تشك في أنه يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب^(٢).

وأرى أن عبد القاهر الجرجاني بهذه الإشارة يُجِيل إلى انفتاح الدلالة وبناء المعنى في تلقي الخطاب، كما أن مسافة التوتر الناتجة عن الجمع بين النقيضين والتضاد من أوضح الأمور في تداعي المعاني، فاستحضار أحدهما في الذهن يستبعد عادة استحضار الآخر سواء عند تعليم متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها أو في نصوص العربية ذاتها شعراً ونثراً، وينكشف من هذا كون الثنائيات تخرج من جمع بين أمرين مختلفين، ونتيجة هذا يحدث تأصيل لفكرة النص عند المستمع.

(١) الديوب، سمر. (٢٠١٧). الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته. الطبعة الأولى، العراق:

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ص ١٠.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠١٧). الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته. (ط١)، العراق:

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ص ١٣٢.

ومن خلال قراءة النصوص العربية المُعدَّة لمُتعلّمي اللغة العربية للناطقين
بغيرها نجد أن اتّخاذ مثل هذه الصورة يَحْتصر الطّريق في إكساب الطّلاب
المضمون الكلّي المقصود من بناء الجملة من حيث التنوع من جهة، ويعطيهم
المزيد من المفردات والأساليب من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة يفتح لهم الطّريق
في التعرف على المزيد من هذه الظاهرة في اللغة بوجه عام؛ فيثير التساؤل
المستمر عن المضاد لهذه الكلمة والمضاد لهذا الأسلوب.

والحقيقة أننا أمام ظاهرة لغوية وأسلوب عربي أصيل عُرف في الأساليب
العربية، ويعد صورة حقيقية تكشف النقاب عن إحدى طرق التعليم الحديث
والقديم معًا، فهذه الثنائيات الضدية بما تُشكِّله من تباينات دلالية تُعدُّ فاعلاً
في تكوين المعنى، وإنتاج الدلالة، والخروج بالنص إلى مستوى اللغة العالمية^(١)،
ويُعد هذا هو السبب في شيوعها في السياق اللغوي كله، ومن ثمَّ تُعدُّ دراسة
هذه الثنائيات من الضروريات في العملية التعليمية عامة وفي تعليم الطّلاب الذين
لا يتكلمون العربية خصوصًا؛ إذ تعد هذه الظاهرة نوعًا من العلاقة التلازمية
بين المعاني، أي أنه يجمع بين الشيء وضده، مثل: الجمع بين الحزن والفرح،
والياس والأمل، والفقر والغنى، وغيرها؛ إذ تهدف الثنائية في نهاية المطاف إلى
التكامل^(٢)، وهذا ما دفع الكثير من الكتاب إلى استخدام هذه الظاهرة في
التأليف والكتابة، ليفتح الطّريق للتمييز بين الدلالات الظاهرة والخفية أو

(١) حسان، خالد. (٢٠١٩). الثنائيات الضدية الماهية والمصطلح. مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث،

المركز القومي للبحوث، المجلد (٥) العدد (٣)، ص ٧١

(٢) المرجع السابق، ص ٨٢.

الصريحة والضمنية من جهة، واستحضار معانيها ومقابلات المعنى من جهة أخرى؛ فيؤدي هذا بدوره إلى إكساب المتعلم قيمًا جديدة لفهم الأساليب العربية.

ومن هنا نجد أن الثنائيات الضدية تشكل تباينات دلالية، وتعد عنصرًا مهمًا في تكون الدلالة، وعاملاً مهمًا في إنتاج المعنى، كما تعد من أهم ما يُنمِّي جوانب القدرة على الملاحظة في التمييز بين المعاني المتضادة عند متعلمي اللغة الذين يدرسون العربية؛ إذ تعطيها البلاغة والجمال في التعبير، ولذا نجد أن مؤلفي سلسلة (العربية بين يديك) يحرصون على تضمينها في الكتاب التعليمي، ولا تخلو هذه الطريقة من صعاب وتحديات عند إعداد المادة التعليمية، فكيف استخدمها مؤلفو سلسلة (العربية بين يديك) في الأجزاء الأربعة للكتاب؟ وإلى أي مدى كان استخدامها؟ لذا اتخذ الباحث المنهج الوصفي مجالاً للدراسة لوصف الظاهرة المقصودة في البحث، وتحليلها تحليلًا علميًا قاصدًا من وراء ذلك الحصول على نتائج مرضية.

ومن أبرز الدراسات السابقة التي استفاد منها الباحث في الدراسة الحالية:
١ - العبد القادر، بدر. (٢٠٢٠). "بنية الثنائيات الضدية وصيغها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دراسة لسانية تحليلية"^(١).

(١) العبد القادر، بدر. (٢٠٢٠). بنية الثنائيات الضدية وصيغها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دراسة لسانية تحليلية. مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، القاهرة: جامعة عين شمس، المجلد (٢٦)، العدد الرابع. ص ٥٥.

ناقش هذا البحث موضوع بنية الثنائيات الضدية من حيث تنوعها وصيغها ومكون بنائها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، متخذاً من سلسلة (العربية للعالم) مدونة للبحث، وفيه حُلِّت نصوص كتب السلسلة الخمسة وفق مستوياتها، من حيث عرض بنية الثنائيات الضدية وتنوعها، وصيغها من حيث المكون البنائي، مع تحليل النتائج وذكر وظيفة كل صيغة، وأسباب كثرة ورودها أو قلته أو حتى عدمه، وذلك باستخدام المنهج التحليلي، وكان من أبرز نتائج الدراسة أن الثنائيات الضدية بما تشكله من تباينات دلالية تُعدُّ عنصراً فاعلاً في تكوين المعنى، وإنتاج الدلالة، كما أسهمت الثنائيات الضدية في تنمية جانب القدرة على الملاحظة في التمييز بين المعاني المتضادة في التركيب اللغوي، واكتساب المتعلمين مزيداً من المفردات التي تُضاف إلى رصيدهم اللغوي.

٢- عليوي، انتهاء عباس. (٢٠٢١) "التصوير الفني في الثنائيات المتضادة عند شعراء العصر الأموي دراسة تحليلية"^(١).

وقد هدفت هذه الدراسة إلى استنتاج النماذج النمطية لصورة الثنائية الضدية في الشعر عند شعراء العصر الأموي والتعرف على خصائصها الفنية والبيانية، وما قدمت الثنائيات المتضادة في الشعر الأموي من بناء الخيال والإبداع؛ للسعي إلى تحقيق رؤية جمالية حول آفاق خيال الشاعر الأموي، وتناولت الدراسة ثلاثة محاور، ففي المحور الأول تناول التصوير الاستعاري، وفي الثاني

(١) عليوي، انتهاء عباس. (٢٠٢١). التصوير الفني في الثنائيات المتضادة عند شعراء العصر الأموي دراسة تحليلية. مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية، الجامعة المستنصرية، المجلد (٦) العدد (٣) أكتوبر.

التصوير التشبيهي، وفي الثالث التصوير الكنائي، وكان من أهم نتائج الدراسة إسهام ضروب البيان المختلفة مثل: التشبيه والاستعارة والكناية في بناء الصور الشعرية للثنائية الضدية، وجاء في الدراسة أن أكثر الشعراء المستخدمين للثنائية الضدية في شعرهم هم شعراء الغزل العذري والحسي في العصر الأموي، لاسيما جميل بثينة والعرجي ومجنون ليلى وغيرهم من الشعراء، وبدرجة أقل لدى ما تقدم من هؤلاء الشعراء.

٣- عسكري، صادق، وبرستو، سنجي. (١٤٤٤هـ)، "ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في ديوان رسائل الحنين إلى الياسمين لغادة السمان"^(١).

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في ديوان الشاعرة، وجاء من أهم نتائج الدراسة أن ظاهرة التضاد بأقسامها اللفظية والمعنوية والتصويرية في شعر غادة السمان قد جعل نصها الشعري نصًا منسجمًا؛ مما يدل على اهتمام الشاعرة باختيار المفردات المناسبة التي تعبر عن مشاعرها، وتعكس متناقضات حياتها بين الحنين إلى الوطن والعيش في الغربة، والحب والكره، والموت والوالدة، والصدق والكذب، والبكاء والضحك، والغرب والشرق، وتناولت الدراسة كيفية استخدام هذه الظاهرة في الديوان المذكور؛ بهدف استخراج المعاني الكامنة فيها.

(١) عسكري، صادق، وبرستو، سنجي. (١٤٤٤هـ). ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في ديوان رسائل الحنين إلى الياسمين لغادة السمان. مجلة بحوث في اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة أصفهان، العدد (٢٧)، ص ١٣٧.

المبحث الأول: الثنائيات الضدية بين الأصالة والمعاصرة.

المطلب الأول: مصطلحات الدراسة.

أولاً: الثنائيات الضدية بين العرف اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

في المعاجم اللغوية العربية: (ث ن ي) يدل على تكرار الشيء^(١)، وقيل: ثنائي من أي شيء يعني أن له شقين^(٢). ومن ذلك يتضح أن ظاهرة الثنائيات تضع في النص شيئين مختلفين وتأخذ هذين الشيئين في الحسبان، وتعتمد على هذه الثنائية في الوصول إلى الفهم، ومن ثمَّ فهذان الأمران قد يكونان متواليين بعضهما على بعض، أو معطوفين في السياق نفسه، أو متزامنين.

والذي يبدو لي أن لفظ الثنائي يعني: "ضعف واحد"، ومن الممكن أن يكون شبيهه ونظيره وضده، ويعني هذا أن الواحد يجعل مع واحد آخر علاقة بشكل من الأشكال، ومن الممكن أيضاً أن يلازمه ولا يتعد عنه، وهذا الذي يحدث عندما يعتمد المدرس على هذه الظاهرة في تعليم طلابه^(٣).

ونجد في العرف الاصطلاحي أن مقصود الثنائيات يختلف بحسب نوع العلم الذي يتناوله، فالثنائيات من جهة الفلسفة تعني القول بازدواجية أدوات الشرح^(٤)، ومن ثم نرى هنا أن الثنائية هي طريقة تفسير للمعنى وشرحه، وهو

(١) ابن فارس، أحمد فارس زكريا. (٢٠٠٨). مقاييس اللغة. (ط ١)، القاهرة: دار الحديث: مادة (ث ن ي)، ص ٣٩١.

(٢) صليبا، جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي. (ط ١)، بيروت، لبنان: مكتبة المدرسة. مجلد ١، ص ٧١.

(٣) الديوب، سمر، (٢٠١٧)، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) صليبا، جميل، (١٩٨٢)، مرجع سابق، مج ١، ص ٣٧٩.

ما يفسر حالة بعينها، أو المجال من حيث العوامل، والثنائيات ذات شقين وهي التصنيفات التي لا تقبل من درجة متوسطة^(١)، إذن هي تفترض احتواء الشيء على مبدئين مختلفين، لا يمكن أن يذوب أحدهما في الآخر، وكذلك لا يشبهه أيضًا^(٢).

بيد أن الذي يعيننا هنا هو الدلالة الاصطلاحية للثنائيات عند أهل اللغة، وهي التي تعني: أنها بنية من أبنية اللغة تتقاطع في اللفظ والمعنى، أو ربما تتباين متباينة في الظاهر أو في الباطن، ولكنها تظل على قدر من الإبداع والبلاغة^(٣)، ومن ثمّ أرى أن العلاقة والصلة التي تربط بين الطرفين هنا علاقة التوافق أو علاقة التضاد، بيد أن العلاقة الضدية غالبًا ما تكون من أوضح العلاقات في ذلك^(٤)، أما في علم الدلالة فالمعنى المقصود منها: وجود أمرين متضادين مرتبطين برباط واحد^(٥).

ثانيًا: سلسلة العربية بين يديك.

هي سلسلة تعليمية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والإصدار المعتمد في هذه الدراسة هو الإصدار الثاني - عام النشر (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)،

(١) عمر، هدى، ومنصور، أسيل. (٢٠١٤). الثنائيات المتناقضة في تصميم الفضاء الداخلي المعاصر.

مجلة كلية التربية الإسلامية، العراق: مج ٢٠، العدد ٨٥، ص ٤٨١.

(٢) الديوب، سمر. (٢٠١٧). مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) قاهرة، غيثاء. (٢٠١٢). الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص من المعلقات. مجلة دراسات في

اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، سوريا: العدد (١٠، ١١)، ص ٢٥.

(٤) حسان، خالد. (٢٠١٩). مرجع سابق، ص ٧٦.

(٥) الديوب، سمر. (٢٠١٧). مرجع سابق، ص ١٩.

وتتكون السلسلة من أربعة كتب، من تأليف الدكتور عبد الرحمن الفوزان والدكتور محمد عبد الخالق فضل، والدكتور مختار الطاهر حسين، وإشراف الدكتور محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، وتهدف العربية للجميع إلى تأصيل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتسخير التقنيات الحديثة لخدمة تعليم اللغة العربية، ودعم المؤسسات التي تعلم اللغة العربية في العالم ومساندتها، وتهتم بالكتاب المنهجي، وتدريب معلمي اللغة العربية، وإنتاج الوسائل التعليمية المتنوعة، وتعتقد العربية للجميع أن اللغة العربية سهلة ومحبوبة متى ما درست بالطريقة الصحيحة التي تشتمل على عناصر التعليم الأساسية^(١).

رابعاً: الناطقون بغيرها

المقصود بهم الذين يقصدون تعليم العربية للأغراض المختلفة من غير أبناء العرب، فقد شهد تعليم العربية اهتماماً بارزاً، سواء على المستوى العالمي، أم على المستوى الإقليمي، أم على المستوى المحلي، فعلى المستوى العالمي يتضح ذلك بجلاء في كافة المناسبات الدولية^(٢)؛ حيث أصبح للغة العربية مكانة كبيرة في كثير من المنظمات العالمية، كما عيّنت جامعات ومؤسسات كثيرة في أوروبا

(١) الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، وحسين، مختار الطاهر، وفضل، محمد عبد الخالق. (٢٠١٤). العربية بين يديك: سلسلة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. إشراف محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، (ط ٢)، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ص (د).

(٢) علي هداية الشيخ، (٢٠١٨)، تحديات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء مستجدات العصر. بحث منشور في المؤتمر الدولي لقسم مناهج وطرق التدريس: "المتغيرات العالمية ودورها في تشكيل المناهج وطرائق التعليم والتعلم بتاريخ ٥-٦ ديسمبر. ص ٧٢٤.

وأمریکا وآسیا بتعلیم العربیة للناطقین بغيرها^(١)، وعلى المستوى الإقليمي والمحلي فقد افتتحت معظم الدول العربیة مراكز ومعاهد لتعلیم العربیة للطلاب الوافدين، ويقصد هذه المراكز كثير من الطلاب من دول شرق آسیا وأمريكا وغيرها من معظم دول العالم، ويطلق عليهم الناطقون بغير العربیة.

المطلب الثاني: ظاهرة التضاد بين التأصيل والحداثة.

تتعدد العلاقة بين اللفظ والمعنى وبين أنواع مختلفة، والتضاد نوع من أنواع العلاقة بين المعاني والألفاظ في اللغة العربیة، وربما كانت الأقرب إلى ذهن السامع من أية علاقة دلالية أخرى مثل الترادف أو المشترك اللفظي مثلاً. وبالنظر إلى معنى كلمة التضاد في معاجم اللغة العربیة فإننا نجد ابن منظور يقول: "الضِدُّ كُلُّ شَيْءٍ ضَادٌّ شَيْئًا لِيُغْلِبَهُ، وَالسَّوَادُ ضِدُّ الْبَيَاضِ، وَالْمَوْتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ، وَاللَّيْلُ ضِدُّ النَّهَارِ إِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: ضِدُّ الشَّيْءِ وَضِدَيْدُهُ وَضِدِيدَتُهُ خِلَافُهُ"^(٢)، ومن ثمَّ "ضِدُّ كُلِّ شَيْءٍ مَا نَافَاهُ، نَحْوُ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَالسَّخَاءِ وَالْبَخْلِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا خَالَفَ الشَّيْءَ ضِدًّا لَهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُوَّةَ وَالْجَهْلَ مُخْتَلِفَانِ وَلَيْسَا ضِدَيْنِ، وَإِنَّمَا ضِدُّ الْقُوَّةِ الضَّعْفُ، وَضِدُّ الْجَهْلِ الْعِلْمُ؛ فَالِاخْتِلَافُ أَعْمُ مِنَ التَّضَادِّ، إِذْ كُلُّ مُتَضَادِّينِ

(١) الهاشمي، هند عبد الله. (٢٠٠٥). تعليم العربیة للناطقین بغيرها واتجاهاتهم نحوها في سلطنة عمان. رسالة دكتوراه "غير منشورة" القاهرة: معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة. ص ٣.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٩). لسان العرب. اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب، ومحمد العبيدي، (ط ٣)، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي. مادة (ض د د).

مختلفان، وليس كل مختلفين ضدّين" (١)، وعن ابن السكيت قال: حكى لنا أبو عمرو: "والضدّ مثل الشيء، والضدّ خلافه، وعلى قول أبي عمرو يكون الضدّ نفسه من ألفاظ الأضداد، يقال: فلان ضدي، أي خلافي، وهو ضدّي أي مثلي، وقد ردّ أبو بكر بن الأنباري، كون الضدّ من ألفاظ الأضداد فقال: "وهو عندي قول شاذ لا يعوّل عليه؛ لأنّ المعروف من كلام العرب: العقل ضدّ الحمق، والإيمان ضدّ الكفر، والذي ادعى من موافقة الضدّ للمثل لم يُقَم عليه دليلاً تصحّ به حجّته" (٢).

وفي تعريف الأضداد اصطلاحاً اختلاف بين علماء اللغة، فنرى أبا بكر بن الأنباري يقول عن الأضداد: "الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدّياً عن معنيين مختلفين" (٣)، "ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في الشيء وضده" (٤).

(١) أبو الطيب، عبد الواحد بن علي أبي الطيب الحلبي اللغوي. (١٩٦٣). الأضداد. تحقيق عزة حسن، طبعة مجمع دمشق، ص ٣٣.

(٢) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. (١٩٨٩). الأضداد. تحقيق محمد عودة سلامة أبو جري، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، ص ٣٧.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. (١٩٦٠). الأضداد. (ط ١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ص ١.

(٤) قطرب، محمد بن المستنير. (١٩٨٤). كتاب الأضداد. (ط ١) تحقيق: الدكتور حنا حداد، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ص ٧٠.

ولهذا أثر أحد الباحثين المعاصرين القول بأن أدق تعريف للضد في الاصطلاح باختصار هو: ما اتفق لفظه وتضاد معناه؛ ككلمة (عسعس)، تأتي بمعنى أقبل وأدبر^(١).

ولكني أميل إلى أن أقول: إن التضاد هو اللفظ الذي يدل على معنيين متضادين^(٢)، وعلى هذا كله فإن ما يتبادر إلى ذهن الإنسان أو في فكره إذا يفكر في أي لفظة أو أي صورة معينة تتجلى مباشرة في ذهنه حضور اللفظة المضادة، أو تتجلى أمامه صورة ذهنية مباشرة للضد الأول؛ لأن التفكير في أحدهما يوجب حضور الآخر في الذهن أيضاً... فالثنائية القائمة بين الرجل والمرأة، والثنائية القائمة بين الفاعل والمفعول، فالفاعل هو اللفظ والجملة والكلام، والمفعول هو الدلالة المقصودة^(٣)؛ لذا تستغل الثنائيات السياقات رغبة في الكشف عن المعنى، والإبانة عن الحسنات والمساوي؛ لأنها تبين المعنى والمعنى المقابل له^(٤).

-
- (١) الدوسري، محمد بن فرحان الهواملة. (١٤٣٠هـ). الأضداد في القرآن الكريم. (ط١)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، ص ٢٢.
- (٢) السجستاني، أبو حاتم. (١٩٩١). الأضداد. (ط١)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٧٥. وأنظر أيضاً: الصاغاني، الحسن بن محمد بن الحسين. (١٩٨٩). الأضداد. تحقيق محمد عبد القادر، القاهرة: طبعة مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٥.
- (٣) حسان، خالد، (٢٠١٩). مرجع سابق، ص ٧٦.
- (٤) بني عامر، عاصم محمد أمين. (٢٠٠٥). لغة التضاد في شعر أمل دنقل. (ط ١) عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص ٦٠.

المطلب الثالث: الثنائيات بين المناطقة واللغويين

إنَّ وجود هذه الظاهرة يؤدي إلى ابتكار إطار للمعنى ظاهر وآخر يستنتج استنتاجًا من النص، يقول المظفر: "هذه الظاهرة عند أهل المنطق ليست هي الفكرة عند أهل اللغة، والسبب في ذلك اعتماد نظرة أهل المنطق على التقسيم المنطقي والنظر العقلي، وقد أخذ بها بعض اللغويين في دراساتهم اللغوية والنحوية أيضًا"^(١).

ومن تقسيمات المناطقة: المتضادتان: وهما المختلفتان في الكَيْفِ دون الكَمِّ وكانتا كُليَّتَيْنِ، وسميتا متضادتين؛ لأنهما كالضدين يمتنع صدقهما معًا ويجوز أن يكذبا معًا، ومعنى ذلك أنه إذا صدقت إحداها لا بد أن تكذب الأخرى. الداخلتان تحت التضاد: وهما المختلفان في الكَيْفِ دون الكَمِّ، وكانتا جزئيتين، وإنما سميتا داخلتين تحت التضاد... لأنهما على عكس الضدين في الصدق والكذب، أي يمتنع اجتماعهما على الكذب، ويجوز أن يصدقا^(٢).

وتناول العالم (دي سوسور، DeSaussure): دراسة التقابلات أو الثنائيات في ثنائية اللغة والكلام، ومحوري التعاقب والتزامن^(٣)، وثنائية الدال والمدلول، والتحول واللاتحول^(٤)، وثنائية النموذج القياسي والسياقي، وثنائية الصوت

(١) المظفر، محمد رضا. (٢٠٠٦). المنطق. (ط ٣) بيروت، لبنان: دار المعارف للمطبوعات، ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١.

(٣) دي سوسير، فرديناند. (١٩٨٥). دروس في اللسانيات العامة. (ط ١) ترجمة: صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيبة، طرابلس، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ص ٩.

(٤) المرجع السابق، ص (١٠٩-١١٦).

والمعنى^(١)؛ فالعالم (دي سوسور) ينظر إلى اللغة على أنها نظام من الاختلافات، وتَبَنَّتْ مدرسته مفهوم (التضاد) في طروحاتها بوصفه المحور الأساس الذي تقوم عليه البحوث والدراسات اللسانية سواء على مستوى الشكل أو البنية؛ فقد عدوا هذا المفهوم عنصراً أدبياً وجمالياً يتكون أساساً في بنية الخطاب، ومن خلاله يتشكل المعنى على مستوى التحليل^(٢)، وتَبَنَّتْ مدرسة كوبنهاجن مبادئ (دي سوسور) وأعطت لها صياغة معاصرة، ومن أبرز علمائها (بروندال، Brondal) الذي اعتمد في دراساته على المبدأ الثنائي الوظيفي، فَمَيَّزَ بين السلب والإيجاب وهي مصطلحات تنطبق على - أية أضداد، وأقام ثنائيات أخرى بين المفرد والجمع، والماضي والحاضر^(٣).

فأصبح مفهوم الثنائية يشكل عصب المدرسة البنائية في النقد والتحليل البنيوي، ويعود هذا المفهوم بوصفه مفهومًا بنيويًا من دراسات (ليني-شتراوس) إلى الأساطير، فلا تستخدم البنيوية فكرة الثنائيات الضدية من جهة الكلمات والمفاهيم فحسب، بل من جهة تقاليد النص ورموزه^(٤).

(١) فضل، صلاح. (١٩٩٨). نظرية البنائية في النقد الأدبي. (ط١)، القاهرة، مصر: دار الشروق، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص، ص (١٩، ٣٣، ١٠١)

(٣) Lois .Ijlemslev, Prolegomenes auna teoria del lenguaje, 1943, Trad MadridI (1974). P.20

(٤) A.J.Greimas et J.Courtés(1980), (La Binarité). (Dichotomie) p p.47-49.

لكن من وجهة نظر اللغويين العرب فالتضاد يدور حول معنيين أساسيين هما: المعنى الأول: وجود لفظ واحد له معنيان متضادان، الجون يدل على الأبيض والأسود، والجلل يدل على العظيم والحقير. والمعنى الثاني: أن هناك لفظين اختلفا من حيث النطق والمعنى، مثل الصغير في مقابل الكبير، والضعيف في مقابل القوي^(١)، وتعتمد هذه الدراسة على النوع الثاني، وهو التضاد اللفظي والمعنوي، وهو المعنى المقصود للتضاد في هذه الدراسة.

(١) منى، الزهراء. (٢٠٠٧). ظاهرة التضاد في لغة الضاد وأثرها في تفسير القرآن الكريم. رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ص ٣٢.

المطلب الرابع: الثنائية الضدية أنواعها وأثرها في فهم الدلالة.

لا يمكن إهمال هذه الظاهرة في الدرس اللغوي الحديث، خصوصاً في الدراسات البنيوية والتأويل السيميائي الكاشف عن أهمية التلقي للنص المراد فهمه، وكذلك ترجمة الخطاب في ضوء هذا التعالق بين الاتجاهين، ومن اهتمام الدراسات الدلالية الحديثة ببنية الثنائيات الضدية وصيغها تقسيمها إلى أنواع متنوعة لكل منها حدوده ومميزاته، وذلك على النحو الآتي:

١- التضاد الحاد: (ungradable)

التضاد الحاد يتضح في (حي / ميت)، (متزوج / أعزب)، وهذا النوع غير متدرج تتكامل فيه دلالة اللفظين تكاملاً متضاداً، لا يسمح بأي تقارب أو تدرج دلالي بينهما^(١)، وهذا النوع قريب من النقيض عند المناطقة، ويتفق مع قولهم: إن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، أو إنهما لا يمكن أن يصدقا معاً، أو يكذبا معاً^(٢).

٢- التضاد المتدرج: (gradable)

هذا النوع من التضاد النسبي يكون بين (ساخن / بارد)، فهناك درجات من السخونة والبرودة متعددة تجعل التضاد نسبياً، وغيره من الأمثلة مثل (جميل /

(١) نحر، محمد عبد المقصود. (٢٠٠٢م). الثنائيات المتضادة في النص الشعري، ط٢، القاهرة: دار

العلم. ص ٢٦٤

(٢) المظفر، محمد رضا. (٢٠٠٦). مرجع سابق، ص ١٧٥.

أجمل/ جميل جدًا^(١)؛ لذا يصفه المناطقه بأن الحدين فيه قد يكذبان معًا، بمعنى أن شيئًا قد لا ينطبق عليه أحدهما، إذ بينهما وسط^(٢).

٣- التضاد المتبادل: (converseness)

التضاد المتبادل أو العكسي هو علاقة بين أزواج من الكلمات، مثل زوج - زوجة، باع- اشترى، فلو قلنا: إنَّ محمدًا باع منزلًا لعلي، فيعني هذا أنَّ عليًا اشترى منزلًا من محمد، ولو قلنا: محمد والد علي فإن هذا يعني أنَّ عليًا ولد محمد^(٣).

٤- التضاد الاتجاهي: (directional opposition)

هو تضاد خاص بالاتجاهات المكانية (أعلي/ أسفل)، (فوق، تحت)، وهناك نوع متفرع منه وهو ما يسمى بالتضاد العمودي (شرق/ غرب)، (شمال/ جنوب)^(٤).

٥- التضاد الاسمي: (nominal antonym)

هو التضاد الذي يقع في الأسماء ولا تدخل في معناه دلالة الأزمنة الثلاثة في الأفعال، مثل: الماضي والحال والمستقبل، ولا يرى فيه التجدد والتحرك والحيوية، بل الثبوت وترسخ المعنى وتحويله إلى الصفة الثابتة التي لا تتغير، نحو:

(١) نحر، محمد عبد المقصود. (٢٠٠٢م)، مرجع سابق، ص ٢٦٤

(٢) المظفر، محمد رضا. (٢٠٠٦). مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٣) العبد القادر، بدر (٢٠٢٠م)، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٤) نحر، محمد عبد المقصود. (٢٠٠٢م)، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

وأنا في الوطن كنت أبكي شوقاً للرحيل إلى المنفى / وها أنا اليوم أبكي / لأنني
حققت أحلامي^(١).

٦- التضاد الفعلي: (actual antonym)

هو التضاد الذي يكون طرفاه فعلين، ومن الجلي أن بنية التضاد التي
يشكلها البناء الفعلي في النص توحى بالدوام والاستمرارية والتحول في فضاء
الدلالة والصورة؛ لأنَّ النسق الفعلي هو نسق يحتمل التغيير والتحول والمراوغة
الأسلوبية التي تظهر ببراعة جماليات هذا التضاد، ويكون ذلك بين (اتفق)،
وبين (اختلف)^(٢).

٧- التضاد الحرفي: (Literal antonym)

هو التضاد الذي يقع بين الحروف المقترنة بغيرها؛ فالحرف لفظ لا يظهر
معناه إلا إذا اقترن بغيره، ومن بين تضاد الحروف التضاد الحاصل بين (منها)،
وبين (فيها)^(٣)، وذلك إذا اتصلت (من) التي هي لابتداء الغاية، و(في) الظرفية
التي هي للظرفية المكانية مع الضمير (هاء)، الذي يعود على الجنة؛ لكونه من
سكانها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ
إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ١٣]

-
- (١) محمد، هادي حسن. (٢٠١٣م). ظاهرة التضاد في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى، مجلة
مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد الحادي والثلاثون، ص ٦٦.
- (٢) عمر، عائشة أنور. (١٤٣٥هـ). فاعلية التضاد وجمالياته في تشكيل الصورة البصرية عند أبي تمام،
غزلياته أنموذجاً، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، جامعة تكريت/ العلوم
السياسية، ص ١٠٢.
- (٣) محمد، هادي حسن. (٢٠١٣م). مرجع سابق، ص ٦٦.

والثنائيات الضدية تفصح عن الاختلافات التي يقع فيها البشر، حيث إنّ التقابل الضديّ أمر أساس للمعرفة الإنسانية؛ فَبِه نقع على الاختلافات، ولولا ذلك لوجدنا أنفسنا أمام أشياء تتوالى على نحو عشوائي، ولا تكون قابلة – عندئذ – للإدراك^(١).

والأمر هنا يتعلق بالأبعاد السيمائية على مستوى الدلالات وما نتج عنها من إثارة الأسئلة؛ حيث تَنبِي الأسئلة سواء أكانت أسئلة الشخصيات أم أسئلة المتكلم للمخاطب والحوار الذي يدور بينهما، وهو الأمر المفيد جدًّا في عملية فهم المعنى عند المتعلم ومدى إدراكه للكلام المنطوق أو المكتوب. وهنا يشير (عز الدين إسماعيل) إلى علاقة الثنائيات الضدية بالأسئلة فيقول: "تعليلًا على ثنائية الأسئلة في السؤال والجواب: إنها بنية ثنائية متلازمة على خلاف ما قد يتبادر إلى الأذهان من أن السؤال والجواب يشكلان معًا بنية خاصة، شأنها شأن التضاد الذي ينشط العقل البشري وفقًا له في كثير من المواقف^(٢)، ويعني هذا أن التقابلات ستؤول على مستوى الرؤى أو وجهات النظر إلى تكامل وألفة عبر التعالق بين المعاني المتضادة، كما تسعى إلى التكامل

(١) السهمي، دكتور صالح أحمد. (٢٠٢١). الثنائيات الضدية وبناء الدلالة في رواية "حارس السفينة" لعبد الله ناجي. مجلة الآداب، تعني بالدراسات اللغوية والأدبية، (العدد ١١) سبتمبر، ص ٣٠٣.

(٢) إسماعيل، عز الدين. (٢٠٠٥). جماليات السؤال والجواب كدراسات نقدية. (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي، ص ١٣.

نحو معنى عام جامع تتجلى فيه الألفة والتكامل^(١)، وهو فكرة الموضوع المدرّس، أو المخصوص بالدرس للمتعلم خصوصاً أنه ناطق بغير العربية أصلاً. ومن جهة أخرى يتعلق لدى الدارس والمتعلم صراع بين العلاقات اللغوية وبناء الدلالة من خلال الثنائيات الضدية؛ ينتج عنه تفاعل هذه الثنائيات في النص، ومن ثم تكشف الثنائيات الضدية عن فاعلية مهمة في بناء الدلالة داخل الخطاب اللغوي.

(١) السهيمي، دكتور صالح أحمد. (٢٠٢١). مرجع سابق، ص ٣٠٤.

المبحث الثاني الدراسة التطبيقية.

المطلب الأول: سلسلة العربية بين يديك.

تجري الدراسة التطبيقية على كتاب (العربية بين يديك)، تأليف الدكتور عبد الرحمن الفوزان، والدكتور محمد عبد الخالق فضل، والدكتور مختار الطاهر حسين، وإشراف الدكتور محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، الإصدار الثاني - عام النشر (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)، وتتكون السلسلة من أربعة كتب، تناسب مستويات الطلاب المختلفة على النحو الآتي:

١. يستهدف الكتاب الأول مجموعة الطلاب المبتدئين، وهم الطلاب في المرحلة الأولى من تعليم العربية؛ حيث يتناول الكتاب أدوات الإشارة للقريب والبعيد، وكلمات وجملاً بسيطة متعلقة بحياة المتعلم؛ لغرض تعلق هذه الموضوعات بذهن المتعلم، وتكون سهلة التعلق به^(١).

٢. يستهدف الكتاب الثاني مجموعة الطلاب في المستوى المتوسط، وخصوصاً من لهم سابق خبرة في تعليم العربية، ويُعدُّ هذا الكتاب بداية المستوى المتوسط؛ حيث تتعلق موضوعاته بالفصل الدراسي، وتدور حواراته في معظمها داخل الفصل الدراسي بين المدرس ومجموعة الطلاب، ويعد هذا الكتاب جيداً للطلاب في المدارس الثانوية ممن لهم سابق خبرة في تعلم العربية، كما أنه يعد مفيداً للحوارات والمناظرات باللغة العربية في هذا المستوى^(٢).

(١) الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، وآخرون. (٢٠١٤). مرجع سابق، ك ٢، ص (ل)

(٢) المرجع السابق، ك ٢، ص (ل).

٣. يستهدف الكتاب الثالث من السلسلة مجموعة الطلاب الذين أتموا الكتابين الأول والثاني، وهو موجه في الدرجة الأولى إلى المستوى المتوسط المتقدم؛ حيث يتضمن الكتاب مجموعة من القواعد اللغوية وتقسيماتها، وعلامات الإعراب الأصلية والفرعية، والمشتقات من أمثلة: اسم الزمان والمكان واسم الآلة ونحوها، وأنواع الاسم من المعرفة والنكرة والتثنية والجمع بأنواعه، وأنواع الجملة والمبتدأ والخبر، وكم الاستفهامية والخبرية، ويعقبها حوارات ومناقشات متنوعة داخل الفصل وخارجه في المكتبة وغيرها، والكتاب في هذا المستوى يركز على بناء المتعلم بناء لغويًا سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية^(١).

٤. جاء الكتاب الرابع من السلسلة مخصصًا للمستوى المتقدم، وفيه يشير المؤلف إلى أن الغرض من الكتاب في هذا المستوى ليس مواصلة الدراسة النحوية، وإنما هو كتاب شامل لتعليم اللغة العربية بنحوها وصرفها ومفرداتها وجوانبها الأخرى؛ إذ يُعنى بهذه الجوانب كلها عند الشرح^(٢).

وأهم ما تتميز به السلسلة في كتبها الأربعة من وجهة نظري ما يأتي:

١. استخدام اللغة العربية الفصحى، وهي الأنفع والأفضل لشيوعها في العالم الإسلامي كله من جهة، فضلًا عن أنها لغة النصوص اللغوية والعربية من أول كتاب الله تعالى "القرآن الكريم" والحديث الشريف، وصولًا إلى كونها لغة العلوم العربية والكتب العربية المختلفة.

(١) المرجع السابق، ك ٣، ص (ل).

(٢) المرجع السابق، ك ٤، ص (ل).

٢. يراعي الكتاب الثقافة العربية والإسلامية والمعرفية؛ فالكتاب ليس حصراً على المجتمع السعودي الذي أُلِّف فيه، بل الكتاب شامل للعالم العربي وغير العربي؛ مما يجعله صالحاً في تعليم الطلاب العربية في كل مكان وزمان.

٣. تتنوع موضوعات الكتاب تنوعاً واضحاً يلمس حياة المتعلم اليومية والدراسية والمعيشية، والمواقف التي تدور حول ذلك؛ مما يؤهله لأن يكون ضمن مقررات دراسية أساسية في المراكز العالمية لتميزه بجدائته وأصالة لغته من جهة، ومناسبة محتواه العلمي والثقافي المتوازن لجميع الأعراق والبيئات والثقافات من جهة أخرى.

٤. يبني الكتاب نصوصاً حوارية وسردية تتدرج من السهل إلى الصعب، وتناسب المواقف اليومية، واختيرت لتكون أقرب إلى الحياة اليومية الطبيعية في الفصل الدراسي، وتتسم في مجملها بالثقافة الإسلامية والعربية الخالصة، والسر في ذلك أن الكتاب مؤلف ومطبوع في السعودية، وهي الأكثر محافظة على الثقافة العربية والإسلامية.

٥. يقوم الكتاب على منهج علمي يسير في التعليم، ويتبنى المهارات اللغوية المختلفة ويساعد على تنميتها في التعليم، ويبدأ من تعليم المفردات وصولاً إلى تعليم التعبيرات وصياغة الجمل بأسلوب عربي صحيح خالٍ من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية، متنوع في التدريبات والجمل والأساليب.

٦. يعتمد المؤلف على تدريبات للطلاب، ومن خلال المدرس يمكن الكشف عن مواطن الضعف عند الطلاب وعلاجها بطرق مختلفة، أهمها التدريب على الحوار في المواقف المختلفة.

٧. يُردف الكتاب كل درس من الدروس وكل موضوع من الموضوعات بتدريبات متنوعة في محتواها وكيفيةها؛ مما يجعل المتعلم يُتقنُ محتوى الدرس ويستخدمه في هذه التدريبات المتنوعة، والجدير بالذكر هنا أن الكتاب عقب كل موضوع يكشف النقاب في تدريبات كل درس عن قواعده التي بُنيت في الدرس من خلال التدريب المباشر عليها، وليس سردها في قاعدة لغوية جامدة؛ فالكتاب أقرب إلى استخدام القواعد في أساليبها اللغوية وليس حفظها مجردة كعادة الكتب العربية الجامدة المنتشرة في أروقة المعاهد والجامعات العربية.

٨. يضع الكتاب أحياناً بعض الموضوعات في رسوم تشبه الخرائط الذهنية؛ مما يجعل التعليم والتدريب عليه أمراً سهلاً وميسوراً، وإن كان هذا الأمر قليلاً جداً بين طيات الكتاب، مثل: التفريق بين المفرد والجمع، وبين الغائب والمخاطب في الكتاب الثاني^(١)، والتفريق بين صيغ المعلوم والمجهول في الكتاب الثالث^(٢)، والتفريق بين المجرد والمزيد من الأفعال في الجزء الرابع^(٣).

٩. التكامل القائم بين مهارات اللغة المستخدمة في الكتاب وبين عناصرها في نصوص متنوعة بين الحوار والسرد والقصص والإخبار وغيرها، والملاحظ بشدة اعتماد الكتاب على النص الحوارية في الكتابين الأول والثاني، وسبب ذلك حاجة الطلاب في مستواهم المتوسط إلى التدريب على الكلام وإدراك أهمية

(١) الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، وآخرون. (٢٠١٤). مرجع سابق، ك ٢، ص (٥٥).

(٢) المرجع السابق، ك ٣، ص (٣٣).

(٣) المرجع السابق، ك ٤، ص (٨٦).

الحوار في إتقان اللغة ذاتها من جهة، وأهمية التواصل بين المتعلم وبين غيره من جهة أخرى؛ حتى يشعر المتعلم باللغة ويحبها أكثر من كونه يحفظها أو يقرأها. ١٠. يتناول الكتاب طريقة التعليم بأسلوب سهل قريب إلى مستوى الطلاب في المدارس أو حتى مستوى المبتدئ في التعليم وإن كان شيخًا كبيرًا طاعنًا في العمر، والغرض من هذا رغبة المؤلف في تيسير التعليم من جهة، وغرس حب تعليم العربية في قلوب المتعلمين من جهة أخرى.

المطلب الثاني: الثنائيات الضدية في نصوص سلسلة (العربية بين يديك).

يتناول هذا المطلب بنية الثنائيات الضدية وصيغها في كتب "العربية بين يديك" كل جزء على حدة، مع بيان هذه الثنائيات عند عرض المادة المدروسة، ويشمل التحليل الأمور الآتية:

١. عدد الثنائيات الضدية في كل كتاب إجمالاً وصيغها في نصوص الكتاب في جدول مستقل.
٢. مقارنة نسبة الثنائيات وصيغها مع العدد الكلي في الكتاب الواحد، وبيان النسبة المئوية.
٣. توضيح عدد تكرارات نوع الثنائيات، وبيان نسبتها في كل كتاب على حدة.
٤. توجيه عدد تكرارات الثنائيات في كل كتاب وربطها بالمستوى التعليمي للمتعلم.
٥. عقد مقارنة بين الثنائيات وصيغها في نصوص السلسلة، وتوضيح نتائج التكرار ونسبها وربطها بأهداف الكتاب.

أولاً: الثنائيات الضدية في الكتاب الأول من سلسلة "العربية بين يديك".

الثنائيات الضدية في نصوص الكتاب الأول (١)							
صيغ الثنائيات الضدية		بناء الثنائيات ونسبتها					(١)
من حيث المبنى ونسبتها							
تضاد	تضاد	تضاد	تضاد	تضاد	تضاد	تضاد	الثنائيات
حرفي	فعلي	اسمي	اتجاهي	متبادل	متدرج	حاد	الضدية
٦	٢٠	١٠	١٥	٧٠	٩١	١٤٦	التكرار
%٢,١	%٥,٥	%٢,٧	%٤,١	%١٩,٤	%٢٥,٢	%٤٠,٥	النسبة
مجموع الثنائيات الضدية في الكتاب الأول (٣٥٨) موضعاً							

في هذا الجدول تَتَبَّن بعض الدلالات على النحو الآتي:

احتوى هذا الكتاب على ست عشرة وحدة في صورة دروس قصيرة مختصرة، واعتمد المؤلفون على الثنائيات كثيراً في هذا الكتاب، والسبب في ذلك فيما يبدو أن الكتاب يريد أن يثير بهذه الثنائيات التعلق بالدرس حتى لا ينفك عنه المتعلم؛ فكان نصيب رصيد المتعلم من الثنائيات الضدية في هذا المستوى أكثر من غيره، وتحليل الأرقام السابقة تتجلى الحقائق الآتية:

١. احتل **التضاد الحاد** المرتبة الأولى في جدول استخدام الثنائيات؛ حيث مثل نسبة ٤٠,٥٪ من نسبة هذه الثنائيات في الكتاب الأول، ومن أمثلة هذا التضاد: أب وأم، وأخ وأخت، وجميل وقبيح، وغني وفقير، وسهل وصعب، وغير ذلك الكثير، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى كثرة استخدام المؤلفين للمفردات السهلة والواضحة في المعنى من أجل تنمية رصيد المتعلم اللغوي في هذه المرحلة، وهو هدف المؤلفين في الكتاب الأول حيث اختيرت الموضوعات

لتناسب اهتمامات الدارسين، وتيسير عملية التعليم، وتمكين الدارس من استعمال اللغة والتواصل بها^(١).

٢. جاء بعده **التضاد المتدرج** حيث مثلت نسبة استخدامه ٢٥,٢٪ من مجموع استخدام الثنائيات الضدية عامة، ومن أمثله، طويل وقصير، وبارد وحرار، وصغير وكبير، وغير ذلك. ويعود سبب الاعتماد على هذا النوع من التضاد في الكتاب الأول إلى استخدام الجمل القصيرة والتراكيب السهلة التي تتضمن توجيهات وقيم وإرشادات^(٢)؛ إذ إن هذا النوع من التضاد يسمح بوجود تفاوت في المعنى بين الثنائيات المتضادة؛ مما يفيد في بناء وتنمية رصيد المتعلم من خلال تعدد المعاني واتساع الدلالة.

٣. حصل **التضاد المتبادل** على نسبة ١٩,٤٪ من مجموع الثنائيات الواردة في الكتاب الأول، مثل: زوج وزوجة، وصحيح ومريض، وجديد وقديم، وقريب وبعيد، وغير ذلك. ويعود السبب في ذلك إلى اعتماد المؤلفين على النصوص الحوارية في الكتاب الأول^(٣)، فالعلاقة التبادلية بين المتضادين مترابطة؛ إذ لا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر.

٤. احتل **التضاد الفعلي** المرتبة الرابعة بنسبة ٥,٥٪ من مجموع الثنائيات الضدية عامة، ومن أمثلة ذلك: دخل وخرج، وجلس ووقف، وذهب ورجع. وحرص المؤلفون في هذا الكتاب على تقديم نسبة معتدلة من المعاني المتفاوتة

(١) الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، وآخرون. (٢٠١٤). مرجع سابق، ك ١، ص (ي).

(٢) المرجع السابق، ك ١، ص (ل).

(٣) المرجع السابق، ك ١، ص (ي).

دلائلًا وإضافتها إلى رصيد المتعلم^(١)، فاستخدم التضاد الفعلي لتوضيح العلاقات الوظيفية البسيطة للمفردات داخل التراكيب السهلة؛ مما يساعد على إكساب المتعلم كليات لغوية في المستوى المبتدئ.

٥. جاء بعد ذلك **التضاد الاتجاهي** بنسبة ٢,٧٪ من مجموع الثنائيات الضدية، ومن أمثلة ذلك: فوق وتحت، وأمام وخلف، وقبل وبعده، وهذا النوع من التضاد لا يقبل التفاوت في المعنى بين اللفظتين؛ إذ إن هذا التضاد يستلزم التلازم الدلالي لدى المتعلم، وهذا سوف يساعد المتعلم على تنمية اكتسابه المفردات والمعاني، وإدراك العلاقة بينها في المستوى المبتدئ.

٦. جاء **التضاد الاسمي** في المرتبة السادسة بنسبة ٢,٧٪ من المجموع الكلي، مثل الحار والبارد، ومسرور وحزين، وواسع وضيق. فالتضاد الاسمي يتميز بالثبات وتوليد المعاني، ولعلَّ سبب قلة الاعتماد عليه في هذا الكتاب يعود إلى رغبة المؤلفين في الاعتدال عند تقديم التراكيب اللغوية للمستوى المبتدئ في الكتاب الأول^(٢).

٧. وفي المرتبة الأخيرة جاء **التضاد الحرفي** بنسبة ٢,١٪ من المجموع الكلي، ومن أمثلته: نعم للجواب في الإثبات ولا للجواب في النفي. ولعلَّ صعوبة استخدام تراكيب لغوية لمثل هذا النوع لاسيما في الكتاب الأول (المستوى المبتدئ) سببٌ في قلة الاعتماد على هذا النوع من التضاد.

(١) المرجع السابق، ك ١، ص (ك).

(٢) المرجع السابق، ك ١، ص (ل).

وبقراءة هذه الأرقام يتضح لنا رغبة المؤلفين في الاعتماد على المفردات الحسيّة في المستوى المبتدئ^(١)؛ من أجل تنمية رصيد المتعلم اللغوي، ونلاحظ قلة التركيز على الأفعال باستخدام أفعال قليلة في هذا الكتاب؛ حتى لا يثير تشكيك المتعلم، ويظل المتعلم مركزًا على الأمور المحسوسة. استخدم المؤلفون هذه الثنائيات لغرض التعريف أكثر بقواعد اللغة مثل: المعلوم والمجهول، والتأكيد على المحسوسات أكثر من المعنويات.

ومن الملاحظ في هذا الكتاب أن المؤلفين لم يرغبوا في تشتيت المتعلم باستخدام الاتجاهات المختلفة، وإنما رغبوا في توحيد الجهة التي يستخدم فيها الأفعال^(٢)، وهذا هو السبب في أننا لا نرى أمثلة كثيرة للتضاد الاتجاهي، فكانت رغبة المؤلفين في استخدام جمل وتعبيرات بسيطة تقليدية بحيث تكون الأقرب إلى المتلقي والمتعلم ولا تبتعد عن الواقع الذي يعيشه المتعلم، فيسهل أن تتعلق المفردات والجمل والتعبيرات بذهن المتعلم، ومن ثمّ تكون زيادة نسبة الرصيد اللغوي لديه عالية في هذا المستوى من تعلم اللغة.

(١) المرجع السابق، ك ١، ص (ك).

(٢) المرجع السابق، ك ١، ص (ك).

ثانيًا: الثنائيات في الكتاب الثاني من سلسلة (العربية بين يديك).

الثنائيات الضدية في نصوص الكتاب الثاني (٢)							
صيغ الثنائيات الضدية من حيث المبنى ونسبتها		بناء الثنائيات ونسبتها					(٢)
تضاد حرفي	تضاد فعلي	تضاد اسمي	تضاد اتجاهي	تضاد متبادل	تضاد متدرج	تضاد حاد	الثنائي ات الضدية
5	85	23	4	32	33	55	التكرار
2.1 %	35.8 %	9.7 %	1.6 %	13.5 %	13.9 %	23.2 %	النسبة
مجموع الثنائيات الضدية في الكتاب الثاني (٢٣٧) موضعًا							

في هذا الجدول تبين بعض الدلالات على النحو الآتي:

احتوى هذا الكتاب على ست عشرة وحدة في صورة دروس قصيرة مختصرة، واعتمد المؤلف على الثنائيات في هذا الكتاب أيضًا غير أننا نلاحظ التوازن النسبي عند تقديم أنواع الثنائيات؛ لأن هذه الثنائيات الضدية تثير ذهن المتعلم مما يجعل التعليم سهلاً ميسوراً، وهذا هو المناسب بالنسبة إلى المتعلم في المستوى المتوسط، وتحليل الأرقام السابقة تتجلى الحقائق الآتية:

١. احتل التضاد الفعلي المرتبة الأولى في الجدول حيث مثل نسبة ٣٥,٨٪، ومن أمثلة ذلك: دخل خرج، ذهبوا ورجعوا، فتح وأغلق، هاتِ خذ، وقد كثر استخدام التضاد الفعلي في الكتاب الثاني لمناسبته لمعجم المتعلم في المستوى

المتوسط^(١)؛ إذ يساعد على تنمية رصيد المتعلم من المعارف، وتوليد الأفكار من خلال المتضادات الزمنية بين المعاني في البنية النصية للجملة.

٢. ثم **التضاد الحاد** حيث مثَّلت نسبة استخدامه ٣٢,٢٪ من مجموع استخدام الثنائيات الضدية عامة، مثل: أب وأم، زوج وزوجة، ومتزوج وأعزب، وخالات وعمّات، والجد والجدة، وغير ذلك. ونجد هنا أن التضاد الحاد انتقل في الكتاب الثاني إلى المرتبة الثانية بعد أن كان يعتمد عليه المؤلف في الكتاب الأول؛ لأن هذا النوع من التضاد لا يسمح بالتفاوت في المعاني المتضادة، وتعد مفرداته بسيطة نوعًا ما، وهو يحتاج إلى مفردات عالية الفهم وليست قريبة الفهم كما في التضاد الحاد^(٢)، فلزم التقليل من الاعتماد على مثل هذا النوع في الكتاب الثاني.

٣. جاء **التضاد المتدرج** بنسبة ١٣,٩٪ من مجموع الثنائيات عامة، مثل: أوسع وأضيق، وضعيف وقوي، وطويلان وقصيران، وصغار وكبار، وغير ذلك، وهذا النوع يسمح بالتفاوت في درجات المعنى؛ إذ إن نصوص الكتاب الثاني تدور حول الحياة اليومية للمتعلم، وهذا النوع من التضاد يساعد على بناء رصيد لغوى للمتعلم عن حياته اليومية والمواقف التي يتعرض لها.

٤. احتل **التضاد المتبادل** المرتبة الرابعة بنسبة ١٣,٥٪ من مجموع الثنائيات عامة، ومن أمثلته: ناجح وراسب، وسهل وصعب، والمريض والطبيب، وغير ذلك. ونجد أن النصوص الاتصالية في هذا الكتاب جعلت المؤلف يعتمد على

(١) المرجع السابق، ك ٢، ص (ث).

(٢) المرجع السابق، ك ٢، ص (ر).

هذا النوع من التضاد^(١)؛ وذلك من أجل توضيح المعنى وتنمية رصيد المتعلم بمفردات تنقله من الدلالة التمثيلية إلى الدلالة التواصلية.

٥. حصل التضاد الاسمي على نسبة ٧,٩٪ من مجموع الثنائيات الضدية، مثل: الشتاء والصيف، مسرورة وحزينة، الغالية والرخيصة، وغير ذلك. فنجد المؤلفين في هذا الكتاب يحرصون على إظهار المعاني المتضادة في سياقها التركيبي الاسمي^(٢)، ثم يقومون بربطها بالمعاني الجديدة من خلال المواقف اللغوية، وذلك باستحضار المعاني الذهنية للمتضادات الاسمية.

٦. أما التضاد الحرفي فقد حصل على نسبة ٢,١٪ من المجموع الكلي، ونلاحظ أن المؤلف استخدم الأمثلة نفسها في الكتاب الأول: نعم للجواب في الإثبات، ولا للجواب في النفي، فيتبين لنا قلة اعتماد المؤلف على التضاد الحرفي في الكتابين الأول والثاني، أي في المستوى المبتدئ والمستوى المتوسط، وعلة ذلك -من وجهة نظري- أن تركيب مثل هذا النوع من التضاد بحاجة إلى مستوى لغوي متقدم، وتراكيب معقدة ذات سياق دلالي مترابط المضمون لتكوين نصوص طويلة إلى حد كبير، وهو ما لا يُناسب نصوص المستوى المبتدئ والمتوسط.

٧. وفي المرتبة الأخيرة جاء التضاد الاتجاهي بنسبة ١,٦٪ من مجموع الثنائيات الضدية، مثل: أمام وخلف، وفوق وتحت، ولعلَّ السبب في ذلك أن مثل هذا النوع من التضاد لا يقبل التفاوت في درجات المعاني بين الثنائيات المتضادة،

(١) المرجع السابق، ك ٢، ص (س).

(٢) المرجع السابق، ك ٢، ص (ذ).

ثم إن مفرداته قليلة في الغالب، وقد استوعبها الكتاب الأول ولا تستخدم في الكتاب إلا من أجل بناء معارف لغوية جديدة يكون الهدف منها تنمية الجانب الدلالي لدى المتعلم.

وبقراءة الأرقام السابقة نجد أن تركيز المؤلفين على الثنائيات في الأفعال جاء أكثر من المستوى الأول، لرغبتهم في تدريب المتعلم على الجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية، ويدرك المتعلم في هذا المستوى الفرق في استخدام الفعل مع الضمير المناسب له إفرادًا وتثنية وجمعًا، كذلك التدريب على الصيغ المختلفة في العربية من حيث الإفراد أو التثنية أو الجمع، وكذلك صيغ التذكير والتأنيث، وصيغة اسم التفضيل، وغيرها من القواعد اللغوية التي ذكرها في هذا الكتاب، واستحضار المعاني الضدية وربطها بالمعاني والأساليب الجديدة بطريقة سهلة قريبة لمعجم المتعلم اللغوي، ومن ثمَّ تساعد على تنمية رصيده اللغوي.

نلاحظ في هذا الكتاب أن المؤلفين حرصوا على تنمية مهارة المتعلم في بناء الجمل المركبة من الفعل والفاعل والمفعول، والجملة الطويلة المعقدة، وظهر ذلك في أساليب الحوار في الجزء الأخير من هذا الكتاب، ولعلَّ السبب في كثرة استخدام التضاد الفعلي في هذا الكتاب يعود إلى الآتي:

- أنه يساعد على تنمية رصيد المتعلم للقضية التي يدرسها، بما يبرزه من تناقضات بين المعاني الظاهرة والمستترة في البنى الصغرى والكبرى للنص.
- أن التضاد الفعلي يكشف الجوانب الدلالية من خلال تفاوت المعاني وتباينها؛ مما يثري الجوانب الثقافية والاتصالية لدى المتعلمين.

ثالثًا: الثنائيات في الكتاب الثالث من سلسلة (العربية بين يديك):

الثنائيات الضدية في نصوص الكتاب الثالث (٣)							
صيغ الثنائيات الضدية من حيث المبنى ونسبتها		بناء الثنائيات ونسبتها					(٣)
تضاد حرفي	تضاد فعلي	تضاد اسمي	تضاد اتجاهي	تضاد متبادل	تضاد متدرج	تضاد حاد	الثنائي ات الضدية
2	52	18	14	28	17	38	التكرار
1.1 %	30.7 %	10.7 %	8.2 %	16.5 %	10.5 %	22.5 %	النسبة
مجموع الثنائيات الضدية في الكتاب الثاني (١٦٩) موضعًا							

في هذا الجدول تبين بعض الدلالات على النحو الآتي:

احتوى هذا الكتاب على ست عشرة وحدة في صورة دروس مطولة بعض الشيء عن الكتابين السابقين، واعتمد المؤلفون على الثنائيات بصورة أقل من الكتابين الأول والثاني أيضًا؛ ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى أن مؤلفي هذا الكتاب والذي يليه حَصَّصُوا المادة العلمية فيه للقواعد النحوية أكثر من غيرهما، وتحليل الأرقام السابقة تتجلى الحقائق الآتية:

١. احتل التضاد الفعلي المرتبة الأولى في جدول الثنائيات؛ حيث مثل نسبة ٣٠,٧٪، ومن أمثله في هذا الكتاب: سافر وقعد، ضرَّ ونفع، حضر وغاب؛ فالمؤلف يشرح في هذا الكتاب القواعد^(١)؛ لذا وجدنا المؤلفين يلحَقون بالفعل

(١) المرجع السابق، ك ٣، ص (د).

الضمائر المختلفة، فتارة يلحقون به ضمير المثنى، أو الجمع، أو علامة التأنيث التي تلحق الفعل الماضي، كما في نصبت و سطحت، وهذا مناسب للمستوى المتوسط كثيراً من جهة ومناسب لتنوع القواعد الواردة في الكتاب من جهة أخرى، ويساعد المتعلم على تنمية رصيده اللغوي من خلال توظيف ذلك في بناء معرفة جديدة.

٢. جاء **التضاد الحاد** في المرتبة الثانية؛ حيث مثلت نسبة استخدامه ٢٢,٤٪ من المجموع كله، مثل: الماضي والمستقبل، الراكب والماشي، القليل والكثير، الناجح والراسب، القاتل والمقتول، وغير ذلك. وهذا النوع من التضاد لا يقبل وجود فروقات في درجات المعاني المتضادة، إلا أنه يفيد في تحقيق هدف الكتاب لقدرته على إظهار المعاني الجديدة للثنائيات المتضادة^(١)، (الفوزان، ٢٠١٤: ٣/ز)، فيساعد المتعلم على تنمية رصيده اللغوي بدءاً من السهل وصولاً إلى الصعب.

٣. احتل **التضاد المتبادل** المرتبة الثالثة بنسبة ١٦,٥٪ من مجموع الثنائيات الضدية عامة، ومن أمثلته: السماوات والأرض، المعلوم والمجهول، المشوي والمقلي، وغير ذلك. وهذا النوع من التضاد لا يقبل التفاوت في درجات المعنى لكنه يفيد المتعلم في تنمية رصيده اللغوي من خلال الألفاظ السهلة القريبة من الفهم؛ فالمؤلف بحاجة في هذا الكتاب إلى زيادة الحصيلة المعجمية لدى المتعلم من خلال هذا النوع من التضاد.

(١) المرجع السابق، ك ٣، ص (ز).

٤. احتل **التضاد الاسمي** المرتبة الرابعة نسبة ١٠,٦٪ من مجموع الثنائيات، مثل: زائرٌ ومقيمٌ، الحل والترحال، الآن وأمس، الصيف والشتاء، وغير ذلك؛ ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى رغبة المؤلف في بناء خبرات معرفية جديدة لدى المتعلم لاستحضار رصيده اللغوي السابق من أجل تفسير المعاني الدلالية المتضمنة في التضاد الاسمي.

٥. جاء بعد ذلك **التضاد المتدرج** بنسبة ١٠,٥٪ من مجموع الثنائيات الضدية، مثل: معلوم ومجهول، وصحيح وخطأ، وصغير وكبير، وغير ذلك. وهذا النوع من التضاد يقبل درجات التفاوت في المعاني المتضادة؛ مما يساعد المتعلم على بناء رصيد لغوي يقوم على بناء تراكيب لغوية سهلة، لتفسير المواقف اللغوية في حياته اليومية.

٦. في المرتبة السادسة **التضاد الاتجاهي** بنسبة ٨,٢٪ من مجموع الثنائيات الضدية، مثل: فوق وتحت، وأمام وخلف، وهنا وهناك، وهذا النوع من التضاد غير قابل للتفاوت في درجات المعاني المتضادة، وكان الغرض من استخدامه في نصوص الكتاب مساعدة المتعلم في ربط التراكيب المقدمة بطريقة سهلة وميسرة.

٧. وفي المرتبة الأخيرة **التضاد الحرفي** بنسبة ١,١٪ من مجموع الثنائيات، وقد استخدم الأمثلة نفسها في الكتاب الأول، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى أن التضاد الحرفي دائماً ما يوصف بعدم ثبوت المعنى للثنائيات المتضادة، فلا توجد احتمالية للمعنى، وبذلك يغلب عدم استقرار المعنى في معجم المتعلم.

ونلاحظ أن المؤلفين في هذا الكتاب استخدموا الثنائيات الضدية ذات القدرة على إكساب المتعلم قواعد اللغة بطريقة سهلة ميسورة، والتي لها القدرة على الإسهام في بناء النص التعليمي وفق تراكيب لغوية بسيطة تناسب أغراض الدارسين؛ كونه يقبل التعبير عن مهارات التفكير التي تعينه على فهم الدلالات اللغوية.

رابعاً: الثنائيات الضدية في الكتاب الرابع من سلسلة (دروس العربية):

الثنائيات الضدية في نصوص الكتاب الرابع (٤)							
صيغ الثنائيات الضدية من حيث المبنى ونسبتها		بناء الثنائيات ونسبتها					(٤)
تضاد حرفي	تضاد فعلي	تضاد اسمي	تضاد اتجاهي	تضاد متبادل	تضاد متدرج	تضاد حاد	الثنائيات الضدية التكرار
4	51	19	6	22	23	27	النسبة
2.6%	33.5%	12.5%	3.9%	14.4%	15.1%	17.7%	
مجموع الثنائيات الضدية في الكتاب الثاني (١٥٢) موضعاً							

في هذا الجدول تبين بعض الدلالات على النحو الآتي:

احتوى هذا الكتاب على ست عشرة وحدة في صورة دروس يتناول معظمها قواعد اللغة، واعتمد المؤلفون على الثنائيات في هذا الكتاب أيضاً، بيد أن هذه الثنائيات تخدم المادة اللغوية المتصلة بقواعد اللغة من نحو وصرف، وتجعل القاعدة تعلق بذهن المتعلم بطريقة سهلة أيضاً، وتحليل الأرقام السابقة تتجلى الحقائق الآتية:

١. احتل التضاد الفعلي المرتبة الأولى في جدول استخدام الثنائيات بنسبة ٣٣,٥٪ ومن أمثلة في هذا الكتاب: أمسيتم وأصبحتم، أضحك وأبكي، أمات وأحيا، يخلق ويقصر، فرح وغضب، وقد كثر استخدام التضاد الفعلي كثيراً في

الكتاب لمناسبتها للمستوى المتقدم الذي يدرس قواعد اللغة ونظام بناء الجملة بأنواعها^(١)، وذلك يساعد المتعلم على بناء رصيد لغوي أكثر من خلال اكتساب المعاني الجديدة وتوظيفها في تراكيب نحوية وفهم دلالتها.

٢. جاء التضاد الحاد ثانيًا حيث مثلت نسبة استخدامه ١٧,٧٪ من مجموع استخدام الثنائيات عامة، مثل: المتعدي واللازم، والإنس والجن، الحي والميت، العادل والظالم، وغير ذلك، وهذا النوع من التضاد لا يقبل التفاوت في درجات المعاني المتضادة، والهدف منه غالبًا زيادة الرصيد اللغوي للمتعلم^(٢)، من خلال تقديم معاني جديدة مع استحضار صورها الذهنية للمعنى النقيض، وعليه إضافة مفردة التضاد الحاد للرصيد اللغوي تستلزم من المتعلم إضافة نقيضها.

٣. احتل التضاد المتدرج نسبة ١٥,١٪ من المجموع الكلي للثنائيات، مثل: الكسلان والنشيط، الضعيف والقوي، الصحيحة والخاطئة، صغير وكبير، وغير ذلك. وهذا النوع يقبل التفاوت في درجات المعاني المتضادة؛ فالتراكيب اللغوية في هذا الكتاب تكون مفتوحة، وتطلب عمليات فكرية مُكثَّفة من أجل فهم الدلالات اللغوية وتنمية القدرة على التفكير وربط الأفكار.

٤. جاء التضاد المتبادل في المرتبة الرابعة بنسبة ١٤,٤٪ من مجموع الثنائيات الضدية في الكتاب، ومن أمثلته: السفر والإقامة، والعربي والأعجمي، والمجرد والمزيد، والمرسل والمتلقي، وغير ذلك. وهذا النوع من التضاد لا يقبل التفاوت في درجات المعاني المتضادة، وغالبًا ما تكون واضحة المعنى واستخدامها في

(١) المرجع السابق، ك ٤، ص (ز).

(٢) المرجع السابق، ك ٤، ص (س).

المستوى المتقدم يكون من أجل تنمية رصيد المتعلم اللغوي ومساعدة المتعلم في فهم مضمون النص التعليمي بطريقة واضحة.

٥. في المرتبة الخامسة **التضاد الاسمي** الاتجاهي بنسبة ١٢,٥٪ من مجموع الثنائيات، مثل: متأخرٌ ومتقدمٌ، الجنة والنار، الحسنات والسيئات، الجديد والقديم، وغير ذلك. وهذا النوع من التضاد يساعد المتعلم على إثراء رصيده اللغوي من المعاني اللغوية والدلالية واستخدام إستراتيجيات متقدمة في تخمين معاني أخرى^(١)؛ لذا فالهدف الأول من الكتاب الرابع هو مساعدة المتعلم على الوصول إلى الفهم الصحيح في المواقف التواصلية.

٦. جاء **التضاد الاتجاهي** بنسبة ٣,٩٪ من مجموع الثنائيات الضدية، مثل: فوق وتحت، ومشارك ومغارب. وهذا النوع من التضاد لا يسمح بوجود تفاوت في درجات المعاني المتضادة، وجاءت نسبته قليلة في هذا الكتاب، ولعلَّ السبب في ذلك يعود إلى أن مفردات هذا النوع من التضاد سريعة الفهم والاكتساب، وقد سبق تعلمها وإضافتها لرصيد المتعلم في الكتب السابقة، وإنما وردت في الكتاب الرابع لظروف النص التعليمي ومكوناته التي تستلزم فهم التراكيب اللغوية والمواقف الاتصالية.

٧. وفي المرتبة الأخيرة جاء **التضاد الحرفي** بنسبة ٢,٦٪ من المجموع الكلي، وقد استخدم الأمثلة نفسها في الكتب الثلاثة السابقة؛ فالمتعلم في هذه المرحلة أصبح يمتلك آفاقًا دلالية متعددة والتركيز على هذا النوع من التضاد في هذه المرحلة لا يلائم حاجات المتعلمين والهدف الذي وضع من أجله الكتاب الرابع.

(١) المرجع السابق، ك ٤، ص (خ-د).

الخاتمة وأبرز النتائج:

فتح بناء النص التعليمي لمتعلم اللغة من خلال استخدام الثنائيات الضدية في سلسلة (العربية بين يديك) آفاقاً متعددة للتمييز بين المعاني الظاهرة والخفية، أو الصريحة والضمنية، واستحضار معانيها ومقابلاتها، بما يضمن تأهيله وتطوير مهاراته، وتنمية رصيده اللغوي؛ من أجل بناء مفاهيم جديدة لفهم الوظائف اللغوية في مواقفها التعليمية.

وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، لعل أهمها الآتي:

١. المقصود بالثنائيات الضدية وجود أمرين تربط بينهما ظاهرة التضاد بصورة ما، ويظهر أثرها الواضح والفاعل في تنمية رصيد المتعلم اللغوي والثقافي.
٢. تبين بعد تتبع وتحليل سلسلة العربية بين يديك (موضوع الدراسة) أن عدد الثنائيات في السلسلة مجموعة في (٦٨٠) موضعاً، وذلك على النحو الآتي: جاءت الثنائيات الضدية في الكتاب الأول في (٣٥٨) موضعاً، وفي الكتاب الثاني في (٢٣٧) موضعاً، وفي الكتاب الثالث في (١٦٩) موضعاً، وفي الكتاب الرابع في (١٥٢) موضعاً.
٣. جاء التضاد الحاد في (٢٦٦) موضعاً في كتب السلسلة الأربعة؛ من أجل تمكين الدارس من فهم النصوص التعليمية لارتباطه بالجانب التفكيري في البحث عن مضاده، فيساعد المتعلم على تنمية الوعي اللغوي من خلال استنتاجه المعاني الكامنة في مضامين التراكيب اللغوية، ثم جاء التضاد الفعلي في (٢٠٨) مواضع؛ وذلك لأهميته في توكيد ثبات المعاني والربط النصي بين التراكيب، ثم جاء التضاد المتدرج في (١٦٤) موضعاً، لقدرته على تقريب

الدلالة والتمييز بين المعاني في سياقاتها اللغوية، ثم جاء التضاد المتبادل في (١٥٢) موضعاً؛ من أجل استشارة المتعلم لاستنتاج المعاني من دلالاتها المختلفة، ثم جاء التضاد الاسمي في (٧٠) موضعاً؛ وذلك لتقوية الموقف التعليمي من خلال تشكيل ثنائيات ضدية تؤثر في نفس المتلقي، ثم جاء التضاد الاتجاهي في (٤٩) موضعاً؛ وذلك لكون متضاداته سهلة التعلم والاكتساب وتراكيبه تكاد تكون محددة، ثم جاء التضاد الحرفي في المرتبة الأخيرة في (١٧) موضعاً، وهذا النوع يفتح النص على آفاق دلالية متعددة قد تذهب بالنص عن مضمونه التعليمي المعد له سابقاً، فنجد المؤلف لا يعتمد عليه كثيراً في جميع كتب السلسلة.

٤. يستطيع الدارس من خلال الثنائيات الضدية اكتساب الخبرة لفهم النصوص اللغوية والحوارية المختلفة؛ لأنها تفتح له أكثر من طريق في التعبير والكلام، مما يساعد على تنمية رصيده اللغوي.

٥. تُسهِّمُ الثنائيات بطريقة مباشرة في تنمية الوعي اللغوي من خلال استنتاج المعنى والمعنى المقابل أو المضاد ووضعه في تراكيب لغوية متنوعة.

٦. تقدم الثنائيات المتضادة مادة لغوية يحتاجها المتعلم في حياته اليومية عموماً، وتتيح له الفرصة للتعبير عن الأغراض والمعاني المتداولة بحيث تسمح له بأن تبقى في دائرة المتعلم، فيجدها متى احتاج إلى توظيفها في مواقف تواصلية.

توصيات البحث.

١. الاهتمام بالثنائيات المتضادة في التعليم عامة على مختلف المستويات؛ لدورها الفاعل والبناء في زيادة رصيد المتعلم، ولدورها الكبير في إتقان اللغة العربية أيضاً.

٢. ضرورة تنوع الأساليب في بناء الجمل والكلمات للطالب حتى يستطيع اكتساب مهارات اللغة، ويستطيع مواكبة التطور اللغوي الحالي، ويستطيع الكلام مع العرب، فنحن نرى طلاباً درسوا ربما سنة أو أكثر ولا يستطيعون الكلام بالعربية، ولا يستطيعون التعبير عمّا يريدون في المواقف التي يواجهونها، فيلجؤون إلى إدخال اللغة الأم أو اللغة الوسيطة أثناء الكلام.

٣. حثّ المتعلم على ألاّ يخجل من طلب معرفة المقابل في المعنى أو المضاد له؛ لأن مثل هذه الظواهر تفيد المتعلم كثيراً في تخيل المواقف وإن لم تحدث، فيكون مستعداً للكلام المباشر دون استخدام الكتاب أو الورقة والقلم.

٤. ضرورة تدريب متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها على الثنائيات كثيراً، فلها الأثر البين في بناء شخصية المتعلم وبناء قدراته أيضاً، ومن ثمّ يتمكن من مواجهة المواقف المختلفة والمتنوعة، ويحاور ويتحاور ويسأل ويجيب بما لديه من رصيد لغوي يُمكنه من ذلك.

ثبت المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر.

- (١) الفوزان، عبد الرحمن بن إبراهيم، وحسين، مختار الطاهر، وفضل، محمد عبد الخالق. (٢٠١٤). العربية بين يديك: سلسلة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. إشراف محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، (ط ٢)، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.

ثانياً: المراجع.

- (١) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. (١٩٨٩). الأضداد. تحقيق محمد عودة سلامة أبو جري، طبعة مكتبة الثقافة الدينية.
- (٢) ابن فارس، أحمد فارس زكريا. (٢٠٠٨). مقاييس اللغة. (ط ١)، القاهرة: دار الحديث.
- (٣) ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٩). لسان العرب. اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب، ومحمد العبيدي، (ط ٣)، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.
- (٤) أبو الطيب، عبد الواحد بن علي أبي الطيب الحلبي اللغوي. (١٩٦٣). الأضداد. تحقيق عزة حسن، طبعة مجمع دمشق.
- (٥) إسماعيل، عز الدين. (٢٠٠٥). جماليات السؤال والجواب كراسات نقدية. (ط ١)، القاهرة: دار الفكر العربي.
- (٦) الأنباري، محمد بن القاسم. (١٩٦٠). الأضداد. (ط ١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر.
- (٧) بني عامر، عاصم محمد أمين. (٢٠٠٥). لغة التضاد في شعر أمل دنقل. (ط ١) عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- (٨) الجرجاني، عبد القاهرة. (٢٠١٧). الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته. (ط ١)، العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة.
- (٩) حسان، خالد. (٢٠١٩). الثنائيات الضدية الماهية والمصطلح. مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المركز القومي للبحوث.

(١٠) الدوسري، محمد بن فرحان الهواملة. (١٤٣٠هـ). الأضداد في القرآن الكريم. (ط١)، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه.

(١١) دي سوسير، فرديناند. (١٩٨٥). دروس في اللسانيات العامة. (ط ١) ترجمة: صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، طرابلس، ليبيا: الدار العربية للكتاب. (١٢) الديوب، سمر. (٢٠١٧). الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته. الطبعة الأولى، العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة.

(١٣) السجستاني، أبو حاتم. (١٩٩١). الأضداد. (ط١)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

(١٤) السهمي، دكتور صالح أحمد. (٢٠٢١). الثنائيات الضدية وبناء الدلالة في رواية "حارس السفينة" لعبد الله ناجي. مجلة الآداب، تُعنى بالدراسات اللغوية والأدبية، (العدد ١١) سبتمبر.

(١٥) الصاغاني، الحسن بن محمد بن الحسين. (١٩٨٩). الأضداد. تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: طبعة مكتبة النهضة المصرية.

(١٦) صليبا، جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي. (ط ١)، بيروت، لبنان: مكتبة المدرسة. مجلد ١.

(١٧) العبد القادر، بدر. (٢٠٢٠). بنية الثنائيات الضدية وصيغها في نصوص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دراسة لسانية تحليلية. مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، القاهرة: جامعة عين شمس، المجلد (٢٦)، العدد الرابع.

(١٨) عسكري، صادق، وبرستو، سنجي. (١٤٤٤هـ). ظاهرة التضاد ودوره في الترابط النصي في ديوان رسائل الحنين إلى الياسمين لغادة السمان. مجلة بحوث في اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة أصفهان، العدد (٢٧).

(١٩) علي، هداية الشيخ، (٢٠١٨)، تحديات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء مستجدات العصر. بحث منشور في المؤتمر الدولي لقسم مناهج وطرق التدريس: "المتغيرات العالمية ودورها في تشكيل المناهج وطرائق التعليم والتعلم بتاريخ ٥-٦ ديسمبر.

- (٢٠) عليوي، انتهاء عباس. (٢٠٢١). التصوير الفني في الثنائيات المتضادة عند شعراء العصر الأموي دراسة تحليلية. مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية، الجامعة المستنصرية، المجلد (٦) العدد (٣) أكتوبر.
- (٢١) عمر، عائشة أنور. (١٤٣٥هـ). فاعلية التضاد وجمالياته في تشكيل الصورة البصرية عند أبي تمام، غزلياته أنموذجاً، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، جامعة تكريت/ العلوم السياسية.
- (٢٢) عمر، هدى، ومنصور، أسيل. (٢٠١٤). الثنائيات المتناقضة في تصميم الفضاء الداخلي المعاصر. مجلة كلية التربية الإسلامية، كلية التربية، العراق: مج ٢٠، العدد ٨٥.
- (٢٣) فضل، صلاح. (١٩٩٨). نظرية البنائية في النقد الأدبي. (ط ١)، القاهرة، مصر: دار الشروق.
- (٢٤) قادرة، غيثاء. (٢٠١٢). الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص من المعلقات. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، سوريا: العدد (١٠، ١١).
- (٢٥) قطرب، محمد بن المستنير. (١٩٨٤). كتاب الأضداد. (ط ١) تحقيق: الدكتور حنا حداد، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر.
- (٢٦) محمد، هادي حسن. (٢٠١٣م). ظاهرة التضاد في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد الحادي والثلاثون.
- (٢٧) المظفر، محمد رضا. (٢٠٠٦). المنطق. (ط ٣) بيروت، لبنان: دار المعارف للمطبوعات.
- (٢٨) منى، الزهراء. (٢٠٠٧). ظاهرة التضاد في لغة الضاد وأثرها في تفسير القرآن الكريم. رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.
- (٢٩) نهر، محمد عبد المقصود. (٢٠٠٢م). الثنائيات المتضادة في النص الشعري، ط ٢، القاهرة: دار العلم.
- (٣٠) الهاشمي، هند عبد الله. (٢٠٠٥). تعليم العربية للناطقين بغيرها واتجاهاتهم نحوها في سلطنة عمان. رسالة دكتوراه "غير منشورة" القاهرة: معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة. ص ٣.

ثالثًا: المراجع الأجنبية.

- (1) A.J.Greimas et J.Courtés(1980),(La Binarité). (Dichotomie) .
- (2) Lois Jjelslev, Prolegomenes auna teoria del lenguaje,1943, Trad MadridI (1974).

Thabat Almasadir Walmarajie.

Awlaan: Almasadir.

- (1) Alfuzan, eabd alrahman bin 'iibrahim, wahusayn, mukhtar altaahir, wafadla, muhamad eabd alkhalig. (2014). alearabiat bayn yadik: silsilat fi taelim allughat alearabiat lighayr alnaatiqin biha. 'iishraf muhamad bin eabd alrahman al alshaykh, (t 2), alrayad: maktabat almalik fahd alwataniat lilmashri.

Thanyaan: Almarajie.

- (1)Ibn alsakit, yaequb bin 'iishaqa. (1989). al'addadi. tahqiq muhamad eawdat salamat 'abu jari, tabeat maktabat althaqafat aldiyniati.
- (2) Ibn fars, 'ahmad faris zakiria. (2008). maqayis allughati. (ta1), alqahirata: dar alhadithi.
- (3) Ibn mandhuru, muhamad bin mukram. (1999). lisan alearbi. aetanaa bitashihaha: 'amin eabd alwahaab, wamuhamad aleubaydii, (t 3), bayrut, lubnan: dar 'iihya' alturath alearabii, muasasat altaarikh alearabii.
- (4) Abu altayb, eabd alwahid bin eali 'abi altayib alhalabi allghwy. (1963). al'addadi. tahqiq eizat hasan, tabeat mujamae dimashq.
- (5) Eismaeil, eizi aldiyn. (2005). jamaliaat alsuwaal waljawab kirasat naqdiatun. (t 1), alqahirata: dar alfikr alearabii.
- (6) Al'anbari, muhamad bin alqasima. (1960). al'addadu. (ta1) tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, alkuayti: dayirat almatbueat walmashri.
- (7) Bni eamir, easim muhamad 'amin. (2005). lughat altadadi fi shier 'amal dunqula. (t 1) eaman, al'urdunu: dar safa' lilmashr waltawziei.
- (8) Aljirjani, eabd alqahirati. (2017). althunayiyat aldadiyat bahth fi almustalah wadalalatiha. (ta1), alearaq: almarkaz al'iislamia lildirasat alastiratijiat aleatabat aleabaasiat almuqadasati.
- (9) Hasaan, khalid. (2019). althunayiyat aldadiyat almahiat walmustalaha. majalat alearabiat lileulum wanashr al'abhathi, almarkaz alqawmia libuhuthi.
- (10) Aldawsari, muhamad bin farhan alhawamilatu. (1430h). al'addad fi alquran alkarimi. (ta1), alrayad: jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiatu, kuliyat 'usul aldiyn, qism alquran waeulumihu.
- (11)Di susir, firdinandi. (1985). durus fi allisaniaat aleamati. (t 1) tarjamata: salih alfirmadi, muhamad alshaawash, muhamad eajinat, tarabuls, libya: aldaar alearabiat lilkitabi.
- (12)Alduyubi, samar. (2017). althunayiyat aldidiyat bahath fi almustalah wadalalatihi. altabeat al'uwlaa, aleiraqi: almarkaz al'iislamia lildirasat alastiratijiat aleatabat aleabaasiat almuqadasati.

- (13) Alsijistani, 'abu hatim. (1991). al'addadu. (ta1), tahqiq muhamad eabd alqadir 'ahmadu, alqahirata: maktabat alnahdat almisriati.
- (14) Alsshimi, duktur salih 'ahmad. (2021). althunayiyaat aldidiyat wabina' aldilalat fi riwaya "haris alsafinati" lieabd allah naji. majalat aladab, taeni baldirasat allughawiat wal'adabiati, (aleadad 11) sibtambar.
- (15) Alsaaghani, alhasan bin muhamad bin alhusayn. (1989). al'addadi. tahqiq muhamad eabd alqadir 'ahmadu, alqahirati: tabeat maktabat alnahdat almisria
- (16) Sliba, jamil. (1982). almuejam alfalasafi. (t 1), bayrut, lubnan: maktabat almadrasati. mujaladi1.
- (17) Aleabd alqadir, bidur. (2020). binyat althunayiyaat aldidiyat wasiaghuha fi nusus taelim allughat allearabiati lilnaatiqin bighayriha, dirasat lisaniat tahliliati. majalat kuliyat altarbiat fi aleulum al'iinsaniat wal'adabiati, alqahirati: jamieat eayn shamsa, almujujad (26), aleadad alraabieue.
- (18) Aaskari, sadiq, wabaristu, sinji.(1444h).zahirat altadadi wadawrih fi litarabut alnasiyi fi diwan rasayil alhanin 'iilaa alyasamin lighadat alsiman. majalat buhuth fi allughat allearabiati, kuliyat allughati, jamieat 'asfahan, aleadad (27).
- (19) Eali, duktur hidayat alshaykh ealaa, (2018), tahadiyat taelim allughat allearabiati lilnaatiqin bighayriha fi daw' mustajadaat aleasra. bahath manshur fi almutamar alduwalii liqism manahij waturuq altadrisi: "almutaghayirat alealamiat wadawriha fi tashkil almanahij watarayiq altaelim waltaealum bitarikh 5-6 disambir.
- (20) Eilywi, aintih' eabaas. (2021). altaswir alfaniyu fi althunayiyaat almutadadat eind shueara' aleasr al'umawii dirasat tahliliati. majalat allughat allearabiati lilbuhuth altakhasusiati, aljamieat almustansiriati, almujujad (6) aleadad (3) 'uktubar.
- (21) Oumr, eayishat 'anwar. (1435h). faeiliat altadadi wajamaliaatuh fi tashkil alsuwrat albasariati eind 'abi tamam, ghazliaatuh anmwdhjan, majalat aldirasat altaarikihiat walhadaria (majalat eilmiaat mahkamatu), jamieat tikrit/ aleulum alsiyasiati.
- (22) Oumr, hudaa, wamansur, 'asil. (2014). althunayiyaat almutanaqidat fi tasmim alfada' aldaakhilii almueasiri. majalat kuliyat altarbiat al'iislamiati, kuliyat altarbiati, aleiraqi: maj 20, aleadad 85.
- (23) Fadal, salah. (1998). nazariat albinayiyat fialnaqd al'adbi. (ta1), alqahirata, masr: dar alshuruq.
- (24) Qadiratu, ghitha'. (2012). althunayiyaat aldidiyat wa'abeaduha fi nusus min almuealiqati. majalat dirasat fi allughat allearabiati wadiabha, jamieat tishrin, suria: aleadad (10, 11).
- (25) Qatraba, muhamad bin almustanir. (1984). kitab al'addadi. (ta1) tahqiq: alduktor hanaa hadadi, alrayad: dar aleulum liltibaeat walnashri.
- (26) Mihamadu, hadi hasan. (2013mi). zahirat altadadi fi surat al'aeraf wa'atharuha fi 'iisal almaenaa, majalat markaz dirasat alkufat, jamieat alkufat, aleadad alhadi walthalathun
- (27) Almuzafari, muhamad rida. (2006). almantiqua. (ta3) bayrut, lubnanu: dar altaearuf lilmatbueati.

- (28)Mnaa, alzahra'. (2007). zahirat altadadi fi lughat aldaad wa'atharuha fi tafsir alquran alkarimi. risalat majistir (ghayr manshurat), qism allughat alearabiat wadiabha, kuliyaat aladab wallughati, jamieat aljazayir.
- (29) Nhar, Muhamad eabd almaqsud. (2002mi). althunayiyaat almutadadat fi alnasi alshieri, ta2, alqahirata: dar aleilmi.
- (30)Alhashimi, hind eabd allah. (2005). taelim alearabiat lilnaatiqin bighayriha waitijahatihim nahwaha fi saltanat eaman. risalat dukturah "ghayr manshura" alqahirat: maehad aldirasat altarbawiati, jamieat alqahira. sa3.

Thalthaan: Almarajie Al'ajnabiati.

- (1) A.J.Greimas et J.Courtés(1980),(La Binarité). (Dichotomie) .
- (2) Lois .Ijelslev, Prolegomenes auna teoria del lenguaje,1943, Trad MadridI (1974).

ابن المنخَّل الشِّلبي الأندلسي (ت في حدود ٥٦٠ هـ)
حياته وما تبقى من شعره
جمع وتوثيق ودراسة

أ. م . د. ازاد محمد كريم الباجلاني
قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية
جامعة كرميان



ابن المنخّل الشلبي الأندلسي (ت في حدود ٥٦٠ هـ) حياته وما تبقى من شعره - جمع وتوثيق ودراسة-

أ. م . د. ازاد محمد كريم الباجلاني

قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية
جامعة كرميان

تأريخ تقديم البحث: ١٣ / ٧ / ١٤٤٤ هـ تأريخ قبول البحث: ٨ / ٩ / ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

هذا جمع وتوثيق ودراسة لشعر ابن المنخّل الشلبي ، أحد شعراء الأندلس ، وهو من الأعلام غير المشهورين ، ممن عاشوا في القرنين الخامس والسادس للهجرة . الذي لم يعط حقه من البحث والدراسة قديماً وحديثاً ، وقد أتت عوادي الزمن على أكثر شعره ؛ إذ نجزم أن هذا ليس كل شعره . وعلى كلّ فقد رتّبنا ما تبقى منها في هذا المجموع بحسب القوافي ، ورقّمنا الأبيات والوحدات الشعرية ، وقدمنا للشعر المجموع دراسة موجزة عن حياة الشاعر ، وأبرز السمات الفنية والموضوعية لشعره ، ومن الله التوفيق والسداد .

الكلمات المفتاحية: الشعر _ الأندلس _ الأعلام _ التحقيق _ دراسة

**Ibn al-Mankhil Chalabi Al , Andalusi (d. within 560 AH)
His life and what is left of his poems
Collection, documentation, and study**

Dr. Azaad Muhammad Karim Al-Bajlani

Department of Arabic Language – Faculty of Basic Education

Garmian university

Submission date: Raj.13, 1444 AH Acceptance date: Ram.8,1444 AH

Abstract:

This is a collection, documentation and study of the poetry of Ibn al-Mankhil al-Shalabi, one of the poets of Andalusia, who is one of the famous figures, who lived in the fifth and sixth centuries of the Hijra. He who was not given his right of research and study, old and new, and the valleys of time have come to most of his poetry, as we are certain that this is not all of his poetry. In any case, we have arranged the rest of them in this collection according to rhymes, and numbered verses and poetic units, and we presented with the collected poetry a brief study of the life of the poet, and the most prominent artistic and objective features of his poetry, and may Allah grant us success in our endeavours.

key words: Poetry, Andalusia, flags, investigation, study

القسم الأول

ابن المنخّل الشلبي الأندلسي

دراسة في حياته ونتاجه الشعري

١ - حياته (الهوية والمكونات المعرفية):

هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخّل المهريّ، الأديب الشلبيّ، المكنى بأبي بكر، والمشهور بابن المنخّل الشلبي. شاعر أندلسي من أهل شلب، وهو من أعلام الأدباء فيها، كما يثني عليه أغلب من ترجم له وأورد اسمه بين الأعلام^(١).

ولا يذكر من ترجم له الشيء الكثير عن حياته، ولسنا نعرف شيئاً واضحاً عن نشأته، وكحال الكثير من الأدباء وشعراء الأندلس لم يصلنا نتاجه الشعري مجموعاً. مع إثبات من ترجم له أنه كان له ديوان شعر مدون، لكن - يا للأسف - لم يصلنا هذا الديوان^(٢).

(١) ينظر ترجمته في: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: د. عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٧ - ٢٨، جنى الأزاهر النضيرة: ١٢١، الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢، المستملح: ٦١، الوافي بالوفيات (تحقيق: محمد إبراهيم بن عمر): ٢ / ٧، و (تحقيق: أبو عبد الله الأسيوطي): ١ / ٣١٠، الأعلام: ٥ / ٢٩٥ - ٢٩٦، الجامع: ٣ و ٤ / ٢٨٢، تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ: ٥ / ٤٠٣.

(٢) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: د. عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٨، الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢، المستملح: ٦١ .

وإلى جانب كونه شاعراً، كان مشاركاً في علم الكلام، ذا خط حسن، مع صلاحٍ وخير^(١).

وقد ذكر وروى شعره أبو الربيع بن سالم^(٢)، الذي روى وأخذ شعر ابن المنخل من أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الملك الشلبي^(٣)، وهذا الأخير كان يأخذ الشعر عن لسان الشاعر، أو ينقل من ديوانه^(٤).

كان له ابن اسمه عبد الله، وكنيته أبو محمد^(٥)، وله مشاركة في نظم الشعر، لكن لم يصلنا شعره، فجلّ ما وصل منها نضان: أحدهما يُنسب لوالده في مصادر ترجمته، بهذا يكون المتبقي من شعره قصيدة واحدة طويلة قالها في المديح. وهي في مديح وتهنئة أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف حينما حضر صلاة العيد بقرطبة: (من الكامل)

(١) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: د. عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٨، الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢، المستملح: ٦١ .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، كان من كبار رجال الحديث، ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٢٣ / ١٣٤ .

(٣) لم أصل إلى ترجمته فيما بين يدي من مصادر.

(٤) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٨، الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢، المستملح: ٦١ .

(٥) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٨، الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢، المستملح: ٦١ .

شَرَفُ الخِلافةِ أَنْ ملكْتَ زَمَامَها

وَعَدَوْتَ مِنْ عقبِ الإمامِ أَمامَها

وَأفْتَكُ تَبْتَدِرِ الرضَى إِذْ رُمْتِها

وَلَشَدَّ مَا امْتَنَعْتَ عَلَي مَنْ رامَها

طَبَعَ الإلهُ لها حُساماً صَارِماً

يَحْمِي جَوَانِبِها فَكُنْتَ حُسامَها

وَرَأَتْ عُداهُ اللهُ أَنَّ حِمَامَها

مِنْ قَيْسِ غِيلانٍ فَكُنْتَ حِمَامَها

فَعَلَى رَماحِكَ أَنْ تَشُقَّ جُيُوبَها

وَعَلَى سِوْفِكَ أَنْ تُفَلِّقَ هامَها

وَعَلَى جُيُوشِكَ أَنْ تُدَوِّخَ أَرْضَها

وَتُدُوسَ فِي عَرِصاتِها أَصنامَها

وَعَلَى الخِلافةِ أَنْ تَلُودَ بِسَيِّدِ

يُجْرِي عَلَي سُبُلِ الهُدَى أَحكامَها

مَلِكٌ يَجِيرُ عَلَي الرِّمانِ، فَإِنْ تُضَمِّ

حِراً بَوادِيهِ اللَّيالي، ضامَها

قَسْطاسُ عَدْلِ لا يَمِيلُ، فَإِنْ رَأَى

مَيْلَ الشَّرِيعَةِ أَمَّها فَأقامَها

يُطْفِي الحُرُوبَ إِذَا تَوَهَّجَ جَمْرُهَا

وَلِزُيْمًا حَمَدَتْ فَشَبَّ ضِرَامُهَا^(١)

وكان سريع البديهة، منذ طفولته، مشاركاً للنظم مع والده، فقد أوردت المصادر التي ترجمت لهما حكايته في إجازته للشعر الذي كان يقوله له: فقد (كان بين ابن المنخل هذا وابن الملاح صداقةً من الشباب إلى الهرم، ونشأ ابناهما على مثل ذلك، إلى أن وقع بينهما ما يقع بين الناس، فَعَتَبَ ابن المنخل على وَلَدِهِ إِقْدَاعَهُ فِيهِ، فَأَنشَدَهُ وَلَدُهُ هَجَاءَ لابن الملاح ولولده فيهما، وكانا يسيران على واد فيه ضفادع تَنَقُّ، فقال أبو بكر بن المنخل:

تَنَقُّ ضَفَادِعُ الوَادِي

فقال ابنه:

بِصَوْتٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ

فقال ابن المنخل:

كَأَنَّ ضَجِيجَ مُعْوَلِهَا

فقال ابنه:

بُنُو المَلَّاحِ فِي النَّادِي

فقال ابن المنخل:

(١) تاريخ المن بالإمامة: ٤٩٠ - ٤٩٦، وينظر: تحفة القادم: ٨٦ - ٨٧، المقتضب من كتاب تحفة القادم: ١١٩، الوابي بالوفيات: ١٧ / ٢٩٣ - ٢٩٤.

وَتَصَمَّتْ مِثْلَ صَمْتِهِمْ

فقال ابنه:

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَيَّ زَادِ

فقال ابن المنخل:

فَلَا غَوْثَ لِمَلْهُوفٍ

فقال ابنه:

وَلَا غَيْثَ لِمُرْتَادٍ^(١)

فقال له ابن المنخل: (أحسنْتَ والله ما منها قسيم إلا وقد كنتُ أجزئته بما وقع عليه خاطرك وهذا عندي ليس بنكير على معاصر مع معاصر فكيف على ولد مع والد)^(٢).

وفاته:

عاش ابن المنخل في نهاية القرن الخامس، وامتد به العمر إلى أن عبر النصف الأول من القرن السادس. وقد أشار بنفسه إلى طول المدة التي عاشها، وذلك من خلال بيتين من الشعر قاهما في نهاية عمره، يقول فيهما:

مَضَتْ لِي سَبْعٌ بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً

وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونٌ

(١) جنى الأزاهر النضيرة: ١٢٣ - ١٢٤، وينظر: نفح الطيب: ٣ / ٥٢٠ - ٥٢١، المغرب: ١ /

٣٨٧ - ٣٨٨، رايات المبرزين: ٥٧ - ٥٨. وينظر: مجموع شعره: النص رقم (٦).

(٢) زاد المسافر: ١٣٠.

فَبِمَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ

يَكُونُ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ سَيَكُونُ^(١)

وبهذا يمكننا أن نستنتج أنه ولد بعد (٤٨٠ هـ)^(٢). وكانت وفاته في حدود الستين وخمس مئة للهجرة^(٣). ويذكر الصفدي في وفاته أنه توفي في عشر الستين وخمسة مئة، أي بين (٥٦١ _ ٥٦٩) للهجرة^(٤).

أبرز ما قيل فيه وفي شعره:

— قال ابن الإمام الشليبي الإستجي (ت ٥٦٠ هـ) في كتابه المقتضب من كتاب سيمط الجمال: (ذو الشَّارة والبهاء، والمنظر الرَّائق والرَّواء، الذي إن تكلمت أصمت لهجة العجاج، أرممة بهجة النَّضر بن حجَّاج، أهُضنتُه همة سِماكية، وأيدنتُه آدابٌ أصمعيَّة، وسودتُه نفسٌ عصاميَّة، ومن كلامه ما يُلحِقُه بالأعيان، ويثبتُه في سُعراءِ الأوان)^(٥).

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٥) .

(٢) يرجح (د. عمر فروخ) في حاشية ترجمته لابن المنخل في كتابه تاريخ الأدب العربي: ٤٠٣ / ٥، أن مولده كان نحو (٤٤٠ هـ)، وأرى أن في هذا الترجيح مبالغة؛ لأن وفاته كانت في حدود (٥٦٠ هـ)، وقد صرح في شعره الذي قاله في نهاية حياته أنه عاش (٧٧) حجة، بهذا لا يمكن أنه عاش بعد نظمه لهذين البيتين (٥٠) سنة أخرى _ حسب رأي د. عمر فروخ _، والله أعلم..

(٣) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٧، و (تحقيق: د. عبد السلام الهراس): ٢ / ٢٨، الأعلام: ٥ / ٢٩٥، الجامع: ٣ / ٤ و ٢٨٢ .

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات (تحقيق: محمد إبراهيم بن عمر): ٢ / ٧، و (تحقيق: أبو عبد الله الأسيوطي): ١ / ٣١٠، تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ: ٥ / ٤٠٣ .

(٥) المقتضب من كتاب سيمط الجمال: ٨٧ .

— قال ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) في كتابه التكملة لكتاب الصلة: (أحد الأدياء المتقدمين والشعراء المجودين وكان حسن الخط جيد الضبط يشارك في علم الكلام مع صلاح وخير وشعره مدون)^(١).

— قال الرعيني (ت ٦٦٦ هـ) في كتابه جنى الأزاهر النضيرة: (هذا رجل بنى للسؤدد قباباً، وأقام للشرف هضاباً، فَرَعَتْ مَعْلُوثُهُ الجوزاء، وناصبت مأثوراته العوّاء، إلى دين أخلَصَتْ سرائره، واستحصدتْ مرائرهُ. وأما أدبه فكالبحر الزاخر، يُزري بالدُّرِّ الفاخر)^(٢).

— قال المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) في كتابه الذيل والتكملة: (كان متقدماً في المعرفة بالأدب شاعراً مجيداً، حسن الخط، مشاركاً في علم الكلام، مع صلاح وخير، وشعره مدون)^(٣).

— قال الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) في كتابه (الوافي بالوفيات): (أحد الشعراء المجودين وكان يعرف علم الكلام)^(٤).

(١) التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: د. عبد السلام الهراس):

٢٧ / ٢ - ٢٨.

(٢) جنى الأزاهر النضيرة: ١٢١ .

(٣) الذيل والتكملة: مج ٤ / السفر ٦ / ١٠٤.

(٤): الوافي بالوفيات (تحقيق: محمد إبراهيم بن عمر): ٢ / ٧، و (تحقيق: أبو عبد الله الأسيوطي):

٣١٠ / ١.

— قال الدكتور عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي: (كان ابن المنخل الشلبي أديباً ومن الشعراء الموجودين وذوي النَفَسِ العالي على عَمود الشعر القديم، بارعاً في الوصف والحماسة، كما كان مُشاركاً في علم الكلام)^(١). ولقبه (ابن المنخل) شاركه فيه بعض الأعلام، ولدفع هذا الالتباس نذكر فيما يلي أهم من اشتهر بهذه التسمية إلى جانب شاعرنا:

— محمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف النفزي، أبي عبد الله بن منخل^(٢).

— محمد بن مُنخَل من أهل شاطبة يعرف بالحداد ويكنى أبا عبد الله^(٣).
— عبد الله بن أبي أحمد بن محمد بن منخل بن زيد الغافقي، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد توفي في (٧٣١ هـ)^(٤).

٢ _ شعره:

أ _ الأغراض والسّمات الموضوعية:

نظم ابن المنخل في أغراض وموضوعات شعرية، جاءت على شكل مقطعات شعرية، وقصائد متوسطة الطول، وكذلك قصائد طويلة، كانت تمثل موهبته الشعرية.

(١) تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ: ٤٠٣ / ٥ .

(٢) ينظر: المعجم في أصحاب القاضي الصدي: ١٢٥ .

(٣) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. عبد السلام الهراس): ١ / ٣٤٦ .

(٤) ينظر: الديباج المذهب: ٤٤٤ _ ٤٤٥ .

فقد نظم في المديح في مناسبات شتى، كذلك الغزل والتهنئة والشيب والشباب. والمتفحص لشعره الذي وصلنا، يجد أنه لم يركز على غرض شعري أو موضوع، وإنما ينظم شعره حسب الموقف أو الحاجة، فقد كانت الإجابة عن شعر وجه إليه، أو تغزله في مجلس أنس، مواقف يستدعي منه نظم الشعر، دوماً لإعمال وإرهاقٍ للفكر، في البحث عن المفردات أو المعاني. مع ذلك فشعره في هذه المواقف لا يختلف عن غيرها مما نظم من شعر.

ففي المديح نجده يُسبغ على الممدوح الصفات التي تليق به من شجاعة وحسن قيادة، إلى جانب البأس والذكاء، والكرم والجود، ومناسبة الفتح والانتصار على الأعداء، كانت عنده تستوجب المدح والثناء، فها هو يخاطب خليفة الموحدين أبو محمد عبد المؤمن بن علي (ت ٥٥٨ هـ)^(١)، عندما عبر إلى الأندلس، وأقام مجلسه في جبل طارق، فقال فيه ابن المنخل مهنتاً ومادحاً، في ذلك الجمع:

فَتَحْتُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ فَاعْتَمِدُوا

فَإِنْ نَسِيمَ النِّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَّا

أَصْرْتُمْ إِلَيْهِ الْخَيْلَ وَهِيَ أَجَادُلُ

فَسَالَتْ بِكُمْ بَحْرًا وَطَارَتْ بِكُمْ رَكْبًا

وَدَسْتُمْ بِهَا هَامَاتٍ كَلَّ مُضَلَّلُ

(١) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد، التاجري الكومي، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين في المغرب العربي الكبير والأندلس. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء:

٢٠ / ٣٦٦، معجم أعلام الجزائر: ١ / ٢١٨.

ولم تتركوا عجماً هناك ولا غرباً

رمىتم بها مثل السهم فأصبحت

كماهم صرعى وأموالهم نهباً

ومنها:

كذلك من يلقي الخليفة تلقه

بشائر يستجلي بها السهل والرحبا

نسينا به أبناءنا وديارنا

فها نحن لا نرتاح إن ذكرُوا شلبا

ويستمر في مديحه في هذه القصيدة إلى أن يصل إلى وصف الجند الذين شاركوا في المعركة، فهم كالقذاح في خفتهم ونشاطهم وسرعة حركتهم في إقبالهم للمعركة؛ إذ يقول:

عليها رجال كالقذاح، وإنما

يكونون في الهيجاء هنديةً قضباً

ومجسّد ابن المنخل مدى التلاحم بين القائد وجنده، وفيها يشيد بالبطولة الحربية للخليفة عبد المؤمن في المعارك، وإبراز التفاعل بين القائد وجنده في القتال، فقد صور الخليفة فارساً يتقدم الفرسان في المعركة والنزال ويتحمل العبء الأكبر في القتال، ويبعث الحمية في نفوس جنده الذين يلتفون حوله لائذين به، يقول:

يلوّدون في الهيجاء بأروع ماجدٍ

إذا دارت الهيجاء كان لها قُطباً

وإن عصفت ريح الوغى أهدقوا

فكانوا له جسماً وكان لهم قلباً^(١)

وله قصيدة يمدح بها الأمير أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن^(٢) في بداية ولايته إشبيلية سنة (٥٥١ هـ)، يبدوها بمقدمة غزلية، يقول فيها:

أقدك أم غصن من البان

ولحظك أم سيف من الهند مرهف

ومنها:

فقالوا: أغزو؟ قلت: لا شك

فقالوا: فمن يغزو العدى؟ قلت:

سليل أمير المؤمنين وكفه

وصارمه العضب الذي يتخوف^(٣)

كذلك نجده في أخرى يقدم التهئة له _ أبو يعقوب بن عبد المؤمن _، حينما تولى الخلافة بعد أبيه سنة (٥٥٨ هـ):

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) سلطان المغرب والأندلس وثاني سلاطين الدولة الموحدية التي حكمت الأندلس والمغرب بعد سقوط دولة المرابطين، أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولد بالمغرب في شهر رجب سنة ٥٣٣هـ، وتولى السلطنة بعد وفاة أبيه «عبد المؤمن» مؤسس الدولة، في جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ، وقد واجه في بداية حكمه بعض الاعتراضات من إخوانه الأكبر سنًا ولكنها زالت سريعًا. ينظر ترجمته في: تأريخ المن بالإمامة: ٢٢٨ _ ٢٢٩ .

(٣) مجموع شعره: النص رقم (١١) .

تَهَنُّ الخِلاَفَةُ أَنْ جَلَوْتَ صَبَاحَهَا

ومدَدْتَ من نُورِ الهُدَى أَوْصَاحَهَا

وَعَقَدْتَ عَقْدَكَ فِي الوَفَاءِ

وَوَصَلْتَ رَاحَكَ فِي العِلاءِ وَرَاحَهَا

وَوَفَّرْتَ من حُسْنِ السِّيَاسَةِ حَظَّهَا

فَحَمَيْتَ جَانِبَهَا وَرَشَّتَ

وكان المديح عند أكثر الشعراء باباً للرزق والتكسب، وهذا ما نجده عند ابن المنخل، فهو يجيد التملق والمديح لأجل أن يعيش، يقول منشداً ومادحاً:

لِكَفِّيهِ فَضْلًا بَانَ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ

إِذَا شَدَّ عَقْدَ السَّلْمِ أَوْ بَعَثَ الحَرْبَا

إِذَا أَجْدَبْتَ أَرْضًا نَحَاها بِجُودِهِ

فَمَا أَغْزَرَ السُّقْيَا وَمَا أَكْثَرَ الخِصْبَا

وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ الخَفِيَّاتِ أَمْرَهُ

لَمَا دَرَسُوا صُحُفًا وَلَا صَنَّفُوا كِتَابَا

وَقَدْ كَانَ هَذَا الدِّينُ وَلَّى شَبَابَهُ

فَلَمَّا تَوَلَّى الدِّينُ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَبَا

إِذَا مَا ذَكَرناه وَقَدْ ضَاقَ أَمْرُنَا

(١) مجموع شعره: النص رقم (٥) .

تَفَرَّجَ حَتَّى صَارَ مَتَّسِعاً رَحْباً^(١)

فهذه المعاني تبحث عن صدى لدى ممدوحه، وهو الخليفة الذي بانت أفضاله على كل أفراد رعيته، فالأرض الجذباء لا تمثل إلا الشاعر نفسه، والسقيا لا تمثل إلا ممدوحه - الخليفة -، الذي يتميز بنفسه الكريمة، ويده المعطاء، وجوده الذي لا ينقطع، فقد فَرَجَ عمن ضاق أمره، فكيف وإن من يلقاه لا يجد إلا البشائر والعطايا. وبعد هذه المقدمات يعلن صراحة عن التكسب في شعره؛ إذ يقول:

تَرْفَقُ عَلَيْنَا إِهْمَا خَيْرٍ مَكْسَبٍ

وَأَفْضَلُ مَالِ الْمَرْءِ أَفْضَلُهُ

ولم يقف ابن المنحل هنا؛ إذ نجده يقدم التسلية في حالة الهزيمة أيضاً، أي أن شاعرنا كان يجد باباً يدخل من خلاله لقلب الأمير:

لَا تَكَتَرْتُ يَا بِنَ الْخَلِيفَةِ إِنَّهُ

قَدَرْتُ أُتِيحَ فَمَا يُرَدُّ مُتَاحُهُ

قَدْ يَكْدُرُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ لِعَلَّةٍ

وَيَعُودُ صَفْوَاً بَعْدَ ذَلِكَ

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٤) .

وابن المنخّل مشارك في التهاني الشخصية، كما كان مشاركاً في التهاني العامة؛
إذ نجده هنا يهنئ بمولودٍ سُمِّيَ قمر، يقول فيها:

هَلالٌ تَألقُ أم كوكبٌ

وبحرٌ تدفقُ أم مُدنبٌ

بدا طالعاً في سماءِ العُلى

فأشرقَ من نُوره الغَيْهَبُ

ولا غرَوَ أن تتلاقى البُدورُ

فيولِدُ للقَمَرِ الكوكبُ^(١)

وكان للغزل نصيبه من شعره أيضاً، فنجده هنا يقدم صورة المتغزل بأحد أفراد
مجلسٍ للخمر حضره، يقول فيها:

كم ليلةٍ دارت عليّ كواكبٌ

للخمر تطلع ثم تغربُ في فمي

قبّلتها في كفِّ مَنْ يسعى بها

وخلطت قبّلتها بقبلة معصم

وكأنَّ حُسنَ بنانه مع كأسه

غيَمَ يشيرُ لنا ببعضِ الأنجمِ^(٢)

(١) مجموع شعره: النص رقم (٢) .

(٢) مجموع شعره: النص رقم (١٤) .

كذلك نجده يتغزل بفتاة جميلة مرت بشاطئ جدول، ويتمنى لو كشفت عن ساقها، كما فعلت بلقيس، يقول:

وَخَرِيدَةٌ مَرَّتْ بِشَاطِئِ جَدْوَلٍ

كَالشَّمْسِ طَالِعَةً عَلَى آفَاقِهَا

فَكَأَنَّهَا بِبَلْقَيْسٍ وَاقَتْ صَرَحَهَا

لَوْ أَنَّهُمَا كَشَفَتْ لَنَا عَنْ سَاقِهَا^(١)

أما الرثاء، فلم يصلنا سوى مقطوعة يتيمة له، في رثاء أبي الوليد محمد بن عمر ابن المنذر^(٢)، التي يقول فيها:

بَأَيِّ حَسَامٍ أَدْفَعِ الْخَطْبَ بَعْدَمَا

فَقَدْتُ الْحَسَامَ الْمُنْذِرِيَّ الْيَمَانِيَا؟

وَمَنْ لِي بِمِثْلِ الْمُنْذِرِيَّ مُحَمَّدٍ

صَدِيقًا صَدُوقًا أَوْ خَلِيلًا مَصَافِيَا

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَدِينِي الْبَعِيدَ بِرَأْيِهِ

فِيَأْتِي عَلَيَّ حُكْمَ الْإِرَادَةِ دَانِيَا^(٣)

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٢) .

(٢) هو أبو الوليد، محمد بن عمر بن المنذر، أحد أعيان شِلب ونبهاؤها، توفي (٥٠٨ هـ). ينظر ترجمته في: الحلة السيرة: ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) مجموع شعره: النص رقم (١٦) .

كانت هذه أغلب الأغراض وأبرزها والموضوعات الشعرية التي تناولها ابن المنخل في شعره الذي وصلنا، وإنما نجزم يقيناً، أن هذا الكم القليل الواصل منه يمثل نسبة ضئيلة من ديوان شعره المفقود.

ب _ خصائص شعره الفنية:

نظم ابن المنخل شعره في البنى الفنية المعروفة، من البيت اليتيم، والنتفة، والمقطعة، والقصيدة، مستوفياً شروط النظم فيها. ففي البيت اليتيم، كانت الوحدة الموضوعية من سماته، قالها في فكرة وموضوع معين، أوفأها حقها والقصد من وراء نظمها.

وفي مقطعاته _ كذلك _ جمع بين براعة النظم، ودقة الوصف؛ لذا كانت موافية للفكرة، مستوعبة للصورة التي أراد إيصالها.

وأما القصيدة فكانت تدور حول الموضوع الذي نظمت لأجله، مع مزجها بمقدمات تمثل المدخل لعرض الفكرة والموضوع الأساس، ولا سيما في المديح. وتميزت ألفاظه بالرصانة مع سهولة الوصول إلى المتلقي، دون الحاجة إلى كثير إعمالٍ للذهن والبحث عن المعنى، لذا كانت قريبة إلى الأذهان، خلا بعض المواطنين التي حتمت منه البحث عن اللفظ، زيادة في التجميل، وإبراز المقدرة، وكان هذا الأمر واضحاً في مدائحه، وإجاباته الشعرية.

وصور ابن المنخل بسيطة واضحة _ في أغلبها _، حالها حال ألفاظه، بعيدة عن التعقيد قريبة إلى ذهن المتلقي، نابعة من البيئة التي كانت حوله؛ إذ وظف أساليب البيان لرسمها، لا سيما التشبيه الذي كان له أثر الصدارة في هذا الباب باستعمال (كأن) و(الكاف).

فها هو يقدم صورة لأرض المعركة وقد سفكت سيوف المسلمين دماء أعدائهم،
وأضحت جداول في جريانها، والرماح قد امتزجت واخترقت أحشاءهم، يقول:
إذا جرّدت فيها السيوف حسبتّها

جداولٍ رَوْضٍ، والرماحَ بهِ قَضبا

مشبها هذا المشهد بصورة ساخرة ومزرية، يقول:

كأن نَعام الدوّ باضتْ بأفقه

وقد لَقحتْ هُوجَ الرِياحِ بهِ سُحبا

وإن عثرت أعلامه لمُحاربٍ

جرى دَمُه من تَحْتِها وإبلا سَكبا^(١)

ويختم هذا المشهد التصويري لحال الجيش المهزوم، ولقائده الذي إن لم يُقتل فإنه سيفر من أرض المعركة خائفاً وقد تملكته الحيرة والارتباك، وكذلك جيشه فالشجاع الباسل هو من استطاع الهرب والنجاة بنفسه من أرض المعركة، لكن الله يكون لهم بالمرصاد أيضاً، يقول فيها:

وإن لقيت هَضباً حوافِرُ خَيْلِه

أصارتَه سَهلاً لا ترى فَوَقَه هَضبا

إذا جاوزت دَرَباً إِلَيْكم فإمّا

يُجُوزُ وشيكُ الموتِ نَحوكم دَرَبا

وإن يقض نَحباً منهم دُو بَسالةٍ

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

فمن نفس جبارٍ لكم يفتضي

وفي أخرى، نجده يصف لنا حاله مع المحبوب، مازجاً بين الطبيعة وجمالها، وبين جمال هذا المحبوب، يقول فيها:

وَفَاتِكِ الطَّرْفِ ذِي اخْوَرَارِ

حَدَاهُ لِلْوَرْدِ وَالْبَهَارِ

كَالْغُصْنِ فِي قَدِّهِ وَلَكِنْ

كَالظَّبْيِ فِي الْجِيدِ وَالنِّفَارِ

دَارِيئَتُهُ وَالزَّمَانُ يَلْوِي

أَطْرَافَ لَيْلِي عَلَى نَهَارِي

فَكُلَّمَا رُمْتُ مِنْهُ وَصَلًا

بِحَجِّ فِي الْهَجْرِ وَالنِّفَارِ

حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ حِينِ

أَجْمَهُ الدَّهْرِ بِالْعِدَارِ

فَجَاءَ سَمَحَ الْعِنَانِ سَهْلًا

عَلَى مُرَادِي وَبِاخْتِيَارِي^(٢)

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) مجموع شعره: النص رقم (٨) .

أما بخصوص الموسيقى والأوزان، فالكامل كان في مقدمة البحور التي نظم عليها ابن المنخل، ثم تلاه الطويل، وهما يشكلان نصف ما وصلنا من نصوص شعره، ثمَّ السريع فالبسيط فالمتقارب.

وقوافيه جاءت مطلقة و مقيدة، والأولى أهم وأكثر، كما أن الشعر الواصل إلينا يمثل أقل من النصف من حروف الهجاء التي استعملها رويًا لأشعاره، ولكن الملاحظ أن الحروف التي جاءت بالمرتبة الأولى هي (الراء) و(القاف) و (الباء) و (الفاء). وهذه من الحروف الأكثر شيوعاً من غيرها في الشعر العربي.

وبخصوص الإيقاع الداخلي ومكوناته، فقد كان للتكرار، والجناس، الأثر البارز في إظهار موسيقى شعره ؛ مما ساعد في رسم ضرباتها بشكل رشيق متكاتفٍ مع موسيقاه الخارجية، وصوره، لتخرج شعره بهذه الصورة التي وصلنا بها، والتي تمثل مقدرته الشعرية، والسبب في تقدمه على من سواه في زمانه.

ف نجد مثلاً، في هذا النص يكرر جملة (من دلني منكم على) في كلا البيتين، ليقدم حالة من التساؤل والبحث عن الإجابة، يقول:

مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى شَاعِرٍ

يَتَمَنِّي بِالْهَجْرِ ثُمَّ اخْتَفَى

مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى عَيْنِهِ

حَكَمْتُهُ فِي صَفْعٍ ذَاكَ الْقَفَا (١)

(١) مجموع شعره: النص رقم (١٠) .

كذلك يكرر لفظة (الدين) في بيت آخر، ليصور لنا مشهداً فيه نهاية الشباب، يقول فيها:

وَقَدْ كَانَ هَذَا الدِّينُ وُلَى شَبَابُهُ

فَلَمَّا تَوَلَّى الدِّينُ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَبَابًا^(١)

وقد استعمل ابن المنخل أسلوب الحوار لرسم صوره أيضاً، فنجده في هذا النص يستعمل أسلوب المحاورة لبيان مكانة ممدوحه وشدة بأسه، يقول فيها:

فَقَالُوا: أَغْزَوْا؟ قُلْتَ: لَا شَكَّ أَنَّهُ

فَقَالُوا: فَمَنْ يَغْزُو الْعَدَى؟ قُلْتَ:

سَلِيلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَفَهُ

وَصَارِمَهُ الْعَضْبَ الَّذِي يَتَخَوَّفُ^(٢)

ومثله قوله:

كُنَّا نَرَى أَنْ الْمَشِيبَ جَلَالَةً

حَتَّى لَبِسْنَاهُ فَكَانَ بِدَارًا

قَالُوا وَقَارًا قُلْتُ وَآؤُ أَفْحِمْتُ

مَا تُبْصِرُ الْحُسْنَاءُ قَارًا^(٣)

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) مجموع شعره: النص رقم (١١) .

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٧) .

ومن المظاهر التي يمكن الإشارة إليها مسألة التأثر ببقية الشعراء، فابن المنجّل كان واضحاً في أكثر اقتباساته وتأثره بالشعر المشرقي، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

أتوك يجرون الحديد سوابغاً

كأنهم البحرُ الغمالمُ قد عبأ^(١)

وهو مأخوذ من قول المتنبي:

أتوك يجرون الحديد كأنهم

سروا بجيادٍ ما لهن قوائم^(٢)

ويعود في بيتٍ آخر ليأخذ شرطاً من بيت للمتنبي هذه المرة، ويضمنه شعره، ليخدم ما يروم التعبير عنه، ويسهم في إيصال الفكرة إلى المتلقي:

ويستنشُدُ البطريق في عرصاتكم:

(فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا

فقد أخذه من قول المتنبي:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا

فإنك كنت الشرق للشمس

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣ / ٣٨٤ .

(٣) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي: ١ / ٥٦ .

وفي القصيدة نفسها، نجد في بيت آخر يأخذ المعنى ويتأثر بشاعر مشرقى آخر وهو ابن الرومي؛ إذ يقول:

بلادٌ قضى فيها الشباب مآربي

وأبقي لنفسى ما بقيت بها إرباً^(١)

وهو المعنى نفسه في قول ابن الرومي:

وحب أوطان الرجال إليهم

مآرب قضاها الشباب هنالك^(٢)

وهذا التأثير يدل على سعة اطلاع ابن المنخل، ومقدرته على استنباط المعاني وتوظيفها داخل شعره، مما أضاف جمالية وقوة في التأثير على المتلقي.

جـ- منهجي في الجمع والتوثيق:

كان منهجي في جمع، وتوثيق النصوص الشعرية الخاصة بـ الشاعر ابن المنخل، كالآتي:

— جمع نتاج ابن المنخل الشعري، من شتيت المظان، وكتب الطبقات والتراجم التي ترجمت لحياته وأوردت شيئاً من نتاجه الشعري.

— أعطيت لكل نص شعري رقماً يُسهل عملية الرجوع إليه في التخريج والدراسة.

(١) مجموع شعره: النص رقم (٣) .

(٢) ديوان ابن الرومي: ٥ / ١٨٢٦ .

— رتبت شعره على القوافي حسب الحروف الهجائية (الألف بائي)، مع إثبات البحر الشعري لكل نص، ورقمت الأبيات، وأحلت عليها في اختلاف الروايات بين المظان المختلفة.

— اعتماد رواية المصدر الأقدم، الذي روى أكبر كمية من شعره، مع مقابله بالتخريج، والاختلاف مع رواية المصادر الأخرى.

— تصدير المجموع الشعري بدراسة عن حياة الشاعر ونتاجه الشعري، من حيث الأغراض والموضوعات، والسمات الفنية بما يقتضي الدراسة وما يستحقه الشاعر.

ومن الله التوفيق والسداد.

القسم الثاني
ما تبقى من شعر ابن المنخل الشلبي
(قافية الهمزة)

(١)

بعث أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، في نكبته، وكان قد استوزره في
ولايته، بقصيدة أولها:

يا واحدي من ذا الورى بولائه

ووحيدهم _ إن ناظروا _ بذكائه^(١)

فأجابه ابن المنخل بقصيدة، منها: (من الكامل)

١_ يا مُلبِسي التُّعمى بحسن ثنائه

وممّيزي نقداً بصدق ولأيه

٢_ ألقى عليّ مديحه فلبسته

بُرداً، وردّ عليّ فضل ردايه

٣_ وأعاري من خُلّقه وصفاته

فسحبتُ ذيل الوشي من صنّاعه

٤_ لبيك من داعٍ تيمم حبه

قلبي، فصيرّه إلى سودائه

(١) الحلة السيرة: ٢ / ٢٠٨ .

٥_ إن كان أبناءُ الزمان تشبهوا

بأبيهم، ما أنت من أبنائه

٦_ فذُرِ الحسودَ لما به فدواؤه

في موته، وحياته من دائه

٧_ لله دُرُكٌ من فتى عبثت به

أيدي الزمان فأخلفت بعلائه

٨_ أفديه من حُرِّ جفاه زمانه

لو كان يسمح دهرنا بفدائه

٩_ قد كان مثل السهم ينفذ في الوغى

والنصرُ معقود برأس لوائه

١٠_ شهماً إذا دجت الخطوب

لعقولنا الأقمارُ من لألائه

١١_ شيمٌ كأزهار الربيع وراءها

همم تحطُّ النجم من غلوائه

١٢_ وإذا ترقى منبراً مُلممة

عطف القلوب على مناهج رائه

١٣_ كانت لياليه نجومَ زماننا

فتناثرت حُمماً على ظُلُمائه^(١)

((قافية الباء))

(٢)

ولأبي بكر بن المنخَّل يهنئ بمولودٍ سُمِّي قمراً ولم يعلم ابن المنخَّل بذلك: (من المتقارب)

١- هلالٌ تألَّقَ أم كوكبُ

وحجرٌ تدفق أم مِذْنَبُ^(٢)

٢- بدا طالعاً في سماءِ العلى

فأشرقَ من نُوره الغيهُبُ

٣- ولا غرورَ أن تتلاقى البَدورُ

فيولِّدُ للقَمَرِ الكوكبُ^(٣)

(٣)

ذكر عبور الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي البحر من سبتة إلى الأندلس ونزوله منها في مرفأ جبل طارق... وأذن للشعراء في الإنشاد، بذلك المجلس العالي الشريف العماد، فأوردوا ما نظموه من فكرهم بمحضر

(١) التخريج والتوثيق: الحلة السرياء: ٢ / ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) مِذْنَبُ: مسيل الماء .

(٣) التخريج والتوثيق: ملح السحر: ١٦١ .

الوارد والرواد، واحتفال الوفود والاشهاد، فقال أبو بكر بن المنخّل الشّلي مهناً
مادحاً، في ذلك الجمع: (من الطويل)

١_ فَتَحْتُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ فَاعْتَمَدُوا الْغَرْبَا

فإن نسيماً النصر بالفتح قد هباً

٢_ أَصْرْتُمْ إِلَيْهِ الْخَيْلَ وَهِيَ أَجَادِلُ

فسالت بكم بحراً وطارت بكم ركبا

٣_ وَدَسْتُمْ بِهَا هَامَاتِ كُلِّ مَضَلِّ

ولم تتركوا عجماً هناك ولا عرباً

٤_ رَمَيْتُمْ بِهَا مِثْلَ السِّهَامِ فَأَصْبَحَتْ

كُمَأْتُمْ صرعى وأموأهم نهباً

٥_ أَتَوْكُمْ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ سَوَابِغاً

كأهم البحرُ الغمالم قد عباً

٦_ وَظَنُوا _ وَفِي الظَّنِّ الْجَهَالَةُ _ أُنْهَمُ

يفلون من أجنادك الصارم العضبا

٧_ فَلَمَّا تَلَاقَيْتُمْ وَبَيَّنَّتِ الْوَعَى

تولوا وقد طارت قلوبهم زعبا

٨_ أَضَلَّتْهُمْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا

فكانت لهم رفعاً وكانوا لها نصبا

٩_ وقادتهم تلك السيوف إلى الردى

وما غادرت سهل القياد ولا صعبا

١٠_ وراموا فراراً والرماح تنوشهم

فما قطعوا فجاً ولا سلكوا شعبا

١١_ وخرؤوا جميعاً هامدين كأنهم

ندامى تساقوا بينهم أكؤس الصهبا

١٢_ تغشتهم سود المنايا فأصبحت

مفارقهم تغشى الجنادل والتربا

١٣_ وهبت عليهم ريح بأسك حرجفاً (١)

فما تركت نبعاً عليهم ولا قضبا

١٤_ لقد حكمت فيهم طي الهند رأيتها

تقتلهم ضرباً وتوسرهم سربا

١٥_ وكانوا لكم جنداً فصاروا غنيمة

كذلك من يرهى بآرائه عجبنا

١٦_ قروكم عتاقا شرباً (٢) وعواتقاً

(١) الحَرْجَفُ: الرِّيحُ الباردة. وريحٌ حَرْجَفٌ: باردة. ينظر: لسان العرب، حرف (الحاء)، ٩ / ٤٥.

(٢) شرب: الشَّارِبُ: الضامرُ اليابس من النَّاسِ وَعَبْرِهِمْ؛ وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْلِ وَالنَّاسِ. وَقَالَ

الأصمعي: الشارِبُ الَّذِي فِيهِ ضَمُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَهْرُولًا. ينظر: لسان العرب، ١ / ٤٩٤.

بما قد قَراهم جيشُك الطَّعَنَ والصَّرْبَا

١٧_ أقيموا على ابن الرِّيق بعد صدورها

وليسَ عَلَيْكم أن ترى ضَمْرًا قُبَا (١)

١٨_ رعتها الفيافي فاستدقت جسومها

بما قد رعتُ فيها الكلا يابساً رطباً

١٩_ عليها رجالٌ كالقِداح، وإنما

يكونونَ في الهيجاءِ هنديةً قصباً

٢٠_ فإن تَبَدُّوا بالعَرَبِ فالفتحُ واضح

وإنَّ نجومَ الدِّينِ طالعةٌ غرباً

٢١_ ضمان عليكم أن تبيحوا حريمه

وأن تكسروا فيها التماثيلَ والصلبا

٢٢_ وأن تُوردوها هُر (دُوَيْر) (٢) صواديا

فتأنف إن تسقى بها الباردَ العذبا

٢٣_ تعافُ نَميرَ الماءِ صفواً، فإن جَرَى

(١) قَبَّ القَوْمُ يَتَّقُونَ قَبًّا: صَحَبُوا فِي حُصُومَةٍ أَوْ تَمَارٍ. وَقَبَّ الأَسَدُ والقَحْلُ يَتَّقِبُ قَبًّا وَقَيْبًا إِذَا سَمِعَتْ فَعَقَّةً أَنْيَابَهُ. وَقَبَّ نَابُ القَحْلِ والأَسَدِ قَبًّا وَقَيْبًا كَذَلِكَ يُضَيِّقُونَهُ إِلَى النَّابِ. ينظر: لسان العرب،

١٥٧ / ١

(٢) هُرُّ دُوَيْرَةٍ، وكان يسميه العرب في الأندلس الوادي الجَوْيُّ أيضًا، هو ثالث أكبر انهار شبه جزيرة ايبيريا.

بِهِ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ أَفْنَيْتَهُ شُرْبًا

٢٤_ وَمَنْ تَخَذَ الْأَسَادَ عِدَّةَ حَرْبِهِ

أَعَدَّ مُجَاجَاتِ الْكُلُومِ لَهُ شُرْبًا

٢٥_ يَلُودُونَ فِي الْهَيْجَا بِأَرْوَاعِ مَا جِدِ

إِذَا دَارَتِ الْهَيْجَاءُ كَانَ لَهَا قُطْبًا

٢٦_ وَإِنْ عَصَفَتْ رِيحُ الْوَعْيِ أَحْدَقُوا بِهِ

فَكَانُوا لَهُ جِسْمًا وَكَانَ لَهُمْ قَلْبًا

٢٧_ مَلِيكَ كَأَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَةٌ كَفِّهِ

فَلَا بُعْدَ فِيمَا يَنْتَحِيهِ وَلَا قُرْبًا

٢٨_ لِكَفِّيهِ فَضْلًا بَانَ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ

إِذَا شَدَّ عَقْدَ السَّلْمِ أَوْ بَعَثَ الْحَرْبَا

٢٩_ إِذَا أُجْدَبَتْ أَرْضٌ نَحَاها بِجُودِهِ

فَمَا أَغْرَزَ السُّقْيَا وَمَا أَكْثَرَ الْخُصْبَا

٣٠_ وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ الْخَفِيَّاتِ أَمْرَهُ

لَمَا دَرَسُوا صُحُفًا وَلَا صَنَّفُوا كِتَابَا

٣١_ وَقَدْ كَانَ هَذَا الدِّينُ وَلِيَّ شَبَابِهِ

فَلَمَّا تَوَلَّى الدِّينُ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَبَّ

٣٢_ إِذَا مَا ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ ضَاقَ أَمْرُنَا

تَفْرَجُ حَتَّى صَارَ مَتَّسِعاً رَحْبَا

٣٣_ كَذَلِكَ مَنْ يَلْقَى الْخَلِيفَةَ تَلَقَّهُ

بَشَائِرُ يَسْتَجْلِي بِهَا السَّهْلَ وَالرَّحْبَا

٣٤_ نَسِينَا بِهِ أَبْنَاءَنَا وَدِيَارَنَا

فَهَا نَحْنُ لَا نَرْتاحُ إِنْ ذَكَرُوا شَلْبَا

٣٥_ بِلَادُ قِضَى فِيهَا الشَّبَابُ مَارِي

وَأَبْقَى لِنَفْسِي مَا بَقِيَتْ بِهَا إِزْبَا

٣٦_ تَبَشَّرْنَا عَنْهُ الصَّبَاحُ بَعْرَةَ

إِذَا طَلَعَتْ حَيَّتْ بِيَهْجَتِهَا الرِّكْبَا

٣٧_ فَقُلْ لَابِنِ رَيْمُنْدٍ تَأْهَبُ لِعِزْوَةَ

يَسُدُّ عَلَيْكُمْ جَيْشُهَا الْأَفْتَحُ السَّهْبَا

٣٨_ إِذَا جَرَدَتْ فِيهَا السِّيُوفُ حَسِبْتَهَا

جَدَاوِلَ رَوْضٍ، وَالرِّمَاحَ بِهِ قِضْبَا

٣٩_ كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ (١) بَاضَتْ بِأَفْقِهِ

وَقَدْ لَقِحَتْ هُجُجُ الرِّيحِ بِهِ سُحْبَا

٤٠_ وَإِنْ عَثَرَتْ أَعْلَامُهُ لِمُحَارِبٍ

جَرَى دَمُهُ مِنْ تَحْتِهَا وَابِلًا سَكْبَا

(١) الدَّوُّ: الفَلَاةُ الواسِعَةُ، وَقِيلَ: الدَّوُّ المِشْتَوِيَّةُ مِنَ الْأَرْضِ. ينظر: لسان العرب، ١٤ / ٢٧٦.

٤١_ وإن لقيت هضباً حوافرُ حَيْلِهِ

أصارتَه سَهْلاً لا ترى فَوْقَه هَضْباً

٤٢_ إذا جاوزت دَرْباً إِلَيْكُمْ فإِثْمًا

يُجُوزُ وشَيْكَ المَوْتِ نَحْوَكُمْ دَرْبًا

٤٣_ وإن يقض نَحْبًا مِنْهُمْ ذُو بَسَالَةٍ

فمن نَفْسِ جَبَّارٍ لَكُمْ يَقْتَضِي النَّحْبَ

٤٤_ وَيَسْتَنْشِدُ البَطْرِيقَ فِي عَرَصَاتِكُمْ

(فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرْبًا)

٤٥_ أَمْرَسَلَهَا شُعْتَ النَوَاصِي سَوَاهِمَا

وَمُصْنَدِهَا شُفْرًا وَقَدْ وَرَدَتْ شُهْبًا

٤٦_ تَرْفُقُ عَلَيْنَا إِنَّمَا خَيْرٌ مَكْسَبٍ

وَأَفْضَلُ مَالِ المَرْءِ أَفْضَلُهُ كَسْبًا

٤٧_ فَلَوْ لَمْ تُجْزِهَا السُّفُنُ نَحْوَ عَدْوِهَا

لجَازَتْ إِلَيْهِ البَحْرَ تَقْطَعُهُ وَثْبًا

٤٨_ فما أعطت العُرْبُ القِيَادَ طَوَاعَةً

ولا أَسْمَحَتْ وَدًّا، ولا أَدْعَنْتْ حُبًّا

٤٩_ ولكن رأتْ شُهْبَ الهُدَى مُسْتَبِيرَةً

فخَافَتْ رُجُومًا مِنْ أَسِنَّتِهِ شُهْبًا

٥٠_ رَأَوْا بَكَ دِينَ اللَّهِ كَيْفَ اعْتَرَاظَهُ

وَأَنْتُمْ لَهُ حَرْبٌ فَكَانُوا لَهُ حَرْبًا (١)

((قافية الحاء))

(٤)

ومن شعره مسلّمًا عن هزيمة: (من الكامل)

١_ لا تكثر يا بن الخليفة إنّه

قَدَرٌ أُتِيحَ فَمَا يُرَدُّ مُتَاحَهُ

٢_ قد يكدر الماء القراح لعلّة

ويعود صفواً بعد ذاك قَرَّاحَهُ (٢)

(١) التخريج والتوثيق: تأريخ المن بالإمامة: ١٤٢ - ١٤٨.

(٢) التخريج والتوثيق: الوافي بالوفيات (تحقيق: محمد إبراهيم بن عمر): ٢ / ٧ - ٨، و (تحقيق: أبو

عبد الله الأسيوطي): ١ / ٣١٠، وفي: المقتضب من كتاب تحفة القادم: ١١٩، نسبها لابنه عبد

الله .

(٥)

ولما ولي الأميرُ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (بعد أبيه) سنة ثمان وخمسين
وخمسمائة أنشده أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي: (من الكامل)

١_ تَهَنَّ الخِلافةُ أنْ جَلوتَ صباحها

ومدَدتْ من نُورِ الهدى أوضاحها

٢_ وعقدتْ عقدك في الوفاءِ وعهدُها

ووصلتْ راحك في العلاءِ وراحها

٣_ ووفرتْ من حُسنِ السِّياسةِ حظَّها

فحميتْ جانبها ورشَّتْ جناحها

٤_ صدقتْ أميرَ المؤمنينِ فِراسةً

لاحتْ كضوءِ الصُّبحِ حينَ ألاحها

٥_ لكنَّها عينُ اليقينِ بأتمَّها

قد أوقدتْ بكِ للهدى مصباحها

٦_ لم تُخَوِّها حتَّى حَوَّيتْ فضائلًا

شدَّتْ إليك نِطاقها ووشاحها

٧_ إنْ كانتْ النعماءُ كنتِ سحابها

أو كانتِ الهيجاءُ كُنتِ سلاحها

٨_ إِنَّ أَهْلَكَ الْأَعْدَاءَ رِيحٌ عَذَابِهَا

بَعَثَتْ لِأَحْيَاءِ الْعُقَاةِ رِيَاخَهَا

٩_ شَرِدَتْ زَمَانًا عَنْ أَكْفٍ مَعَاشِرٍ

نَسِيَتْ لَدَيْكَ شُرُودَهَا وَجَمَاحَهَا

١٠_ قَامَتْ وَقَدْ حَمَدَتْ إِلَيْكَ مَقَامَهَا

وَزَكَتْ فَلَمْ تَطْلُبْ إِلَيْكَ سَرَاخَهَا

١١_ قَامَتْ خَلَاتِقُكَ الْكِرَامُ بِوصفِهَا

طَوَرَ الْمَدِيحِ فَأَفْحَمَتْ مُدَاخَهَا

١٢_ رَدَّتْ عَلَى الْخُطْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ فِي

خَوْكِ الْكَلَامِ فَعَطَّلَتْ أَمْدَاخَهَا

١٣_ فَالْبَسَ مَحَاسِنَهَا وَجَرَ ذُيُوبَهَا

فَاللَّهُ قَدَّرَهَا لَكُمْ وَأَتَاخَهَا

١٤_ سُسَّتْ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ بِشَمَائِلِ

ضَمِنَتْ لَغَايَاتِ الْأُمُورِ صِلَاخَهَا

١٥_ إِنَّ الْمَعَالِي مُذْ نَشَأْنَ سَحَابٌ

تَسْقِي ثَرَاكَ غُدُوبَهَا وَرَوَاخَهَا

١٦_ أَخْضَلَتْ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ مَرَادَهَا

فَعَدَّتْ تَبَوُّئِي فِي ذَرَاكَ مَرَاخَهَا

- ١٧_ وَجَرَى نَدَاكَ الْعَذْبُ فِي شَجَرَاتِهَا
فَثَنَتْ عَلَيْكَ غُصُونُهَا أَمْدَاحِهَا
- ١٨_ فَوَضَعَتْ دِرَّتَهَا وَقُدَّتْ زَمَامَهَا
فَتَكَسَّبَتْ بِكَ بِشْرَهَا وَسَمَاحِهَا
- ١٩_ وَالْمَأْتِرَاتُ إِذَا اعْتَبِرْنَ فَإِنَّمَا
طُبِعَتْ جُسُومًا كُنْتُمْ أَرْوَاحِهَا
- ٢٠_ سَلَسَلْتُمْ رَاحَ الْمَكَارِمِ لِلْوَرَى
فَسَقَيْتُمُوهُ نَمِيرَهَا وَقَرَّاحِهَا
- ٢١_ مَرَحْتُ جِبَادُكَ لَيْسَ يَنْبِيهَا السُّرَى
وَلَأْمُرَ غَيْبٍ مَا تَطِيلُ مَرَّاحِهَا
- ٢٢_ وَشَرَّتْ سَيُوفُكَ بِالْعَلَى أَعْمَادَهَا
يَوْمَ الْوَعَى فَاسْتَجَزَلَتْ أَرْبَاحِهَا
- ٢٣_ تُسْقِي الْعُدَاةَ سِمَامَهَا فَكَأَنَّهَا
أَيْدٍ تُصَقِّقُ لِلنَّدَامَى رَاحِهَا
- ٢٤_ بِأَكْفٍ طَائِفَةٍ تَرَى يَوْمَ الْوَعَى
بِفَنَائِهَا أَنْ تَسْتَحَدَّ فَلَاحِهَا
- ٢٥_ هَجَرَتْ لِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ سَهَامَهَا
وَنَفَتْ لِأَشْفَارِ الطُّبِيِّ أَرْمَاحِهَا

٢٦_ تختارُ من بيضِ السُّيوفِ فليها

وتدُم من سُمِّ الرِّمَاحِ صِباحِها

٢٧_ وتظل إن سفع الحديد وجوهها

صبغت بتأمور القلوب صِباحِها

٢٨_ وإذا دعاهم صارخٌ لكريهة

طاروا لها بيضَ الوجوه صباحِها

٢٩_ متهلِّلين كأنَّ في قسماهم

سُرجاً تُبين تحتها أشباحِها

٣٠_ أنت الذي إن حلَّ ربك طارقٌ

ألقت لك الكوم العِناقِ رماحِها

٣١_ و تخاضعت دُلاًَّ إليك رقابها

تُرْجِي إليك هجاءها ولقاحها

٣٢_ وإذا امتطى ظهرَ الحصان رأيتَه

بدرَ الكتائبِ ليثها جَحْجَاحِها

٣٣_ وإذا امتريتِ نواله ألقيتَه

سمحَ الخلائقِ جزلها وضَّاحِها

٣٤_ يا روضةً للآملينَ وجنة

تدعو بجي على الندى مُنَّاحِها

٣٥_ إِنَّ الْأَعَادِي لَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا

توري بشلب مغارها وكفاحها

٣٦_ قَدْ غِيَّضَتْ أَهْمَارَهَا وَتَحَرَّقَتْ

أشجارها وتكفأت أقداحها

٣٧_ كَلِفْتُ بِهَا أَعْدَاؤَهَا حَتَّى لَقَدْتُ

أخذوا عليها نجدها وبطاحها

٣٨_ مَا ضَرَرْنَا إِنْ غَلَّقُوا مَا حَوْطَهَا

إِنْ كَانَ سَيْفُكَ بَعْدَهَا مِفْتَاحَهَا

٣٩_ وَأَنَا الرَّعِيمُ إِذَا أَشْرَتْ بِلِحْظَةٍ

أَنْ تَسْتَرِدَّ عِدَاءَهَا وَطِمَاحَهَا

٤٠_ فَعَلَى سَيْفِكَ أَنْ تُبِيدَ كَمَا تَمَّا

وعلى جُيوشِكَ أَنْ تَرَوِّحَ سَاحَهَا

٤١_ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ اللَّيَالِي إِهْمًا

قد أبرحت بظلامتي أبراحها

٤٢_ كَمْ رُمْتُ أَنْ أَلْقَاكُمْ وَتَصْدُنِي

نُوبٌ تَنْيخُ بِسَاحَتِي أَتْرَاحَهَا

٤٣_ وَتَضِيقُ نَفْسِي ثُمَّ أَجْرِي ذِكْرَكُمْ

فتظلل تستدني إلي نجاجها

٤٤_ إن كان دَهْرِي يَبْتَغِي إِفْسَادَهَا

بِجَمِيلِ رَأْيِكَ قَدْ أَسْوَتْ جِرَاحَهَا

٤٥_ قَلِقْتُ رِكَابِي مِنْ مُعَاوَدَةِ السُّرَى

وَحَمْدَنَ رَأْيِي حِينَ كُنْتُ صَبَاحَهَا

٤٦_ وَصَلْتُ إِلَى مَلِكِ الْهُدَى فَأَعَادَهَا

مِمَّا شَكَّنْتَهُ مِنَ السُّرَى وَأَرَاخَهَا

٤٧_ وَإِلَيْهَا قَدْ بَيَّنْتُ عَنْ طَاعَةٍ

قَصْرْتُ عَلَيْكُمْ مَحْضَهَا وَصُرَاخَهَا

٤٨_ وَشَدَّتْ بِذِكْرِكُمْ الْجَمِيلُ فَعَطَّتْ

زَهْرُ الْحَدَائِقِ وَرَدَّهَا وَصَبَاحَهَا^(١)

(١) التخريج والتوثيق: تأريخ المن بالإمامة: ٢٤٠ _ ٢٤٤ ، ملح السح: ١٦٠، وفيه ذكر للأبيات الثلاث الأولى فقط، وفيها (يهني) بدل (تمن) و (عهذك) بدل (عقدك) و (حظّ) بدل (حسن)

((قافية الدال))

(٦)

ولابن المنخَّل مع ابنه عبد الله: (من الوافر المجزوء)

١- تَنَقُّ صَفَادُ الْوَادِي

فقال ابنه:

بِصَوْتٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ

فقال ابن المنخَّل:

٢- كَأَنَّ ضَجِيحَ مُعْوَلِهَا

فقال ابنه:

بُنُو الْمَلَّاحِ فِي النَّادِي

فلَمَّا أَحسَّت الضفادع بهما

فقال ابن المنخَّل:

٣- وَتَصُمْتُ مِثْلَ صَمْتِهِمْ

فقال ابنه:

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى زَادٍ

فقال ابن المنخَّل:

٤- فَلَا غَوْتُ لِمَلْهُوفٍ

(١) نفع الطيب: ٣ / ٥٢١، وهذه الزيادة لم ترد في غيرها.

فقال ابنه:

وَلَا غَيْثٌ مُرْتَادٍ^(١)

((قافية الراء))

(٧)

له _ ابن المنخَّل _ من قصيدة: (من الكامل)

١_ إِنْ يَنْقَلِبُ لَيْلُ الشَّابِ مَهَارًا

فَلَقَدْ أَجَدَّ بِنَا الْمَشِيبِ عِثَارًا

٢_ فَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّيْلَ أَصْبَحَ

عِنْدِي وَأَنَّ الصُّبْحَ كَانَ مَهَارًا

٣_ كُنَّا نَرَى أَنَّ الْمَشِيبَ جَلَالَةً

حَتَّى لَبِسْنَاهُ فَكَانَ بَدَارًا

٤_ قَالُوا وَقَارٌ قُلْتُ وَآؤُ أَفْحَمْتُ

مَا تُبْصِرُ الْحُسْنََاءُ إِلَّا قَارًا^(٢)

-
- (١) التخريج والتوثيق: جنى الأزاهر النضيرة: ١٢٣ _ ١٢٤، زاد المسافر: ١٣٠، رايات المبرزين: ٥٧ _ ٥٨، وفيها (مقولها) بدل (معولها)، المغرب: ١ / ٣٨٧، الشطر الثالث والرابع مع إجازتهما لم ترد فيها، نفع الطيب: ٣ / ٥٢٠ _ ٥٢١، وفيها (نقيق) بدل (ضحيج) و (مقولها) بدل (معولها)، سلافة العصر: ٥٣٦ _ ٥٣٧، وفيها (كان تفتق مقولها) بدل (كأن ضحيج معولها) و (بنو الملاح قصاد) بدل (بنو الملاح في نادي) و (عيث) بدل (غيث).
- (٢) التوثيق والتخريج: جنى الأزاهر النضيرة: ١٢١ _ ١٢٢، زاد المسافر: ١٢٩، وفيها (ضمارا) بدل (خمارا) و (بوارا) بدل (بدارا) .

(٨)

وله _ ابن المنخل _ : (من مخلع البسيط)

١ _ وَفَاتِكَ الطَّرْفِ ذِي اخْوَرَارِ

خَدَاهُ لِلْوَرْدِ وَالْبَهَارِ

٢ _ كَالْعُصْنِ فِي قَدِّهِ وَلَكِنْ

كَالظُّبِيِّ فِي الْجَبَدِ وَالنِّفَارِ

٣ _ دَارِيئَتُهُ وَالزَّمَانُ يَلْوِي

أَطْرَافَ لَيْلِي عَلَى نَهَارِي

٤ _ فَكُلَّمَا رُمْتُ مِنْهُ وَصَلًا

جَحَّحَ فِي الْهَجْرِ وَالنِّفَارِ

٥ _ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ حِينِ

أَجْمَهُ الدَّهْرُ بِالْعِدَارِ

٦ _ فَجَاءَ سَمَحَ الْعِنَانِ سَهْلًا

عَلَى مُرَادِي وَبِاخْتِيَارِي^(١)

(٩)

(١) التوثيق والتخريج: جنى الأزهري النضيرة: ١٢٢، زاد المسافر: ١٢٩، وفيها (ولاكن) بدل (ولكن) و(التيه) بدل (الهجر).

ولأبي الوليد محمد بن عمر بن المنذر: (من الطويل)
لئن غضّ منك الدهرُ يوماً بأزمةٍ

فحسبُك أن تُلقَى وأنت

فأجابه _ ابن المنخّل _ بقوله: (من الطويل)

١_ تجاف عن الدنيا وعن بردِ ظلِّها

فإنَّ بُروداً لا يدوم حرُّورُ

٢_ فدَيْتُك، لا تأسف لُدُنْيا

وأوحش يوماً منبرٌ وسرير

٣_ وإن عرِيتْ جُرْدُ المداكي

أسودّ، فلم يُسمع هن زئير

٤_ وغودرت الرايات تهفو كأنها

جوانحُ من دعرٍ عليك تطير

٥_ وكانت ولم تُدعِرْ عليك كأنها

إذا رفرفت يومَ الهياج نسور

٦_ طلبتَ وفاءً، والوفاءُ سجيّةٌ

ولكنّها _ أمّ الوفاء _ نرُور

٧_ رأيتُك تبغي مثلَ نفسك في

(١) الحلة السيرة: ٢ / ٢١٠ .

طَلَابٌ لَعْمَرِي مَا أَرَدَتْ عَسِير

٨_ ومن ذا الذي يسمو سموك

ويعفو عن الزلات وهو

((قافية الفاء))

(١٠)

وله _ ابن المنخل _: (من السريع)

١_ مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى شَاعِرٍ

يَتَمَنِّي بِالْهَجْرِ ثُمَّ اخْتَفَى

٢_ مَنْ دَلَّنِي مِنْكُمْ عَلَى عَيْنِهِ

حَكَمْتُهُ فِي صَفْعِ ذَاكَ الْقَفَا^(٢)

(١١)

ولما وصل السيد _ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن _ إلى طبيرة ونازلها
وفد عليه أشياخ بلاد بني وزير وفي جملتهم الشاعر الأديب أبو بكر بن منخل
فقال يمدحه ويتغزل في قصيدة طويلة أولها: (من الطويل)

١_ أقدك أم غصن من البان

ولحظك أم سيف من الهند مرهف

(١) التخريج والتوثيق: الحلة السيرة: ٢ / ٢١٠.

(٢) التخريج والتوثيق: جنى الأزاهر النضيرة: ١٢٣، زاد المسافر: ١٢٩ _ ١٣٠، وفيها (بمضي بالهجو)
بدل (بتمني بالهجر) .

ومنها:

٢_ فقالوا: أغزو؟ قلت: لا

فقالوا: فمن يغزو العدى؟ قلت:

٣_ سليل أمير المؤمنين وكفه

وصارمه العضب الذي يتخوف^(١)

((قافية القاف))

(١٢)

وله _ ابن المنحل _ في صباه: (من الكامل)

١_ وَخَرِيدَةٌ مَرَّتْ بِشَاطِئِ جَدْوَلٍ

كَالشَّمْسِ طَالِعَةً عَلَى آفَاقِهَا

٢_ فَكَأَنَّهَا بِلِقَيْسٍ وَاثَتْ صَرَحَهَا

لَوْ أَنَّهَا كَشَفَتْ لَنَا عَنْ سَاقِهَا^(٢)

(١) التخريج والتوثيق: البيان المغرب، قسم الموحددين (تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرين): ٥٧، و

(تحقيق: بشار عواد و محمد بشار عواد): مج ٣ / ١٤٦ .

(٢) التخريج والتوثيق: جنى الأزاهر النضيرة: ١٢٢ ، تحفة القادم: ٦٣ _ ٦٤ ، وفيها يُنسب البيتان

لابن سكن بزيادة بيت آخر وهو (حوريةٌ قمريةٌ بدويةٌ..... ليس الجفا والصدُّ من أخلاقها)،

المقتضب من كتاب تحفة القادم: ٩٨ _ ١٠٠، وفيها ينسب هذين البيتين لـ (أبي بكر بن سكن)

(١٣)

وله _ ابن المنحل _ : (من الكامل)

١ _ ما ضَرَّهَا وهي الجمالُ بأسره

لو أَمَا زُفَّت إلى عُشَاقها^(١)

((قافية الميم))

(١٤)

وقال ابن المنحل : (من الكامل)

١ _ كم ليلةٍ دارت عليَّ كواكبٌ

للخمر تطلع ثم تغربُ في فمي

٢ _ قبَّلَها في كفِّ مَنْ يسعى بها

وخلطت قبلتها بقبلة معصم

٣ _ وكانَ حُسْنَ بنانه مع كأسه

غيمٌ يشيرُ لنا ببعضِ الأنجمِ^(٢)

((قافية النون))

(١٥)

من أهل شلب، مع اختلاف في بعض الكلمات، تحفة العروس ومثوعة النفوس: ٣٤٧، وفيه ينسب

البيتين مع إضافة البيت الثالث ل (ابن سكن) أيضاً.

(١) التخريج والتوثيق: تحفة القادم: ٦٤، المقتضب من كتاب تحفة القادم: ١٠٠ .

(٢) التخريج والتوثيق: نفع الطيب: ٤ / ٧٣ .

فمن ذلك قوله _ ابن المنخَّل _ وهو آخر شعر قاله: (من الطويل)

١_ مَضَتْ لِي سَبْعٌ بَعْدَ سَبْعِينَ حِجَّةً

وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونٌ

٢_ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ

يَكُونُ الَّذِي لَا يُدُّ أَنْ سَيَكُونُ^(١)

((قافية الياء))

(١٦)

ولابن المنخَّل فيه _ أي أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر _ يرثيه من

قصيدة: (من الطويل)

١_ بِأَيِّ حَسَامٍ أَدْفَعُ الْخَطْبَ بَعْدَ مَا

فَقَدْتُ الْحَسَامَ الْمُنْذِرِيَّ الْيَمَانِيَا

(١) التخريج والتوثيق: جنى الأزاهر النضيرة: ١٢١ ، زاد المسافر: ١٣٠ ، التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: د. بشار عواد): ٢ / ١٧٦، و (تحقيق: د. عبد السلام المراس): ٢ / ٢٨ ، وفيهما (سُ) بدل (سبع)، وفي ختام البيتين ينقل ابن الأثير قول أبي الربيع بن سالم الكلاعي: (وقد رأيت هذين البيتين في ديوان شعر ابن المنخَّل)، الذيل والتكملة: ٤ / ١٠٤ ، وفيها ورد صدر البيت الثاني هكذا (فيا ليت شعري كيف أو اين أو متى)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢ / ٢٠٢ ، المستملح: ٦١ ، نفع الطيب: ٤ / ١١٧ ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان: ٥١٤ ، وفيها (ست) بدل (سبع) و (يُقَدَّرُ ما) بدل (يكون الذي)

٢- وَمَنْ لِي بِمِثْلِ الْمُنْذِرِيِّ مُحَمَّدٍ

صديقاً صدوقاً أو خليلاً

٣- وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَدِينِي الْبَعِيدَ بِرَأْيِهِ

فِيَأْتِي عَلَيَّ حَكْمَ الْإِرَادَةِ

(١) التخريج والتوثيق: الحلة السرياء: ٢ / ٢١١ .

المصادر والمراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢.
- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، لابن مريم الملقب بالمديوني التلمساني، تحقيق: د. عبد القادر بو بايه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، لابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ودار الثقافة، الغرب، ط ١، ١٩٨٥.
- البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى (ت ٧١٢ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٣.
- تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، لابن أبي صاحب الصلاة، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨١.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- تحفة القاد، لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلسني، أعاد بناءه وعلق عليه: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦.
- تحفة العروس ومُتعة النفوس، محمد بن أحمد التجاني، تحقيق: جليل العطية، رياض الريس للكتب والنشر، المملكة المتحدة، ط ١، ١٩٩٢.
- التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تحقيق: د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١١.
- الجامع، جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، محمد عبد القادر بامطرف، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١.
- جنى الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح والذخيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة، وهو كتاب اختيارات أبي الحسن الرعيني، أبي الحسن علي ابن الفخار

- الرعييني (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق: د. البشير التهالي و د. رشيد كناني، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٩.
- الحلة السيرة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩ هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهرسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، و عبد الحفيظ شلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٦.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٣ منقحة، ٢٠٠٣.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق: د. إحسان عباس و د. محمد بن شريفة و د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٢.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، جمهورية مصر العربية، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٣.
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لأبي بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسى، أعده وعلق عليه: عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠.
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني، الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩ هـ)، تقديم: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٠٦.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.
- لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم اليازجي وآخرون، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

- ملح السحر من روح الشعراء، لابن ليون التجيبي، دراسة وتحقيق الطالبة: منال محمد منيزل، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، ١٩٩٥.
- المستملح من كتاب التكملة، شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٨.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
- المعجم في أصحاب القاضي الصديقي أبي علي حسين بن محمد (ت ٥٩٤ هـ)، لابن الأبار، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري _ القاهرة، دار الكتاب اللبناني _ بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة) دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٩.
- المقتضب من كتاب سبط الجمان و سقط الأذهان ، لأبي عمرو عثمان بن علي بن عثمان المعروف بابن الإمام الشليبي الإستجي (ت ٥٦٠ هـ)، قرأته وعلقت عليه: حياة قارة، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم بن عمر و محمد بن الحسين بن محمد، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، (د. م)، ط٢، ١٩٧٤.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.

al-Maṣādir wa-al-marāji‘

- _ al-A‘lām, Khayr al-Dīn al-Ziriklī (t 1396 H), Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt, 15, 2002.
- _ al-Bustān fī dhikr al-‘ulamā’ wa-al-awliyā’ bi-Tilimsān, li-Ibn Maryam al-Malīfī al-Madyūnī al-Tilimsānī, taḥqīq: D. ‘Abd al-Qādir Bū bāyh, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, 2013.
- _ al-Bayān almughrib fī Akhbār al-Andalus wa-al-Maghrib, Qism al-Muwahhīdīn, li-Ibn ‘Idhārī al-Marrākushī, taḥqīq: Muḥammad Ibrāhīm al-Kattānī wa Muḥammad ibn Tāwīt wa Muḥammad Zunaybar wa ‘Abd al-Qādir Zamāmah, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, wa Dār al-Thaqāfah, al-Gharb, 1, 1985.
- _ al-Bayān al-Maghrib fī ikhtishār akhbār mulūk al-Andalus wa-al-Maghrib, Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘dhārā (t 712 H), taḥqīq: Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf wa Muḥammad Bashshār ‘Awwād, Dār al-Gharb al-Islāmī, Tūnis, 1, 2013.
- _ ta‘rīkh almn bi-al-imāmah ‘alā almstq‘fyn bi-anna j‘lhm Allāh a‘immat wj‘lhm al-wārithīn, li-Ibn Abī šāhib al-šalāh, taḥqīq: D. ‘Abd al-Hādī al-Tāzī, Dār al-hurrīyah lil-Ṭībā‘ah, Baghdād, 1979.
- Tārīkh al-adab al-‘Arabī, D. ‘Umar Farrūkh, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt, 1, 1981.
- Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-a‘lām, Shams al-Dīn al-Dhahabī (748h), taḥqīq: D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1, 2003.
- _ Tuḥfat al-qādim, li-Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn al-Abbār al-Quḍā‘ī al-Balansī, a‘āda binā’uhu wa-‘allaqa ‘alayhi: D. Iḥsān ‘Abbās, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, 1, 1986.
- _ Tuḥfat al-‘arūs wmut‘h al-nufūs, Muḥammad ibn Aḥmad al-Tijānī, taḥqīq: Jalīl al-‘Aṭīyah, Riyāq al-Rayyis lil-Kutub wa-al-Nashr, al-Mamlakah al-Muttaḥidah, 1, 1992.
- al-Takmilah li-kitāb al-šilah, Abū ‘Abd Allāh ibn al-Abbār (t658h), taḥqīq: D. ‘Abd al-Salām al-Harrās, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1995.
- _ al-Takmilah li-kitāb al-šilah, Abū ‘Abd Allāh ibn al-Abbār (t658h), taḥqīq: D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Tūnis, 1, 2011.
- _ al-Jāmi‘, Jāmi‘ Shaml A‘lām al-muhājirīn al-muntasibīn ilā al-Yaman wa-qabā’iluhum, Muḥammad ‘Abd al-Qādir Bāmṭaraf, Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfah wa-al-I‘lām, al-Jumhūrīyah al-‘Irāqīyah, Dār al-Rashīd lil-Nashr, 1981.
- _ Janā al-azāhir al-naḍīrah wa-sanā al-zawāhir al-munīrah fī Šilat al-maṭmaḥ wa-al-dhakhīrah mim mā walladat’hu al-khawātir min al-Maḥāsīn fī Hādhihi al-muddah al-akhīrah, wa-huwa Kitāb Ikhtiyārāt Abī al-Ḥasan al-Ru‘aynī, Abī al-Ḥasan ‘alā Ibn al-Fakhkhār al-Ru‘aynī (t 666 H), taḥqīq: D. al-Bashīr al-Tahālī wa D. Rashīd Kinānī, Mu‘assasat al-Risālah Nāshirūn, Bayrūt, 1, 2019.
- _ al-Ḥillāh al-siyarā’, li-Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn Abī Bakr al-Quḍā‘ī al-ma‘rūf bi-Ibn al-Abbār (t 658 H), taḥqīq: Ḥusayn Mu‘nis, al-Sharikah al-‘Arabīyah lil-Ṭībā‘ah wa-al-Nashr, al-Qāhirah, 1, 1963.

- _ al-Dībāj al-madhhab fī ma‘rifat a‘yān ‘ulamā’ al-madhhab, li-Ibn Farḥūn al-Mālikī (t 799 H), taḥqīq: D. Muḥammad al-Aḥmadī Abū al-Nūr, Dār al-Turāth lil-Ṭab‘ wa-al-Nashr, al-Qāhirah, 1972.
- _ Dīwān Abī al-Ṭayyib al-Mutanabbī bi-sharḥ Abī al-Baqā’ al-‘Ukbarī al-musammā bāltbyān fī sharḥ al-Dīwān, dabaṭahu wa-ṣahḥahahu wa-waḍa‘a fahārisahu: Muṣṭafā al-Saqqā, wa Ibrāhīm al-Abyārī, wa ‘Abd al-Ḥafīz Shalabī, Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, Miṣr, 1936.
- _ Dīwān Ibn al-Rūmī, taḥqīq: D. Ḥusayn Naṣṣār, Maṭba‘at Dār al-Kutub wa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah, Markaz taḥqīq al-Turāth, al-Qāhirah, 3 munaqqaḥah, 2003.
- _ al-Dhayl wāltkmlh lktāby almwṣwl wa-al-ṣilah, Abī ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Malik al-Anṣārī al-Awsī al-Marrākushī, taḥqīq: D. Iḥsān ‘Abbās wa D. Muḥammad ibn Sharīfah wa D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Tūnis, 1, 2012.
- _ Rāyāt almbrzyn wghāyāt almmzyzn, li-Ibn Sa‘īd al-Andalusī, taḥqīq: D. al-Nu‘mān ‘Abd al-Muta‘āl al-Qāḍī, Lajnat Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī, Jumhūrīyat Miṣr al-‘Arabīyah, Maṭābi‘ al-Ahrām al-Tijārīyah, al-Qāhirah, 1973.
- _ Zād al-musāfir wa-ghurrat Muḥayyā al-adab al-sāfir, li-Abī Baḥr Ṣafwān ibn Idrīs al-Tujībī almursy, a‘addahu wa-‘allaqa ‘alayhi: ‘Abd al-Qādir Maḥdād, Dār al-Rā‘id al-‘Arabī, Bayrūt, 1970.
- _ Sulāfah al-‘aṣr fī Maḥāsīn al-shu‘arā’ bi-kull Miṣr, ‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad Ma‘ṣūm al-Ḥasanī al-Ḥusaynī, al-shahīr bi-Ibn Ma‘ṣūm (t 1119 H), taqḍīm: Muḥammad Amīn al-Khānjī, Maktabat al-Khānjī, Miṣr, 1906.
- _ Siyar A‘lām al-nubalā’, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān al-Dhahabī (t748 H), taḥqīq: Shu‘ayb al-Arna‘ūt, Mu‘assasat al-Risālah, Bayrūt, 3, 1985.
- _ Lisān al-‘Arab, li-Ibn manzūr (t 711h), waḍ‘ ḥawāshīhi: Ibrāhīm al-Yāzījī wa-ākharūn, Dār Ṣādir, Bayrūt, 3, 1414 H.
- _ Lumaḥ al-siḥr min Rūḥ al-shi‘r, li-Ibn luywn al-Tujībī, dirāsah wa-taḥqīq al-ṭālibah: Manāl Muḥammad Manīzal, ishrāf: al-Ustādḥ al-Duktūr ‘Abd al-Karīm Khalīfah, Kullīyat al-Dirāsāt al-‘Ulyā, al-Jāmi‘ah al-Urdunīyah, Risālat mājistīr, 1995.
- _ almstmh min Kitāb al-Takmilah, Shams al-Dīn al-Dhahabī (t 748 H), taḥqīq: D. Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Tūnis, 1, 2008.
- _ Mu‘jam A‘lām al-Jazā’ir, ‘Ādil Nuwayḥīd, Mu‘assasat Nuwayḥīd al-Thaqāfiyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, Bayrūt, 2, 1980.
- _ al-Mu‘jam fī aṣḥāb al-Qāḍī al-Ṣadafī Abī ‘Alī Ḥusayn ibn Muḥammad (t 594 H), li-Ibn al-Abbār, taḥqīq: Ibrāhīm al-Abyārī, Dār al-Kitāb al-Miṣrī _ al-Qāhirah, Dār al-Kitāb al-Lubnānī _ Bayrūt, 1, 1989.
- _ almughrb fī ḥulā al-Maghrib, li-Ibn Sa‘īd al-Andalusī, taḥqīq: Shawqī Dayf, Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah, 3, 1978.
- _ al-Muqṭaḍab min Kitāb Tuḥfat al-qādim, li-Ibn al-Abbār (t 658 H), taḥqīq: Ibrāhīm al-Abyārī, Dār al-Kitāb al-Miṣrī, al-Qāhirah) Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt, 3, 1989.

- _ al-Muqtaḍab min Kitāb simṭ al-jumān wa saqṭ al-adhhān, li-Abī ‘Amr ‘Uthmān ibn ‘Alī ibn ‘Uthmān al-ma‘rūf bi-Ibn al-Imām al-Shalabī al’sṭjy (t 560 H), qr’tḥ wa-‘allaqat ‘alayhi: ḥayāt Qārah, Dār al-Najāḥ al-Jadīdah, al-Dār al-Bayḍā’, 2002.
- Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, Aḥmad ibn Muḥammad al-Muqrī al-Tilimsānī (t1041h), taḥqīq: D. Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1997.
- _ al-Wāfī bi-al-Wafayāt, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak al-Ṣafadī (t 764 H), taḥqīq: Muḥammad Ibrāhīm ibn ‘Umar wa Muḥammad ibn al-Ḥusayn ibn Muḥammad, Dār al-Nashr Frānz Shtāynir bfysbādn, (D. M), 2, 1974.
- al-Wāfī bi-al-Wafayāt, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak al-Ṣafadī (t 764 H), taḥqīq: Aḥmad al’rn’wwṭ wa Turkī Muṣtafá, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, 2000.
- _ al-Wāfī bi-al-Wafayāt, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak al-Ṣafadī (t 764 H), taḥqīq: Abū ‘Abd Allāh Jalāl al-Asyūfī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, 2010.

السرد في (مذكرات شاهد للقرن) لمالك بن نبي
(مقارنة حاجية تداولية)

د. ذيب بن مقعد العصيمي
قسم اللغة العربية – كلية التربية
جامعة المجمعة



السرد في (مذكرات شاهد للقرن) لمالك بن نبي (مقارنة حجاجية تداولية)

د. ذيب بن مقعد العصيمي

قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة المجمعة

تأريخ تقديم البحث: ١٤٤٤ / ٧ / ٢١ هـ - تأريخ قبول البحث: ١٤٤٤ / ٩ / ١ هـ

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث السرد في (مذكرات شاهد للقرن) وطاقته الحجاجية، من خلال آليته الخطائية، التي تتنوع تبعًا لتشكلات السرد في الحكاية، بدءًا من تحديد علاقة السرد بالحجاج لكونهما منغرسين في أعماق الخطاب، ثم يفيض في دراسة معالم السرد الحجاجية البارزة في المذكرات؛ فيتناول سرد الأحداث وبناء الثنائية فيها، واستراتيجية الاختيار، وسرد الأقوال، ويحدد دور الزمن السرد في الطاقة الحجاجية، سواء الزمن اللاحق للأحداث، أو المتزامن معها، أو الاستغراق الزمني باستراتيجياته المختلفة من: التلخيص الاستراحة، والقطع، ويقارب كل ذلك حجاجيًا.

الكلمات المفتاحية: السرد ، الأحداث ، الحجاج ، الزمن ، الراوي .

Narration in (Memoirs of a Witness to the Century) by Malik bin Nabi (Argumentative-Pragmatic Approach)

Dr. Theeb bin Makad Al-Osaimi

Department of Arabic Language -College of Education
Majmaah university

Submission date: Raj.21, 1444 AH Acceptance date: Ram.9,1444 AH

Abstract:

This research deals with the narrative in (Memoirs of a Witness of the Century) and its argumentative energy, through its rhetorical mechanism, which varies according to the formations of the narrative in the story, starting with defining the relationship of the narration with argumentation because they are embedded in the depths of the discourse, and then it overflows into the study of the prominent argumentative narration features in the notes. It deals with the narration of events, the construction of dualities in them, the strategy of choice, the narration of sayings, and determines the role of narrative time in argumentative energy, whether the time following events, or simultaneous with them, or the time consuming with its various strategies of summarizing, resting and cutting, and approximating all this argumentatively.

key words: narration, events, argumentive, time, narrator.

المقدمة:

تتعدد آليات الحجاج داخل اللغة، ومن خلال السياق التخاطبي، وتؤدي دورها في عملية التأثير والإقناع. والخطاب السردى يمثل نوعية من الخطاب المتعدد الآليات والسياقات، التي تجعل منه موطنًا فريدًا لعملية التأثير تلك، ويستطيع الكاتب من خلال الحكاية أو الخطاب أن يصل إلى الطاقة الحجاجية التي يمكنها التأثير في المتلقي، وتوجيهه الوجهة التي يريدها صاحب الخطاب السردى، والمذكرات جزءًا من هذا الخطاب السردى المتنوع، ومع أن كاتب المذكرات مطالب بقدر كبير من الموضوعية والحياد فيما يذكر إلا أن عملية السرد وما يصاحبها من الزمن والوصف تجعله فنًا يتعانق فيه الواقع والخيال، ولحظة الوعي الكتابي وذاكرة الزمن المسترجعة؛ ومن هنا تكمن إشكالية البحث؛ فذلك التعانق النوعي بين الواقع والخيال، والتدافع بين الذاتية والموضوعية في كتابة المذكرات يجعلها موطنًا خصبًا للكتابة الأدبية، فكيف يتمكن الكاتب من الموازنة بين ذلك؟ وكيف يستطيع زرع الخيال في تربة الواقع؟ ومن ناحية القارئ هل له أن يسلم بما في المذكرات من أحداث وأقوال على أنها حياة واقعية تمت بكل التفاصيل أم أن الكاتب وهو يكتب المذكرات قد تلاعب بحياته وألبسها لباسًا غير لباسها الواقعي؟ كل ذلك من خلال آلية السرد الحجاجية المرنة في يد الكاتب؛ فالبحث في قدرة السرد الحجاجية بحث في تأثير الخطاب ونجاحه، ومن هنا جاء هذا البحث الذي يحاول تجلية دور السرد الحجاجي في مذكرات شاهد للقرن، وهي المذكرات التي يكتبها أديب ومفكر، تتصارع في ذهنه القدرة الأدبية الكتابية والفكر المستقل، الذي يحاول إنشاء منظومة من

الأفكار والقيم، التي يراها قادرة على حفظ الكيان، وتنمية السلوك؛ فاختيار هذه المذكرات جاء من كونها مذكرات تجمع بين الأدب والأيدلوجيا، أو بين قدرة القلم وقوة الفكر، وأخيراً فإن البحث في معالجته لكل ذلك يتوخى خطى المنهج التداولي الحجاجي، وقد قسم البحث إلى : مدخل وقسمين وخاتمة:

المدخل: وفيه توضيح لعلاقة السرد بالحجاج، من خلال ثنائية الحكاية والخطاب التي تمكن الكاتب من استغلال الخطاب في التأثير والإقناع في القارئ.
القسم الأول: سرد الأحداث والأقوال: وفيه يجلي البحث دور سرد الأحداث والأقوال في الطاقة الحجاجية التي يمثلها السرد، سواء من خلال بناء الأحداث على نوع من الثنائيات، أو الاختيار، وما تمثله الأحوال وحواريتها من طاقة حجاجية.

القسم الثاني: السرد والزمن: حيث يمثل الزمن لعبة الكاتب، التي يستطيع أن يمارسها في التأثير، فهناك الزمن اللاحق، والزمن المتزامن والحكاية، والاستغراق الزمني ودور ذلك كله في العملية الحجاجية.

الخاتمة: وفيها سرد لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.
وذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث في تجلية هذا الموضوع وإثرائه.

المدخل:

السرد والحجاج

يرتبط السرد بالفن القصصي، حيث يبرز من خلال صوت الراوي للحكاية الواقعية أو المتخيلة؛ فالسرد عند (جونات) "هو النشاط السردى الذي يخلعه وهو يروي الحكاية، ويصوغ الخطاب الناقل لها"^(١)، وهو يعد من مكونات الخطاب، فكما يذكر صاحب معجم السرديات فإنه "لا يمكن أن يتصور السرد منفصلاً عن الخطاب الذي يصوغه والحكاية التي ينسجها، وبهذا يندرج السرد في متصور ذي أركان ثلاثة يتشكل منها الخطاب القصصي هي: السرد والحكاية والخطاب"^(٢)، فلم يعد مفهوم السرد متوقفاً على سرد الحكاية التقليدية، وإنما يتعدى ذلك إلى أنواع أخرى تتضمن السرد بأشكال مختلفة"^(٣)، ومن هنا تبرز القيمة الحجاجية للسرد؛ لكونه جزءاً من مكونات الخطاب؛ فالسرد - كما تذكر بمعنى العيد- لا ينظر إلى قيام الحكاية فيه بمعزل عن الخطاب؛ لأن وصولها إلينا إنما عن طريق الخطاب؛ فالسرد يستوجب راوياً يروي الحكاية، كما

(١) معجم السرديات. إشراف: محمد القاضي. تأليف. محمد القاضي وآخرين. دار الفارابي -

لبنان. ط. الأولى ٢٠١٠ ص ٢٤٠.

(٢) السابق. الصفحة نفسها.

(٣) دليل الناقد الأدبي. د. ميجان الرويلي. د. سعد البازعي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الخامسة ٢٠٠٧. ص ١٧٤.

يستوجب وجود قارئ يقرأ، وبذلك لا تعود الأهمية إلى مجموعة الأحداث، بل إلى كيفية يروي الراوي^(١).

وهذا التعانق بين مكونات الحكاية والخطاب، وتعدد الأصوات من الراوي والمروي له يمنح السرد " قيمة خطابية وتداولية؛ وبهذا يفسر اشتقاق (سرد) اصطلاح السرد بوصفه ازدواجية متعارض ووجداني، يدل على تعرف وحكي عارف، حيث يتمثل السرد فعلاً معرفياً يقدم الأحداث، ويبدع في الآن نفسه، ولهذا ربما تقدم الفصاحة ... الجزء الجميل من السرد بتموضع بعد الاستهلال ليقدم وظيفة حكي الأحداث المنوطة به للإعلام عبر انتقائية ضرورية، ويخضع حكم الجمهور لمصلحته لما يمنحه من وظيفة إقناعية"^(٢)؛ ذلك لأن السرد لا يقدم الأحداث والأقوال المسرودة في صورة مجردة من الغرض؛ بل يصنع بها قيمة حجاجية مكثفة الآليات، متنوعة الطرق، ومن هنا يمكننا القول بأن السرد يمتلك طاقة حجاجية مضاعفة من خلال تنوع تلك الآليات، إضافة إلى جانب عملية الإبداع اللغوي التي يمتلكها هو يخضع المشاهد والأقوال لخدمة التوجيه الذي يمارسه الخطاب السردية، ويؤكد الباحث محمد مسالتي هذا التأزر بقوله: " إذا كان السرد بوصفه نمطاً من أنماط الخطاب وليس مرحلة في ترتيبه، يقوم على حركة في الزمن ويرصد العلاقة بين الوقائع وتواليها والتحول في

(١) انظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. د: يحيى العيد. دار الفارابي. بيروت -

لبنان. ط. الثانية ٢٠١٠. ص ٤٢.

(٢) معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر. فرنسي - عربي. . سعيد علوش. د. كيان أحمد

حازم يحيى. د. حسن الطالب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت - لبنان. ط الأولى

٢٠١٩. ص ٤٢٣

خصائص الفاعلين، وكان الحجاج بوصفه نمطاً آخر من أنماط الخطاب، يسعى إلى إقناع المتلقي وإذعانه للدعوى، ويقوم على بنية قارة لا زمنية مثله مثل الوصف الذي يسعى إلى تحديد صفات الموضوع في الفضاء فإن هذين النمطين لا يوجدان منفصلين في النصوص^(١)، وهذا التعانق والتآزر بينهما يرتفع في النصوص التي تنحو منحى التأثير والإقناع، التي تمثل جزءاً من حياة المؤلف وفكره، وهذا ما نجد في المذكرات، فلا ريب أن كاتب المذكرات إنما ينقل إلى القارئ هذه السيرة نقلاً غير بريء، بمعنى ينقل تجربته ومواقفه تجاه الحياة والأحداث ممزوجة بفكره وميوله، فما يسرده ما هو إلا طوق من الحجاج ودفعة من التأثير والإقناع.

إن استراتيجية السرد في المذكرات تتخذ صورة أكثر ديناميكية وحيوية مما في الرواية أو الأفضوضة من خلال الربط بين مفهوم الفاعل اللغوي Actant بوصفه وحدة بنوية صغرى يقوم عليها، وبين الذاكرة الجمعية للنص التي تحضر في ذهن القارئ، وبالتالي فثمة علاقة تنشأ في أثناء عملية التأليف بين الحكاية أو القص والخطاب الذي له بنية خاصة^(٢)؛ لأن صاحب المذكرات هو من يقدم لنا تلك الأحداث، وتلك الشخصيات، وهذا هو الأهم لأن لكل أثر أدبي جانبين " فهو في آن واحد حكاية وخطاب . هو حكاية من حيث هو يصور حقيقة ما، وأحداثاً يجوز أن تقع وشخصيات تختلط مع شخصيات

(١) السرد والحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل. د: محمد عبد البشير مسالتي.

حوليات جامعة قلمة للغات والآداب. العدد ١٠. جوان ٢٠١٥. ص ٣٢٨.

(٢) انظر: دليل الناقد الأدبي. ص ١٧٥.

واقعية. وقد تأتينا تلك الحكاية في شكل شريط سينمائي أو رواية شفوية أو نص مكتوب، والأثر خطاب؛ إذ إن الحكاية يقدمها راوٍ لقارئ، وهنا لا نهتم بالأحداث المروية ولا بالشخصيات التي تقوم بها، ولكن الشأن للطريقة التي يجعلها الراوي ندرك بها تلك الأحداث والشخصيات ^(١)، وهذا الذي يجعل السمة الحجاجية بارزة في الخطاب السردية؛ لأنها تمثل قدرة الكاتب / الراوي على تقديم الأثر الأدبي المؤثر الذي يستميل القارئ؛ فالقارئ "حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضوراً عينياً أم استحضاراً ذهنيًا. وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقاً لممارسة اختيار استراتيجية خطابه" ^(٢) لا سيما في كتابة المذكرات التي تكشف حياة الكاتب، وربما تعريه أمام القارئ.

السرد في مذكرات شاهد للقرن (مقاربة تداولية حجاجية)

إن مما يساعد على فهم الممارسة الأدبية الوقوف على عتباتها، ومحاولة البحث عن مفاتيح يتركها النص الأدبي للقارئ؛ ليتمكن من الدخول إليه بدرجة متقدمة من الفهم والإدراك، والعنوان يعد من أهم العتبات، لاسيما في

(١) تحليل النص السردية بين النظرية والتطبيق. د: محمد القاضي. مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس.

ظ. الثانية ٢٠٠٣. ص ٥٣.

(٢) استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية. د: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة

للنشر والتوزيع. عمان - الأردن. ط. الثانية ٢٠١٥. ج ١. ص ٨٦.

الكتابة الأدبية لما يثيره من التطابق أو المفارقة^(١) للمحتوى فالعنوان "باعتباره قصداً للمرسل يؤسس أولاً : لعلاقة العنوان بخارجه، سواء كان هذا الخارج واقعاً اجتماعياً عاماً، أو سيكولوجياً، وثانياً : لعلاقة العنوان، ليس بالعمل فحسب، بل بمقاصد المرسل من عمله أيضاً، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل على ضوءها - كاستجابة مفترضة - يتشكل العنوان لا كلغة، ولكن كخطاب"^(٢)، فاختيار المؤلف للعنوان ليس اعتباطاً، بل يهدف منه إلى تأسيس مدخل للمحتوى، ومن هنا يكون العنوان بمثابة الشفرة التي ينبغي للقارئ أن يجلها، ويكتشف أسرارها، وقد يكون العنوان مخادعاً، بمعنى أن يشتمل على نوع من المفارقة، أو نوع من المراوغة، كما أن العنوان يمتلك ميزة خاصة في الأثر الأدبي لأنه يشكل "الوسيط بين الجمالي الخاص والاجتماعي الخالص"^(٣)، فهو

(١) يتشعب مفهوم مصطلح (المفارقة)، وكما يذكر عبد الرحمن حبيب فإن إشكالية المصطلح لا تزال تلازمه " فإذا كان ما لا تاريخ له يمكن تعريفه على حد تعبير نيتشه؛ فإن مسألة إيجاد تعريف محدد يعد ضرباً من المجازفة لهذا المصطلح العتيق المراوغ". (فخاخ المفارقة والنموذج السقراطي. عبد الرحمن حبيب. ضمنة كتاب: أوراق فلسفية. مجموعة باحثين. تقديم. أ. د: سعد البازعي المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١٢. ص ١٩). لكن الشايع هو " ربطها بملفوظ يصدح الحس المشترك بذهابه إلى معارضة الرأي القائم للقيمة. . . فهي تناقض ظاهري لا نلبث أن نتبين حقيقته " (معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر. ص ٤٦١).

(٢) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي. د: محمد فكري الجزائر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٨. ص ٢١.

(٣) السابق. ص ١١٤.

يكشف جماليات النص القائمة أحياناً على الغموض والرمزية، قبل أن يكشف المحتوى الاجتماعي أو القصصي كما في فن المذكرات.

ومذكرات (شاهد للقرن) تأتي الشهادة للقرن وليس عليه، فهي مذكرات لا تحاكم الزمن، بل تنتصر له وتشهد له، وهذا الاختيار لهذه الصيغة يثير فضول القارئ، ويسلمه إلى العديد من التساؤلات، فهل العنوان على دلالة الظاهر؟ بمعنى أن اللام الجارة هنا تفيد الاختصاص^(١) بالشهادة، وكون القرن مشهوداً له، وتكون الدلالة حينئذ تقديم شهادة للقرن للأجيال التالية؟ وبذلك يمارس الخطاب نوعاً من السلطة على القارئ، وتوجيهه إلى الاعتراف بأفضلية القرن، الذي يكتب عنه مالك بن نبي، أم أن اللام بمعنى (على)^(٢)، والتقدير (شاهد على القرن) فيحمل المعنى نوعاً من المحاكمة، والإدانة لذلك العصر؟ بهذه الازدواجية في العنوان نستطيع القول إنه يحمل نوعاً من التضاد، أو تعدد القراءات المفتوحة أمام القارئ؛ فهو يدخل إلى المذكرات محملاً بهذا التنوع والاحتمالات المقترحة، ومن هنا يكون السرد موجهاً للقارئ الوجهة الصحيحة، من خلال دراسة طاقته الحجاجية التي ستكشف نوع الشهادة، أهى للقرن أم عليه .

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تحقيق د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله. دار الفكر - دمشق. الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ ص ٢٣٥.

(٢) انظر السابق. ص ٢٣٨.

وهذه الاستراتيجية الخطابية يستغلها الكاتب بداية من العتبة الأولى للنص الأدبي، فالقارئ يظل مشدوداً إلى متابعة السيرة ليكتشف اتجاهها من خلال مصاحبة دلالة العنوان المتنوعة.

والقرن الذي يعنيه الكاتب هو القرن العشرون، الذي كان مرحلة تحول كبير في العالم، لاسيما العالم الغربي، وبداية التأثير في العالم العربي والإسلامي، وهو يحمل في طياته الكثير من الأيدلوجيات والمفاهيم، والصراعات بين القديم وزمن التنوير، وهو صراع قام على مبادئ معينة لعل أهمها "أن كافة الأسئلة الحقيقية يمكن الإجابة عليها، والسؤال الذي لا يمكن الإجابة عليه ليس بسؤال" (١) بمعنى أن التساؤل لم يعد محجوباً؛ لأن ما توصل إليه العقل والعلم يمكن أن يوفر الإجابة، ولذا بدأت المفارقة بين الشهادة للقرن أو عليه؛ فالقرن العشرون يبحث "عن يقينيات ريادية قلما نلاحظها، يطارد البديهيات المغفلة، والتجارب التي يتقاسمها العالم كله من دون أن يفكر فيها أحد، الحقيقة في متناول اليد شرط النظر بطريقة أخرى، شرط الانتباه للمتروك جانباً. ويكفي تغيير المنظور تغييراً جذرياً بغية رؤية كنوز لا يرب فيها، تنبثق من قلب التجارب الأكثر عمومية" (٢)، فلم يعد النص يقدم كل شيء، بل تعامل القارئ معه، تفسيره له، علاقته الممتدة عبر العلوم هي التي تضمن له الإجابة والكشف.

(١) جذور الرومانتيكية. إيزايا برلين. نقله إلى العربية سعود السويدا. جداول. الكويت. ط. الأولى ٢٠١٢. ص ٥٩.

(٢) أساطين الفكر عشرون فيلسوفا صنعوا القرن العشرين. روجيه - بول دروا. ترجمة: علي نجيب إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ٢٠١٢. ص ٢٥.

فإذا كان عنوان المذكرات يثير فينا كل ذلك، فينبغي النظر فيه من خلال تقنيات الخطاب المختلفة، ومنها دراسة السرد حججياً، وكيف يمكنه الكشف عن تساؤلات العنوان، التي تتعاقب وتساؤلات القرن العشرين.

القسم الأول: سرد الأحداث والأقوال:

يتجه السرد إلى نوعين من الممارسة في الخطاب أو الحكاية الأول: سرد الأحداث، والثاني: سرد الأقوال، وسرد الأحداث هو "السرد المحض الذي تكون فيه للراوي سلطة القول، وهو سرد مباين لقص الأقوال الذي هو أرقى شكل تتجسد فيه المحاكاة، بما هي تمثيل لكلام الشخصيات تتكلم دون وساطة الراوي"^(١)، فكيف برز السرد بنوعيه السابقين في المذكرات المدروسة؟

تبدأ المذكرات بسرد لحدث يثير الانتباه من حيث الراوي؛ ففي المقدمة يقوم الراوي / الكاتب بسرد حدث عن ذاته، ينطلق من مسجد قسنطينة، محددًا الزمن "وكنت قد عدت إلى الجزائر منذ ثلاثة أيام أو أربعة، وقد مضى على التحرر سنة كاملة"^(٢)، ويتابع سرد حدث الصلاة في المسجد بكل تفاصيله ليصل إلى ملح أحدهم وهو يضع "ربطة حسنة التغليف"^(٣)، وبعد الانتهاء من الصلاة يجد واضع الربطة قد غادر واختفى؛ لبيادر إلى الربطة ويفتحها ليجد عنوان (شاهد للقرن)، ثم يتابع القراءة وسرد حياته من خلال المذكرات، ويتضح

(١) معجم السرديات. ص ٣١٦.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. مالك بن نبي. بإشراف ندوة مالك بن نبي. دار الفكر. دمشق. الطبعة

السادسة ٢٠٠٤. ص ١٣.

(٣) السابق. ص ١٤.

من خلال سرد الأحداث مجموعة من الاستراتيجيات الحجاجية التي تتخذ مسارات عدة:

١ - الأحداث وبناء الثنائيات: تتميز الثنائية أو التضاد بوجود الشيء وما يقابله، بهدف اتضاح أحدهما من خلال الآخر، ومن ثم بروز الخطاب قوة حجاجية مكتملة العناصر؛ لأن "علاقة المنافرة يمكن أن تساهم كآلية في نسج الخطاب"^(١)، لا سيما في ثنائية الأحداث؛ ففي هذه المذكرات^(٢) نجد الثنائية تبدأ بشكل متسلسل محكم البناء وهو ترابط "وظيفي أي أن الأفعال تتربط في ما بينها بعلاقات وظيفية تشكل قواعد مشتركة"^(٣)؛ فنحن أمام حدث يتعدد فيه الراوي قبل سرد الأحداث، حيث يضعنا المؤلف أمام راوٍ مزدوج؛ ليستمر التساؤل عن حقيقة الراوي، ولهذا ارتباط بالعنوان وازدواجيته؛ ليدفع القارئ إلى المذكرات وهو يتلمس فيها دلالات هذا التعدد، أو الثنائية التي تبدأ من العنوان ثم الراوي ثم الأحداث أو الأفعال في تسلسل تراتبي منطقي.

وإذا كان القارئ يجزم بمعرفة الكاتب/الراوي الحقيقي؛ فإن الخطاب هنا يضعنا أمام المفارقة والثنائية، وفي هذا طاقة حجاجية، لأن الحجاج قد "يرد

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي. المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء. ط. الأولى ١٩٩١. ص ١٣٢.

(٢) تتكون المذكرات في بنائها العام من ثنائية: الطفل والطالب. انظر: مذكرات شاهد للقرن. الورقة الثانية. وهي ثنائية تنسق مع المكون الخطابي لها، بل هي ثنائية المواجهة والتضاد بين مرحلة الطفولة بما فيها من براءة وتقبل، وبين مرحلة الشباب المفعمة بالعطاء والحيوية وتحقيق الذات.

(٣) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي. ص ٤٧.

متخفياً أو غير مباشر وقد يجيء سافراً أو مباشراً^(١)، وغير المباشر هو ما يمكننا تسميته بالبعد الحجاجي^(٢)، الذي يرد فيه الحجاج من خلال تقنيات لغوية يقدمها الخطاب؛ فالمذكرات هنا يواجهها الكاتب/صاحبها من خلال قراءة مستقلة؛ ليتيح لنفسه توجيه أحداثها، وتحميلها الطاقة الحجاجية التي يريد؛ فالراوي الأصلي ينفصل عن مذكراته ثم يقدمها له الراوي الوهمي الذي سجلها، ومن ثم فالكاتب/الراوي الأصلي هو الحاكم عليها المقوم لها؛ ليقدمها شاهداً للقرن أو عليه. وهذه تقنية حجاجية فالراوي الفعلي - كما يرى رولان بارت - لا يمكن أن يكون هو المؤلف؛ لأن الذي يتكلم (في السرد) ليس هو الكاتب في الواقع والحياة^(٣)، ومن هنا ينمو السرد للأحداث مشحوناً بهذه الثنائية في العنوان والراوي؛ فالسرد " بوصفه مجموعة من الأخبار يشكل إحدى التقنيات الحجاجية من خلال الحكمة السردية داخل النص"^(٤)، وتظل ثنائيات الأحداث مسيطرة منذ البداية؛ فمولد الكاتب كان "في عام ١٩٠٥م، أي في زمن كان فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حياً من شهوده، والاتصال مع

(١) البعد الحجاجي في أقصوصة " القلعة " لجمال الغيطاني. د: محمد نجيب العمامي. ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته. إشراف. د: حافظ إسماعيل علوي. عالم الكتب الحديث. إربد - الأردن. ط. الأولى ٢٠١٠. ج ٢. ص ١٥٠.

(٢) ينظر: السابق. ص ١٥١.

(٣) الخطاب النقدي عند رولان بارت الكتابة والقراءة. رسالة ماجستير. للطالبة: زهيرة شنيبي. كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: اللغة العربية وآدابها- جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - الجزائر. السنة الجامعية: ٢٠١١/٢٠١٢. ص ٩.

(٤) ينظر: السرد واحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل. ص ٣٣٤.

المستقبل عبر الأوائل من رواه"^(١)، إننا أمام ثنائية أخرى يثيرها حدث الولادة، ثنائية الماضي والمستقبل، ثنائية الزمن وما يتعاقب معه من الفكر والحياة، وهي تأتي في شكل متسلسل يخدم الخطاب، ويكشف عن قوة السرد الحجاجية؛ فالخطاب "تشكل لغوي مركب يشترط فيه التماسك والانسجام، ويحمل دلالة يمررها المرسل إلى مخاطبه من أجل إبلاغه معلومة ما، أو التأثير فيه عقليا أو وجدانياً أو سلوكياً. وبالتالي فهو يشكل نسقاً أو "بنية منظمة" لها قواعدها التي تتحكم في صيرورتها وتناميها من أجل إنتاج هذه الدلالة الكلية التي ليست بالضرورة نتيجة مباشرة بمجموع الدلالات الجزئية التي تقدمها الجمل والملفوظات باعتبارها المكونات الجزئية أو الصغرى المشكلة للخطاب"^(٢)، فيعد الهيكل العام للخطاب - وما يستخدمه من تقنيات من أهمها السرد الذي يسير في هذه المذكرات بشكل متمم - من أهم تقنيات الحجاج .

إضافة إلى ثنائية الزمن السابقة نجد ثنائية أشد تأثيراً هي ثنائية الوطن والآخر المتمثل في فرنسا " ففي ذلك اليوم لم يعد لعائلات قسنطينة من هم سوى إنقاذ شرفهم، وخاصة تلك العائلات التي كانت تكثر فيها الصبايا، فقد أدخلوا المدينة من ناحية وادي الرمل... فبينما كان الفرنسيون يدخلون المدينة من كوة في السور كانت صبايا المدينة يسرع بهن آباؤهن إلى الجهة الأخرى منه يتدلين هرباً"^(٣)، إن ثنائية الوطن والآخر تتضح هنا من خلال هذا الحدث الاجتماعي

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٥.

(٢) البلاغة والخطاب. إعداد وتنسيق. د: محمد مشبال. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط. الأولى ٢٠١٤. ص ١٦١.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٥.

الذي يجر وراءه نوعية المقاومة التي تحصل في كل فترة استعمار، ولكن الأحداث تسير في اتجاه غير متوقع، وتتصاعد الثنائية في الأحداث وتعدد من خلال الزمان والمكان؛ فالراوي يسرد لنا هذا الحدث المهم "مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسي في نفسها وفي نفسي . لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعاليتي"^(١)، تأتي الثنائية السردية لتغير حياة الكاتب، وتنقله من فضاء إلى آخر، من فضاء مدينته قسنطينة التي أسهب في وصفها، ووصف أهلها^(٢) إلى فضاء مدينة أخرى، وعالم آخر في مدينة تبسة "وعلى هذا فقد انضمت إلى زمرة أطفال تبسة، وفي هذا الوسط الجديد في عائلة مفرطة في الفقر أخذت أتعرف على جدتي لأمي، وسمعت الكثير من أقاصيصها التي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب"^(٣)، هنا ينشطر الكاتب في حياته الأولى بين زمانين ومكانين تنمو من خلاله الذات، فهذه الأحداث التي تسير بثنائية واضحة تؤثر في الكاتب/ الراوي من خلال الأحداث والأفعال والتأملات والأفكار بحثا عن مكان للذات من هذا العالم^(٤).

(١) السابق. ص ١٨.

(٢) ينظر: السابق. ص ١٥ - ١٨.

(٣) السابق. ص ١٩.

(٤) ينظر: السيرة والهوية. دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة. جينز بروكبير. دونالد كربو. ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم. المركز القومي للترجمة - القاهرة. ط. الأولى ٢٠١٥. ص ٤٧.

وفي داخل هذه المدينة، وفي المدرسة الفرنسية تنمو حياة جديدة للكاتب " لقد وضعني أول امتحان - وكان على ما أعتقد إملاءً فرنسيًا وبضع أسئلة في اللغة - في مقدمة زملائي وأعطاني الحق في أن أكتب ذلك اليوم التمارين على الصفحة الأولى لما يسمى دفتر الصف، الذي كان المعلم أو المعلمة يضعه بيدي الطالب كل صباح لترتيبه، ولكن الذي بقي في ذاكرتي هو الحب الصاعق الذي جذبني بقوة نحو (مدام بيل)، ففي صباح أحد الأيام استيقظت وأنا أستشعر حبًا جنونيًا نحو معلمتي الجديدة، كما لو كانت أمي" (١)، وتكرر هذه الثنائية غير البريئة في حدث آخر " هل تأتي يا عزيزي؟ ولا ريب أنني كنت في نظرهن، بيزتي الخارجة عن الذوق المألوف بلونها المشرق أحد نزلاء الأرجنتين أو البرازيل، أعني المشحون بالدولارات، فكانت دعواتهن تقرع أذني كلما خرجت من الفندق، أو عدت إليه.

هكذا استقبلتني باريس بوجه بناهما الطائشات الكاسيات العاريات، العارضات لزيتهن وعرضهن دون أي شعور بالإثم" (٢)، هل نحن أمام ثنائية الأم والمعلمة؟ أم ثنائية الجزائر وفرنسا؟ أم أننا أمام ثنائية الشرق المتمثل في الذكورية الطاغية، والغرب بأنوثته الجذابة بما فيها من علم ومعرفة؟ هل تتعاقب هذه المذكرات مع موسم الهجرة إلى الشمال (٣) على خجل؟ كل هذه التساؤلات يدفعنا إليها هذا السرد وهذه الثنائية، وهذه التساؤلات هي الطاقة الحجاجية

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥.

(٢) السابق. ص ٢٠٤.

(٣) رواية للطبيب صالح. دار العودة - بيروت. ط الرابعة عشرة ١٩٨٧.

التي يمتلكها السرد من خلال الخطاب؛ لأن الخطاب " يثير السؤال أو يستدعيه أو يوحي به أو يشير إليه، والمتلقي يتصرف تجاهه على نحو مزدوج، فعندما يقف على الجواب يضطر إلى مواجهة السؤال؛ إذ إن الجواب يثير عنده السؤال؛ لأنه حتى وإن كان يدعن لدعواه على نحو مضمر وبكيفية عامة فإن ذلك لا يمكن أن يكون إلا لكونه يحل سؤالاً يثيره في الحال أو كان يهيمه من قبل"^(١)، ومن هنا تبدأ رحلة المتلقي في البحث عن الجواب المتراجع في أثناء الخطاب، فالراوي يتعمد إثارة السؤال من خلال هذه الثنائيات التي تتصاعد ضمن فصول حياة الكاتب، مسيطرة على المذكرات.

وبعد أن مثلت الأحداث ثنائية الزمان والمكان ها هي تخالط كيان الذات، ف " ذات صباح وقف السيد (دورنون Dournon) في باحة المدرسة يقرأ أسماء أولئك الطلبة الذين تحولوا إلى كتل من اللحم، كريهة الرائحة لزجة الملمس؛ لكثرة ما تجمع عليها من عرق كان يتصبب في ليالي الدراسة الطويلة ... لقد بدأ أسبوع الربيع، فكل طالب كان يتجشأ ما عنده من معلومات طراً عليها التغيير أو ربما فسدت خلال أيام الامتحان ... بعد انتهاء هذه الأيام المحمومة تمر المدرسة بمرحلة أخرى، تلك هي القلق ... وخلال هذا الانتظار المؤلم يصبح الشاويش ك(عرافة ديلقس Delphes)، وكان الطالب الذي فرغ صبره وخاصة في ربيع الساعة الأخيرة قبل إعلان النتائج يسأله عميمي هل نجحت؟"^(٢)،

(١) اللغة والمنطق والحجاج. ميشيل ماير. تقديم وترجمه: محمد أسيداه. ضمن كتاب: الحجاج

مفهومه ومجالاته. ج ٢. ص ٣٧٠.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٧٦-٧٧.

وتعلن النتيجة التي تؤهله للذهاب إلى فرنسا " وحينما يكون هناك صف أو تدافع حول شيء ما فإن (حليمه) يعرف كيف يكون في المكان الأفضل متهمًا من حوله بأنعم يدوسون على قدمه . كان يرفع رأسه لقصر قامته الذي كان يزعجه، ويقف على رؤوس أصابع قدميه أمام ورفة (دورنون) بالذات، وبقفزة واحدة يلوح رأسه بين الرؤوس المحيطة به، ويصرخ كما اعتاد أن يفعل كلما كان لديه ما يريد أن يفاجئ به وقال : " صديق... نجحنا " هكذا حافظنا هو وأنا على المنحة الدراسية"^(١)، لا شك أن الثنائية هنا منقسمة بين طفل أو طالب كان همه العلم والنجاح، وبين شاب تقتحم حياته المنحة، التي سنتقله إلى عالم آخر، وهي ثنائية ستجر إليها ثنائية الوطن وفرنسا مرة أخرى، ففي الوطن كانت الطفولة والتربية، أما فرنسا فهي فضاء العلم والجمال والحياة والصراع " إنه ذلك العصر الذي كانت فيه الفتيات الباريسيات يرددن هذه الأغنية " باريس شقراء باريس ملكة الكون ". وينبغي القول إن كثيرًا من الشباب الجزائريين كانوا يتنهدون خلف تلك الشقراء التي كان القناص (باهي) وصديقه (صدوق شتوكا) يرويان عنها أشياء تبرم رأس الشاب التبسي"^(٢)، نحن أمام صراع بين الثنائيات، صراع يبدأ من الظاهر، المتمثل في الغواية والجموح إلى أعماق التفكير والسلوك، والراوي هنا يمدنا بهذه الأحداث التي تعكس كل ذلك، سواء ثنائيات الراوي ذاته أم من يحيط به، وفي كل ذلك إثارة لتفكير المتلقي وعواطفه؛ فالإقناع" ليس مجرد عملية عقلية خالصة، بل يتجاوز ذلك

(١) السابق. ص ٧٧.

(٢) السابق. ص ١٣٦.

إلى حياة عواطف المتلقي واستدراجه نحو الإقناع . ويكون توجيه المتلقي نحو مقصد المتكلم عن طريق التحكم في الانفعالات التي ينبغي إثارتها^(١)، وهذه الثنائيات المتصارعة تؤثر في انفعالات المتلقي لما تحويه من ضروب الانقسام والازدواجية التي ترفض الفهم والإدراك السريع.

إن حدث إعلان نتائج الامتحان فاصل بين مرحلتين من حياة الراوي، حياة يدركها بما فيها من الفتوة والطموح، وحياة هي نوع من المغامرة " كان تفكيرنا الأساسي أن نمر فقط بباريس لنذهب مباشرة لاكتشاف عالم آخر كان آفاق من الاكتشافات والمفاخرة الباعثة على الحماسة ونرسم أمامنا"^(٢). إن حدث تجاوز الامتحان والدلوف إلى فرنسا يمد الراوي بمزيد من الطموح، والحلم الذي يراهن على تحقيقه.

وفي أحضان فرنسا يوقفنا الراوي أمام أحداث يسترجعها، هي تمثل ثنائية جديدة، إنها ثنائية الحضارة والريف، لكنها ثنائية تأتي بصورة غير متسلسلة، فلم يذكر الراوي أحداثاً عاشها في ريف (أفلو) إلا من قلب باريس، فهل هذا فرار من الحضارة إليها؟ من الحاضر إلى الماضي؟ لا زالت هذه الأحداث في تراتبها تثير القارئ، وتضعه أمام تساؤلات شتى، إنها أحداث تجعلنا أمام نمط آخر من الحياة والتفكير، أمام سمة من سمات السرد الذاتي البارز في المذكرات، إنها سمة الصراع؛ فتلك الأحداث " واقعية لأنها تصور طبيعة الحياة الإنسانية

(١) نظرية الحجاج. تطبيق على نثر ابن زيدون. عزيز لدية. عالم الكتب الحديث. إربد - الأردن.

ط. الأولى ٢٠١٥. ص ٤١.

(٢) السابق. ص ٤٠.

بجذافيرها، وهذا من خلال توظيف الصراع يعطي لها روح الحيوية في تصوير الأحداث، سواء أكانت نتائج هذا الصراع سلبية أم إيجابية، فهو يحقق لكاتبها التوافق والاتزان؛ إذ تشير له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية من خلال ذكرياته، والكشف عن أسرار حياته الباطنية، وتأمل ذاته العميقة بما فيها من داخلي يمثل عالماً أصغر^(١)، ويزداد الصراع من خلال إبراز الثنائيات التي تمثل جوانب النفس المتصارعة، وانقساماتها العميقة، كل ذلك يجلب للقارئ صدق التجربة وتكاملها، مما يؤثر على قيمة السرد الحجاجية ويرفعها إلى أعلى طاقة للإقناع.

إن الثنائيات في هذه المذكرات تعد المحتوى العام أو "الوظيفة المركزية؛ لأنها المراد الذي يوظف من أجله الراوي كل المكونات بقصد إيصاله إلى ذهن المتلقي"^(٢)؛ فالكاتب/الراوي يكتشف حياته من خلالها؛ فهي تتضح شيئاً فشيئاً، ونحن أمام ذاتين أو راويين : بطل المذكرات الحقيقي، والذي يكتب اليوم عنها؛ فالرؤية مصاحبة، حيث لا يروي إلا ما يعلمه الراوي الحقيقي

(١) السيرة الذاتية بين الواقع والتمثيل في رواية "المنوعة" ل: "مليكة مقدم" ترجمة محمد ساري. رسالة ماجستير. -طالب جميلة -كرماني كهينة. جامعة البويرة. قسم اللغة والأدب العربي. عام ٢٠١٤ - ٢٠١٥. ص ١٩.

(٢) قال الراوي. البنيات الحكائية في السيرة الشعبية. سعيد يقطين. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ١٩٩٧. ص ٣٥.

فيستخدم ضمير المتكلم^(١)، " لم تكن أفكاري قد اتسقت بعد مع وضعي الجديد، منذ نزلت في صبيحة يوم شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠م بمحطة ليون بباريس، ولم تكن الأمور تقررته نهائيا في نفسي منذ فارقت قبل أسبوع أهلي، وودعت الأقران بتبسّة، وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أنني لا أعود هذه المرة إلى الوراء، مثلما عدت المرة الأخيرة بعد النكسة التي أصابني مع رفيقي (قاواو) صيف ١٩٢٥" ^(٢)؛ فثنائيات الأحداث تلازم هذه المذكرات، فتصبح من سماتها البارزة فتنتقل من ظاهر الأحداث إلى باطن الفكر والأيدولوجيا " ها هو ذا امتحان الدخول لمعهد الدراسات الشرقية قد أتى . وكنت في هذه الفترة قد حولت مسكني من الفندق الأول إلى أقرب منه، إلى باب (سان دونيس)، في شارع القمر حيث توجد مدرسة اللاسلكي قريبا من مسكني الجديد، ولم أكن أشعر أن الأقدار كانت تنسج خيوط حياتي.

... نودي علينا فدخلنا، ولم تبد لي أية صعوبة في الاختبارات، ولكن

النتيجة كانت خيبة أمل: لم أنجح!!

وليس هذا كل ما في الأمر، بل لقد طلبني مدير المعهد، وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يشعري بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة: إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع - بالنسبة لمسلم جزائري- لمقياس علمي، وإنما للمقياس

(١) تختلف الرؤية حسب الراوي إلى: الرؤية من الخلف: التي يعلم فيها الراوي أكثر من الشخصية. والرؤية المصاحبة وهي التي تعني أن الراوي هو الشخصية. والرؤية من الخارج حيث يعلم الراوي أقل من الشخصية. انظر: تحليل النص السردى بين النظرية والتطبيق. ص ٦١.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٠٣.

السياسي"^(١)، هنا ثنائية جديدة أكثر عمقا وجرأة، تلامس أعماق التفكير وتكشف حجب الستر " فعملية الكشف استراتيجية تحف بكتابة المذكرات؛ لأن الكتابة عنها غالبًا ما تعتمد إلى فضح المقموع أو المسكوت عنه، وإلى وضع الجسد بوضع علة الاعتراف أمام تعرية الأنثروبولوجيا، تعصف بحصانته، وعلائقه ومرموزه وشفراته؛ لذا تتحول اللغة بوصفها الأنثروبولوجي إلى قوة للتعمية، وإلى فعل استعاري يتقنّ عبره المعنى والفكرة والخطاب"^(٢) من خلال هذه الثنائيات التي بدأت من جدلية العنوان إلى أعماق القرن ذاته وتعاملاته وأفكاره، " وقد أدركت في تلك اللحظة نفسها عبارات المدير من نتائج عملية دون أن أحللها؛ إذ لم أكن بعد قد اكتسبت خبرة هذا التحليل، الذي يريني اليوم بكل وضوح درجة القرابة بين هذه العبارات، وما قاله لي قبل سنة مدير شؤون الطرق بمدينة (تبسة)، عندما سألته عن شروط الإسهام في المزايدة التي تجري كل سنة تحت إشرافه لإصلاح الطرق، أو لفتح طرقات جديدة في الناحية، وقد اهتمت حينئذ باستغلال وسيلة نقل كانت لدي أستطيع بها نقل مواد الطرق من أحجار وغيرها.

ولكن عوضًا أن يدلي إلي بالمعلومات المطلوبة، أدلى إلي بنصيحة: -
الأفضل أن تبع ما عندك من وسائل نقل إلى مسيو (كانبون) أو مسيو

(١) السابق. ص ٢١٦.

(٢) كتابة المذكرات. السيرة وأدب السيرة الذاتية. جريدة الشرق الأوسط. علاء المفرجي. الاثنين

- ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ - ١٠ فبراير ٢٠٢٠ م رقم العدد [١٥٠٤٩]

(سبيترى) فإن المزايدة بين أيديهما^(١)، ومزيدا من الكشف نجده في أحداث محاولته السفر إلى مصر أو إلى الحجاز^(٢)

لقد مثل بناء الثنائيات من خلال الأحداث هيكلًا متماسكًا في هذه المذكرات، في إطار تسلسلي تراتبي متداخل المعالم، وهي ثنائيات يكشف من خلالها السرد قدرته الحجاجية، حيث إبراز جزئياتها، وإثارة التساؤلات حولها؛ ليحاول القارئ فهم علاقاتها المتنوعة التي تتكشف عبر سيرورة المذكرات الزمنية

٢ - الأحداث وسرد الاختيار: لا يستطيع كاتب المذكرات سرد كل الأحداث التي وقعت له مهما حاول ذلك، ولذلك يلتقط ما يعلق في الذاكرة منها؛ فهو يخضع تلك الأحداث لعملية الاختيار وهي عملية تؤثر فيها قدرة الذاكرة في استحضارها، كما يؤثر فيها حالة السرد وسلطة الخطاب؛ فالخطاب " لا يحلل بوصفه لفظًا مستقلًا بذاته فحسب، بل بوصفه تفاعلاً أو ممارسة اجتماعية أو نوعًا من التواصل في موقف اجتماعي أو ثقافي"^(٣)، وهذه التجاذبات تجعل الخطاب أكثر قدرة على التأثير من خلال نوعية السلطة التي يمتلكها طاقة حجاجية، تبرز هنا من خلال السرد، فيعد الاختيار فعالاً استراتيجياً " انطلاقاً من المواءمة بين الإمكانيات المتاحة للمخاطب والسياق الذي يحف عملية التخاطب"^(٤).

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢١٧.

(٢) ينظر: السابق. ص ٣٥١ - ٣٥٣.

(٣) الخطاب والسلطة. توين فان دايك. ترجمة. غيداء العلي. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ط.

الأولى ٢٠١٤. ص ٣٤.

(٤) استراتيجيات الخطاب. ج ٢. ص ٣٦٤.

ومما يوجه الاختيار ذاتية الكاتب/ الراوي؛ فمهما توخى الموضوعية في التوثيق فإن السرد له توجيهه في الخطاب لأن " كل حكاية ذاتية سردية هي نفسها جزء من حياة منغمس في سياق حي للتفاعل والتواصل والقصد والتخيل والالتباس والغموض، وهناك دائما قصة تالية مختلفة يمكن أن تحكى، كما أن هناك مواقف مختلفة يمكن أن تحكيها فيها، ويخلق هذا ديناميكية تبقى قصصاً حقيقية عن الحياة الواقعية، مع قصص محتملة عن حياة ممكنة، ونتيجة لذلك يمكن معالجة سرديات الحياة مثل معظم النصوص الأدبية بوصفها مفتوحة بلا نهاية"^(١)، ومن هنا يظل الاختيار للأحداث مقصداً أدبياً، وخطاباً يمتلك قدرته على العطاء والتأويل.

وفي هذه المذكرات نجد الكاتب/ الراوي يختار أحداثاً ذات الصبغة الذاتية؛ في محاولة لإبراز الذات التي تمثل جزءاً من ذلك القرن " في ذلك المساء خامرتني نشوة الانتصار، وأنا في ذلك المقعد الذي هو خلف سائق العربة. وعندما مرت العربة أمام مدرستي تحت نوافذ صفي كان لدي شعور بالنصر والتحرر"^(٢)، إنه حدث تتعاقب فيه ذات الكاتب / الراوي مع نشوة الانتصار والتحرر. فهل هي ذات تمثل المواطن الذي يرنو إلى التحرر والانتصار؟ ويتكرر مثل هذا الحدث الذي يبرز الذات بما تحمله من آمال وآلام: " لقد كان استقبال عمي وزوجه لطيفاً، فلم أشعر بذلك الضغط الذي كان يمارسه والدي عند كل هفوة، ولا بذلك الخجل الذي يفرض على الأطفال في العائلات المسلمة بحضور الآباء،

(١) السرد والهوية. ص ١٨.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٣١.

ففي تبسة كنا نلهو إخواني وأنا عند غياب والدي عن البيت"^(١) وكان السباق في تبسة ذا شهرة كبيرة في منطقة قسنطينة بفضل الخيول الأصيلة، التي كانت في المنطقة، وفي يوم السباق بالذات يتجمع حول بوابة قسنطينة عدد كبير من الخيول ذات الدماء النقية ... وهناك تعرفت لأول مرة على المدفع الرشاش، الذي كان يقذف كالغاضب الحانق لهيبًا صغيرًا واحدًا تلو الآخر بقدر ما في المشط المتصل به من قذائف"^(٢)، "لقد كانت لي أحلامي أيضًا، وكنت أفسرها وفقًا لرمز خاص يمكن لي أن أنسبه إلى تربيتي البيئية الدينية، وكان تفسيرها في غير صالح الريفين ... ولكن الحلم ما كان له أن يغير الحقيقة في ناظري؛ فالريفيون كان أسودًا يكافحون وحشًا يفترسنا جميعًا، وبطولة الريفين كانت تتأثر لشعب لا يستطيع أن يثار لنفسه"^(٣)، إنها أحداث تبرز الذات ومشاعرها والأحداث التي كانت تجعل منها ذاتًا موجودة تتحكم في سير الحياة، وإذا كان الراوي يكتبها بعد مضي الزمن؛ فإنها شفرة تفسر ما كانت تحمله الذات وقتها، وما كانت ترى فيه التأثير في حياتها ومستقبلها.

وتتطور الأحداث لإبراز الهوية المنافسة من خلال الاختيار " افتتح المعرض بعد أسابيع وكان الزائر الذي يدخل من الباب الرئيس يشاهد مباشرة على يساره جناح لـ (الآباء البيض)، تعرض فيه نسخ العهد القديم والعهد الجديد، ولكن الجناح كان يوزع أيضًا كتابا صدر في تلك الفترة تحت عنوان (الرسائل

(١) السابق. ص ٤٥

(٢) السابق. ص ١٠٣

(٣) السابق. ص ١٢٧

الجزائرية) يتناول المحامي الجزائري لدى محاكم باريس، العادات والتقاليد الإسلامية بنقد فيه التشويه والتشنيع كأنما هذا المحامي الجزائري لدى محاكم باريس أراد بكتابه تقديم مرافعة ضد الإسلام زلفى وقرى من (الآباء البيض)؛ لينال على أيديهم الزبائن الذين لم يكسبهم لمجرد موهبة؛ إذ لم تكن له أي موهبة في الفصاحة والبلاغة^(١)، الاختيار للحدث يتجاوز إبراز الذات إلى إبراز الهوية والدفاع عنها من خلال الثنائيات التي تمثل هيكل هذه المذكرات "ونقل نادي الشبيبة الإسلامية لافتته من مقرها الصغير الذي تأسس فيه سنة ١٩٢٥ إلى مقره الجديد في الميدان الرئيسي وأصبح يزاحم المقاهي الأوروبية الكبرى"^(٢)، هل نحن أمام إبراز أحداث بريئة واختيار عشوائي مما علق في الذاكرة أم أننا أمام اختيار مقصود؟ وتمثيل لمزاحمة أخرى تنطلق من هذا المقر الصغير، إنها طبيعة السرد في المذكرات، الذي تكون فيه "الشخصية محط أنظار القارئ يتتبعها في فكرها، ولغتها ووضعها وسلوكها؛ ليكون من كل ذلك صورة عنها، ولا يأتي تقديم الشخصية بصورة واحدة، بل تتعدد الصور والأساليب في تقديمها"^(٣)، وهو ما يلمسه القارئ لهذه المذكرات "وبالإضافة إلى أن الأحداث حولنا كانت تتوالى، يحو اللاحق السابق منها في ذهننا، فها هو ذا يأتي من الجزائر نبأ يثير اهتمامنا أكثر من غيره؛ إن وفداً من اتحاد النواب سيحل قريباً في باريس؛ ليقدم مطالب الشعب الجزائري، وحسب ادعاء ذلك الوفد، فهذا

(١) السابق. ص ٢٣١.

(٢) السابق. ص ٢٦٢.

(٣) تقديم الشخصية في رواية مذكرات دي: دراسة في الخطاب السردى. د. عهود ثعبان يوسف.

مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. المجلد الثاني. العدد السابع ز ص ٣٠٨.

يعني في الحقيقة أن يقدم بعض المقترحات المعقولة، خصوصًا في نطاق القانون الأهلي" (١)

إن الكاتب يختار هذا الحدث الذي ربما لا يمثل اليوم شيئًا، لكنه في الذاكرة يعد رئيسًا في بناء حياة أخرى يراها الكاتب من خلال هذه المذكرات التي تكتب اليوم، ولنا أن نقول إن موقف كاتبها مؤثر على حقيقتها وقت استرجاعها، من حيث اختيارها، واستدعائها.

٣ - سرد الأقوال والتعدد الصوتي: إن سرد الأقوال يعد استراتيجية سردية من خلال صوت الراوي، والأصوات التي تبرز من خلاله، وهو ما يمكن تسميته - حسب معجم السرديات - بالتعدد الصوتي " أي قول يقال يشتمل على أصوات وآراء منسوبة إلى آخرين غير الذي قال القائل؛ فالقائل في نطاق الكلام لا يكون مصدرًا ثابتًا للمعنى القائم في قوله؛ وإنما قدره أن يكون مشاركًا يسهم في عملية اجتماعية لإعادة بناء للدلالة، من خلال عدد لا ينتهي من الخطابات" (٢)، وتنحو المذكرات منحى هذا التعدد الصوتي؛ لأنها تمثل للقارئ الوقائع التي لا يمكن دحضها، فهي تشكل نقطة انطلاق للحجاج (٣)، ومن هنا يحاول كاتب المذكرات سرد الأقوال متعاقبة مع صوت الراوي، وحاملة لما يراه أو يفسره هو.

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٣٠٩.

(٢) معجم السرديات. ص ٩٧.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج. دراسات وتطبيقات. أ. د: عبد الله صولة. مسكيلياني للنشر والتوزيع

- تونس. ط. الأولى ٢٠١١. ص ٢٤.

وفي (مذكرات شاهد للقرن) لم يكن سرد الأقوال بارزًا بروز سرد الأحداث، الذي تمت معالجته، وهذا راجع إلى قيام المذكرات على هيكله مقصودة في الخطاب، أساسها بناء الثنائيات التي تتشكل من الحدث أكثر من القول، ولكن يظل القول له دوره في طاقة الخطاب الحجاجية؛ فقيمتها الحجاجية تظهر - كما يقول طه عبد الرحمن - " في كونه يسد مسد دليل - أو ملزوم - معين له مدلول - أو لازم - يفهم من السياق، مدلول يقصد المتكلم مطالبة المخاطب التصديق به، والانتهاض للعمل على وفقه، أي يقصد إلزامه والتزامه به معاً"^(١)؛ فسرد الأقوال يطالعنا منذ البداية؛ فالتداخل الصوتي في بداية المذكرات يأتي من خلال الراوي الوهمي، الذي يضعه الكاتب بدلاً منه^(٢)؛ لأن المذكرات ستكشف جانبًا من المسكوت عنه، ومن ثم يخرج الراوي الحقيقي من تساؤلات القارئ المتخيل، الذي لا يعني أنه من صنع الخيال، بل يعني "أن المتكلم قبل أن يواجه المخاطب الواقعي بخطابه يكون قد استطاع أن يكون عنه تمثلاً ذهنيًا، وصورة متخيلة انطلاقًا من معطيات سياقية تخص المخاطب الواقعي... فهو عنصر متغير يحدده المتكلم عندما يختاره هدفًا لمشروع الإقناع والتأثير"^(٣)، وهو ما تمارسه هذه المذكرات من خلال سرد والأقوال وتداخل الأصوات؛ ففي مرحلة الطفولة تحف بالكاتب / الراوي أصوات ينقلها لنا من

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء - المغرب.

ط. الثالثة. ٢٠١٢. ص ٢٧٦.

(٢) ينظر: مذكرات شاهد للقرن. ص ١٤.

(٣) دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي. د: حسن المودن. ضمن كتاب: الحجاج مفهومه

ومجالاته. ج ١. ص ٢٢٨.

الداخل، حيث المشاعر والعواطف التي يكشفها القول المسرود "وعلى بعد خطوات من المحطة تلفتت أُمِّي إلى مربيتي وقالت لها:
- عزيزتي بهيجة إني أترك الصديق في عهدتك.
وبشيء من الاحتجاج أجابتها مربيتي:

- آزهيرة عزيزتي ، وهل أنت بحاجة لمثل هذه الوصية؟"^(١).

إن الراوي يمارس الرؤية من الداخل، ويبرزها من خلال الأقوال/ الأصوات، حيث علمه بخفايا النفوس، التي تمثل في هذين القولين الأمومة والوفاء، وهذه الرؤية جعلت الراوي أكثر تعرفا على الشخصيات التي يواجهها، "وعلى عتبة ذلك الباب استقبلني رجل له سمت ينبئ عن اتصال وثيق بوسطي الجديد، كانت السنين قد أحنت ظهره ، وكان يرتدي عادة قميصا من الكاكي أثناء العمل، أما ساعات الراحة فيرتدي البرنص . استقبلني ببرنصه وعليه ابتسامة ساخرة كنت أعرفها فيه أثناء دراستي في المدرسة.

سمة لؤم وعينان خبيثتان وراء نظارتين بذراعين معدنيتين، وشارب وخطه الشيب، كانت هذه كلها سمات ذلك الرجل الذي يدعونه عمي ...

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟

لقد سألني عند وصولي حاملا حقيقتي، بينما وضع حمال على عتبة الباب طردا فيه فراشي والغطاء ملفوفين بكيس من القماش . وأجبتته : إنني من تبسة.
ألقي نظرة على ورقة كان يمسكها بيده وقال:

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٥٥.

- حليمية . صديق .

- أنا أدعى صديق .

- حسناً اتبعني إذن .

تبعث ذلك الرجل بينما رفع الحمال حملة وتبعني" (١) .

الكاتب / الراوي يسرد القول بعد الكشف عن شخصية القائل، من خلال الوصف الذي لم يكن عفويًا، بل سيؤثر في القول، ومن ثم في السلوك؛ ففي مقارنة النص السردي " لا ينظر إليه من حيث حبكته، أو تكوينه الجمالي المستقل بذاته، بل ينظر إلى وظيفة هذا البناء في سياق تواصله" (٢)، ينطلق من مؤثرات الخطاب التداولية وأبعاده الحجاجية؛ فلم تذكر صفات (الشاويش) إلا طاقة حجاجية تدفع بالخطاب قدما في سبيل التأثير والإقناع من خلال السرد الذي يتطور، كاشفا عن هذه الشخصية " خلال هذا الانتظار المؤلم يصبح الشاويش ك(عرفة ديلقس Delphes)، وكان الطالب الذي فرغ صبره وخاصة في ربع الساعة الأخيرة قبل إعلان النتائج يسأله عميمي هل نجحت؟ وكان عميمي هذا يتصنع الغموض ويجب باستهزاء: هي ... هي... هي.....

ما معنى هذا...؟ وإذا لم يكن أحد يتجرأ على تفسير كلمات العراف فمن الأفضل التسليم بالمقدور" (٣)، نحن أمام كشف عن المشاعر والخلجات النفسية التي تصاحب هذه الأصوات، والكاتب كأنه بمعزل عنها فيترك الشخصية

(١) السابق . ص ٥٨ .

(٢) البلاغة والسرد . جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ . د: محمد مشبال . منشورات كلية

الأدب - جامعة عبد الملك السعدي - تطران - المغرب ٢٠١٠ . ص ١٥ .

(٣) مذكرات شاهد للقرن . ص ٧٧ .

تتحرك من خلال هذه الأصوات كاشفاً هو عن خفايا، وفي هذا طاقة حجاجية، تتمثل في حمل المتلقي على معايشة تلك المشاعر والتأثر بها؛ فالمتكلم " مثلما يحتاج لأفكاره التي يؤمن بها وأفعاله التي يأتيها يحتاج لانفعالاته وعواطفه، ويصطنع الحجج ويلتمس البراهين كي يحمل مخاطبه على أن يدخل في حالة انفعالية معينة"^(١)، نجدها في الأقوال السابقة من حيث موقف القارئ من (الشاويش) ومن الطلبة المغلوب على أمرهم.

ويستغل الكاتب / الراوي التعدد الصوتي في سرد حجاجي آخر، من خلال إبراز طاقة القيم في الخطاب " وعندما كنت عائداً إلى المنزل مساء نادني أمي إلى غرفتها . كانت مستلقية على سريرها ولم يكن بمقدورها سوى أن تنام أو أن تقف على عكازين.

كان والدي جالسا بقرها على كرسيه ، قالت لي :

- صديق أتريد الرحيل؟

وبقيت صامتاً. فأردفت:

- إذن اذهب إلى باريس لتتابع دروسك؛ وأكمل والدي فكرتها:

- إنك تعرف (بن ستيي)، إنه بعد ان أنهى دراسته في المدرسة التحق لمدة عام بمدرسة (اللغات الشرقية)، وبذلك أعفى من شهادة الدراسة الثانوية وسمح له بالتسجيل في كلية الحقوق . ثم أردف والدي قائلاً :

- سوف نرسل لك كل شهر ما تحتاجه.

(١) الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب. من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف.

د: حاتم عبيد. ضمن: كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته. ج ٢. ص ٧٧.

وأقلتني الباخرة بعد ثلاثة أيام إلى عناية (BONE) في طريقي إلى باريس^(١)، إن قول الأم والأب متطابقان، فهما يدفعانه إلى الرحيل والدراسة، والكاتب / الراوي يستغل ذلك في تصاعد الخطاب، ورسم طريق للبطل = الراوي لتبدأ مرحلة جديدة من المغامرة، وسرد الأقوال هنا يعطي للخطاب حججته من خلال موافقة الوالدين، وذلك يمثل بعداً حججياً ينطلق من أعماق المؤثرات الدينية التي يعترف الكاتب من قبل بتأثيرها عليه^(٢)، وفضاءها المحيط به، وهذا البعد الحججتي هو ما يسمى بحجج القيم؛ حيث يعمل الكاتب من خلال الخطاب على " التلاؤم مع منظور ومعتقدات مخاطبيه، والمناسبة بين تصوره القبلي المتولد عن المتخيل الجماعي، والمستخلص من الخطاب لينتج عنها شرعية وسلطة للقول"^(٣)، التي تؤدي إلى طاقة حججية تؤثر في المتلقي وتقنعه.

وقد يكون سرد الأقوال والتعدد الصوتي كاشفاً عن مجموعة الأفكار والمعتقدات، التي تحتفي وراء الشخصيات، "رحنا ذات يوم نتحدث عن نظريات (فرويد) في الأحلام، وانطلق كل واحد يذكر بعض ما رأى فذكرت بدوري :

- إنني رأيت مناماً : أصدعد إلى النجوم...
وإذا بكبرى البننتين تقاطعني :

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) ينظر السابق. ص ٢٥.

(٣) الحجج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة. د: أمينة دهري. شركة المدارس للنشر والتوزيع

- الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١١. ص ١٦.

- صحيح؟ هل صحيح أنك رأيت هذا؟
كررت السؤال مرتين أو ثلاثاً ، وقبل أن يرجع لي نفسي قالت:
- إذا كان صحيحاً فإنك ستصير رجلاً مشهوراً .

فهمت أنها تؤمن بالعهد القديم أكثر مما تؤمن بـ(فرويد) فقد فسرت الحلم بكل وضوح حسب قصة يوسف في الكتاب المقدس، بينما كانت هذه العانس اليهودية تصرح في كل حديث دار على الدين قبل ذلك، بأنها لم تلقن أي شيء ديني في طفولتها بـ(كتشيف)^(١)، إن التعدد الصوتي الذي يسرده الكاتب في هذا الحوار موهما القارئ البعد عن حيثياته يكشف صراعاً بين القديم والجديد، وهي سمة القرن الذي يحتاج للشهادة له أو عليه، فسرد تلك الأقوال والتعدد الصوتي المزوج بين القديم والحديث، أو بين المخفي والظاهر، يمثل ظاهرة حجاجية تعارضية، ينشئها المقام التداولي من تغاير في الأوضاع واختلاف في الاختيارات^(٢)، التي تعكس بدورها جزءاً من تناقضات القرن وصراعاته، ليتم الربط بين جزئيات الخطاب القائم على نوع من المفارقة أو الازدواجية؛ فالعناصر السردية "تقدمها عناصر لغوية فاعلة معها في كل لحظة عبر صوت لغوي، وتركيب صرفي نحوي وسياقات توظف المعجم الخاص

(١) مذكراً شاهد للقرن. ص ٢٢٥.

(٢) ينظر " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الخامسة. ٢٠١٤. ص ٥٠.

بالسارد، متوزعة ومتكاملة عبر النص كله"^(١)، ومن خلال كل ذلك تنجح عملية التأثير والإقناع التي يمارسها الخطاب على المتلقي .

القسم الثاني: السرد والزمن:

يرتبط السرد بالزمن ارتباطاً قوياً، "وتكتسي تحديدات المقام السردى الزمنية أهمية لا تكتسيها تحديداته المكانية . وذلك أنه بالإمكان أن تروي قصة دون تحديد المكان الذي تروى منه...ولكن يستحيل ألا يتحدد موقعها الزمني من الفعل السردى، ما دامت تروى بالضرورة في الزمن الحاضر أو المستقبل"^(٢)، وترى سيزا قاسم أن الزمن "يمثل عنصراً من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص؛ فإذا كان الأدب يعد فناً زمنياً - إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية - فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن"^(٣)، ولا سيما فن كتابة المذكرات؛ فالزمن فيها يرتبط بالذاكرة التي تستعيد الأحداث والأقوال، وهو زمن يتجلى من خلال أنواعه الأربعة : السرد اللاحق والسرد السابق والسرد المتزامن والسرد المدرج^(٤)، ويمكننا توضيح ما برز من هذه الأنواع في (مذكرات شاهد للقرن) كما يلي:

١ - السرد اللاحق : وهو الذي يكون زمنه تالياً زمن الحكاية، وهو كما يقول (جونات): " الموقع المؤلف للسرد؛ إذ من الطبيعي أن تكون الحكاية

(١) قناع السرد في أرض السواد. مدحت جبار. مجلة فصول. العدد ٦٥ خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥. ص ٢٥١.

(٢) معجم السرديات. ص ٢٢٨.

(٣) بناء الرواية. د: سيزا قاسم. مكتبة الأسرة. مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ ص ٣٧.

(٤) ينظر: معجم السرديات. ص ٢٢٨.

سابقة للفعل السردي"^(١)، وهو الأكثر شيوعاً في المذكرات؛ لأنها تكتب من خلال الرجوع إلى الورا لتسجيل الحكاية، أو الحدث السابق لفعل السرد، ولكن هذا الرجوع إنما هو إبراز للذات من خلال الزمن السردي، المعتمد على الذاكرة المستعادة، التي لا تضيء للوعي " إلا وقائع الماضي وأحداثه المتجانسة لعلاقات اللحظة المهيمنة على الوعي"^(٢)؛ ولذا نجد هذه المذكرات (شاهد للقرن) تنفصل عن الذات منذ البداية في محاولة لإطفاء جذوة الوعي الآنية، ولترك السرد الزمني يمارس دوره في كشف الأحداث والحكاية، "كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلتي قد ساء مادياً، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب"^(٣)، إن الزمن في هذا الحدث زمنان: زمن الحكاية السابق، وزمن الكاتب / الراوي : السادسة أو السابعة، والربط بينهما يحمل طاقة حجاجية؛ فالحدث الزمني هو سوء أحوال العائلة مادياً، وذهاب أملاك الجد التي تتضمن حياة المستقبل، فنحن أمام حاضر ومستقبل يعج بالسوء والضياع، وربط ذلك كله بسن الكاتب (السادسة السابعة) ربط يثير المتلقي عاطفياً، ويحملة على الشفقة، ومتابعة الأحداث لوجود ملفوظات انفعالية، وهي

(١) السابق. الصفحة نفسها.

(٢) زمن الرواية. جابر عصفور. دار المدى للثقافة والنشر، دمشق - سوريا. ط. الأولى. ١٩٩٩

م. ص ١٦٧.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٦.

ملفوظات يتم إسنادها إلى موضوع نفسي^(١)؛ فالربط بين ملفوظات (السادس - السابعة - سوء حال العائلة - بيع الجد - الأملاك - هجر المكان) يكون له الأثر البين في إثارة المتلقي للخطاب، وتجعله متشوقاً إلى معرفة كيف سيكون حال هذا الطفل مع هذا الزمن وهذه الحالة السيئة؟ والكاتب لا يكتفي من خلال سرد الزمن السابق بذلك، بل يرسم صورة الفضاء المجتمعي المتجاوز للعائلة، وهو فضاء يوحي بسوء الحال وتغير القيم " لقد احتفظوا بالمظاهر فيما هم فقدوا الجوهر، إلا أن المظاهر بدورها لم تسلم في النهاية من التغيير . فهذه العادات الأخلاقية والاجتماعية قد اعتراها التحول. وقبل مولدي بضع سنوات لم يعد أهل المنازل يضعون في المشكاة التي كانت بجانب الأبواب طعاماً للفقراء، يكتفون عن السؤال بصوت مرتفع وهم يطرقون الأبواب ... ومنذ طفولتي اختفت عادة تضامنية جميلة تقضي بأن يعير الجار عروس جاره خلي الزفاف. لقد اختفت هذه العادة لأن كثيراً من الحلي المعارة في أحد الاحتفالات لا تعود لأصحابها"^(٢)، يعتمد الكاتب / الراوي ربط الأحوال السيئة والتغير المجتمعي بحياته (قبل مولدي - منذ طفولتي) وكأنه يمهد لنوع من الصراع الذي سيحدث له، ولكن الطفل يتجاوز هذه الأوضاع المتردية من خلال تضحية الأم " ففي العائلة الفقيرة لا بد أن يجوع الصغار متى فقد الأب عمله، غير أن

(١) ينظر: من الخطابة إلى تحليل الخطاب. من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف. ص

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٧.

أمي كانت تحول دون ذلك بممارستها للخياطة، وبالتالي فهي التي كانت تمسك بكيس النقود الذي كان دائما فارغا.

ولا أزال أذكر كيف أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص، وأذكر أنه كان مصنوعاً من عدة ألواح من الخشب ورفعت على صقالتين . وكان هذا يسمى في الجزائر آنذاك (السدة)^(١)، نستطيع أن نقول إن الكاتب هنا يهتم بزمن السرد المتصاعد من خلال نمو الذات وتكاملها، وهو زمن يوحى بالتكامل بين الذات والعائلة التي تتخذ نمطا اجتماعيا مغايرا " لقد أزف يوم الرحيل إلى قسنطينة، وأمي أمضت تلك الليلة في تحضير الحقيبة التي سوف أحملها معي . فقد قرر أهلي أن يرسلوني إلى بيت عمي محمود لأن جدي (الخضير) قد مات؛ ولذلك لم يفكروا بإرسالني إلى أمي بهيجة التي لن تستطيع مراقبة تصرفاتي ومتابعتي في المدرسة.

أما أنا فقد قضيت عشية الرحيل ليلة بيضاء لا أطيق صبرا على ساعاتها من الأرق . وأخيرا حلت اللحظة المنتظرة وجاءت أمي لتوقظني الساعة الخامسة لأن (الأوتوبيس) يترك تبسة في السادسة"^(٢)، الفعل الماضي المسيطر على هذه الأحداث (أزف-أمضت-مات-قضيت-حلت-جاءت) يكشف السرد اللاحق، الذي يجعل القارئ يتابع فصول هذه الحياة متصاعدة .

إن الذات في هذه المذكرات تسير مع الزمن كما تسير العائلة معها، في تناغم غريب فليس هناك نوع من الصراع، فهل الكاتب وتلك العائلة في هذه

(١) السابق. ص ١٩ .

(٢) السابق. ص ٤٣ .

الدرجة من المثالية المتعالية؟ وهذا النموذج يخالف بعض المذكرات كمذكرات طه حسين^(١) التي يعيش البطل فيها صراعاً بين أفراد العائلة والمحيط الاجتماعي، أما هنا فنفتقد هذه الروح من الصراع، مما يجعل المذكرات تنسجم مع الذات، ويتناغم السلوك مع الأيدولوجيا، كل ذلك يحمل طاقة حجاجية في الخطاب، من خلال ما يسمى بالانسجام بين الأبنية العليا للحكاية التي هي "نوع من أنواع التخطيط الذي يكون من إنتاج المتكلم الذي سيحكي الحكاية"^(٢)، وهي هنا انسجام بين الأحداث وتصاعدها زمنياً "أما خارج عملي فقد وجدت صحبتي في وكيل قضائي ذي أصل قسطنطيني و(خجا) وحدة إدارية مختلطة، كان أولاده أسن مني، ومساعد طبيب وموظف في بنك .

كنت أجدهم كل مساء في مقهى يديره زوجان من أصل مالطي . كانت الزوجة فاتنة الجمال . والشباب المفتون بها يطلب من أجل عينيها الجميلتين كؤوس خمر اليانسون (Anisette)، يشربونها واحدة تلو الأخرى حتى التاسعة مساءً، ثم ينصرف كل منهم يتجشأ سكره.

أما كيف تمكنت من المحافظة على نفسي في هذا الوسط؟ فالله وحده يعلم "^(٣)إننا أمام انسجام متصاعد، يحمل في طياته نوعاً من الصراع الخفي الذي يعاينه الكاتب/ الراوي فيعرضه الزمن عبر تصاعده "كان ذلك اليوم سعيداً لأنه يخلصني مؤقتاً من مسؤولياتي، ويخلصني أيضاً من ذلك الحائط المعنوي

(١) ينظر: الأيام. طه حسين. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط. الثانية. ٢٠٠٤.

(٢) نظرية الانسجام عند فان ديك. جمعي فاطمة الزهراء. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية.

(٢٠١٧) العدد ١٠ مجلد ٥. ص ١٩٩.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ١٩١.

الذي في الجزائر بين منطقتي وجود تنتهي على حدود عادات وتقاليد الطرفين، فلا ينظر أحد من نافذته إلى الطرف الثاني إلا بالريبة والتشكك، كما تنظر مدام (دوننسان) من دكانها إلى حياتنا العادية وغير العادية بمدينة تبسة.

لا يرى هنا ذلك الحائط، حيث يذوب الفرد في وجود عام، ولا رقيب على سلوكه إلا ضميره^(١)، إن الزمن يتصاعد مع الحكاية، ويظل الكاتب متمسكا بانسجامة مع ذاته أمام ذلك الوجود المتغير، حتى حينما تتغير المراقبة الخارجية تظل المراقبة الداخلية هي المتحكمة، وهي التي تزرع الانسجام، وهو انسجام داخلي يعكس انسجاما في الخطاب من خلال تسلسل السرد وتصاعده مع نمو الكاتب أو الراوي، ومن ثم فهو يمثل ظاهرة حجاجية؛ لأن الحجاج "ينبع وينبثق من اللغة في صورة إرشادات، فتكون هذه الأخيرة حامل القيم الحجاجية، والضامن لجميع صور التأليف داخل المسلسلات الحجاجية، ومن ثم يصير الحجاج جزءا من دلالة الجمل مستوطنا أعماق اللغة"^(٢) كاشفا عن طاقة الخطاب والحكاية الحجاجية.

٢ - السرد المتزامن: يرتبط زمن السرد بعملية التلطف، حيث يمكن لسارد الحكاية أن يتلاعب بالنظام الزمني بطريقة تكون لا محدودة؛ فقد يطابق السرد زمن الحكاية، وقد يكون تاليا أو سابقا له^(٣)، وهذا التحكم في زمن السرد

(١) السابق. ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) المظاهر اللغوية للحجاج. مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. رشيد الراضي. المركز الثقافي العربي.

الدار البيضاء - المغرب. ط. الأولى ٢٠١٤. ص ٦١.

(٣) ينظر: زمن السرد في روايات فضيلة الفروق. أسماء دربال. رسالة ماجستير. جامعة الحاج لخضر

- بانته - كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية. العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤. ص ٢٧.

يخضع لدوافع الخطاب التي يتحكم فيها الكاتب أو الراوي، والتي تهدف في جوانبها المهمة إلى عملية التأثير والإقناع، لا سيما في سرد المذكرات، حيث يكثر فيها السرد اللاحق إلا أن الكاتب/الراوي قد يستعمل زمن السرد المتزامن فيكون السرد "متزامنا مع الحكاية"^(١)، ومع أنه - كما يؤكد جوناس - أبسط أنواع الزمن السردية لكونه يلغي كل إمكانية للتدخل بينهما^(٢) إلا أنه من جانب آخر يمثل استحضار الزمن والحكاية معا؛ فننعدم المسافة بين السرد والمتلقي، بمعنى معاشته الحدث، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية؛ فالكاتب يعدل من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع، وهو عدول يحمل مقصدا حجاجيا؛ فالكيفية " التي يقال بها الشيء تعد جزءا مما يقال . حينما يعدل المتكلم قوة منطوقه الإنجازية، فإنه يدلل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره لمقتضيات السياق، وهما يرتبطان بكفاءة المتكلم وأدائه معا"^(٣)، وهذا ما نجده في المقطعين التاليين: "و حينما نجتاز بوابة (سيدي سعيد) ونحن في طريقنا إلى الكاتدرائية، أو نعبّر بوابة قسنطينة إذا قررنا المسير إلى (وادي الناغوس) فإن الليل في صيف تبسة ينشر سحره الفاتن أمام أبصارنا.

وكنا نحن بصورة عامة نختار الطريق الأول في نزھاتنا، فيبعدنا ذلك عن جمهور المنتزهين الذين يؤثرون الطريق الآخر؛ فهو لعله يغري الشباب بالمرور في الحي الأوربي، لرؤية الحسنات الأوربيات بينما المتقدمون في السن تقودهم

(١) معجم السرديات. ص ٢٢٩.

(٢) السابق. الصفحة نفسها.

(٣) تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب. محمد العبد. مجلة فصول. العدد

٦٥، خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥. ص ١٤٣.

العادة والسلوك" (١)، " وفيما كنت أهيب نفسي للوقت الذي أستطيع فيه على حق التوظيف، كان يزعجني أن أقضي أيامي في البيت، وفي المساء عند (باهي) أستمع إلى أقاصيصه وأسطواناته، وفي (حمام عباس)، حيث نلعب لعبة (الطاس تقول) " (٢)، إن السرد يتعاقب والزمن من خلال بنية الخطاب باستعمال الفعل المضارع الدال على الحال أو الاستقبال؛ فالمشهد يقفز عبر الزمن ليكون حاضرا بين يدي القارئ، حيث " يتوقف السرد من أجل أن يفسح المكان للمفارقة" (٣)، التي تمنح للخطاب طاقة حجاجية تكمن في كونها - كما تقول نبيلة إبراهيم - : " لعبة لغوية ماهرة بين طرفين : صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم به صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض المعنى الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده" (٤)، ونقل الحدث من الزمن الماضي إلى الحاضر في المذكرات التي هي في ذهن القارئ ماض بحت نوع من هذه المفارقة، التي تستثير القارئ، لكنها استشارة لا تبحث عن معنى، بل تجبره على المشاهدة والمعاشية ومتابعة التفصيلات " ثم تبدئ جلسة العمل، فتجلس

(١) - مذكرات شاهد للقرن. ص ٩٩.

(٢) السابق. ص ١٦١.

(٣) بنية النص السردية. حميد حميداني. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء

- المغرب. ط. الأولى ١٩٩١. ص ٧٤.

(٤) المفارقة. نبيلة إبراهيم. مجلة فصول. المجلد السابع. العدد ٣ - ٤ إبريل - سبتمبر ١٩٨٧ م.

ص ١٣٢.

زوجي في ركنها بعد أن تناولنا القهوة وتلحق بها هرتنا لوزة لتغط على ركبتهما في نومها بينما تستأنف سيدتها نسيجها اليدوي بالإبرة، ولم يكن موضوع المناقشة محددًا من قبل، وغالبا ما تحدده الورقة الصغيرة التي يخرجها (حمودة بن الساعي) من جيبه... فيدور بيننا الحديث ويدوم أحيانا إلى الساعة الواحدة ليلا^(١)، السرد هنا ينقل القارئ إلى ذلك الاجتماع وطبيعته، من خلال تزامينته التي تختصر الزمان، وتقرب المكان ليكون مشهدا حيا مشاهدا بكل التفاصيل، التي أراد الكاتب نقلها؛ فالزوجة تجلس جانبا غير مشاركة للرجال في جلستهم، وهو متسق مع الشخصية وتكوينها الأيدلوجي والمعرفي، وهذا الاستحضار هو استحضار متعمد؛ لأنه أهم جزئيات المذكرات التي يرى فيها الكاتب مظاهر القرن .

ويوظف الكاتب هذا الاستحضار، أو تزامن السرد والحكاية لوظيفة أخرى " وما ننتهي من الأكل حتى تصبح المائدة وسط الغرفة لتوضع عليها تحفة فيها طاقة من الزهور تشتريها زوجي كل مرة حين تذهب إلى سوق باب فرساي حتى القطة لوزة عندما تغادر مرصدها وتأتي إلى الغرفة تصبح هي الأخرى مجرد تحفة يراها الزائر في بيت عرائس ...

إنني أذكر هذه التفاصيل لأنني أعدها دالة على التطوير النفسي الذي سيجعلني أشد الناس نفورا لكل ما يسئ لذوق الجمال ولأنها تفسر ثورتي على بعض جوانب تخلفنا التي تصبح موضوع السخرية في بعض المجالات^(٢)، إنها

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥١.

(٢) السابق. ص ٢٧٣.

تفصيلات تدعو القارئ إلى المشاركة في المشهد،(نتهي - تصبح - توضع - تشتريها - تذهب - تغادر أذكر)، هذه الأفعال المضارعة تختصر الزمن، وتستحضر تلك السرعة في إعادة المكان إلى جماله وأناقته، وكل ذلك ينعكس على سلوك الكاتب وحياته، وهو يحمل النقد المبطن لمظاهر التخلف وهدر الجمال، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية لهذا الحضور والسرد المتزامن.

٣ - الاستغراق الزمني : إن الوقائع التي تحدث في المذكرات تجسد كما هائلا، لا يمكن للكاتب الإحاطة بها، فلا بد أن يكون هناك تحكم في الزمن من خلال الحكاية المسرودة "فإذا كان من السهل أن نقارن النظام الزمني لقصة ما مع النظام الزمني الذي تبناه الراوي لكي يحكي تلك القصة، فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة إذا تعلق بمقارنة جادة نريد أن نقيمها بين زمن القصة وزمن السرد"^(١)، ومن هنا يلجأ الراوي، أو كاتب المذكرات إلى استراتيجيات الاستغراق الزمني : الخلاصة - الاستراحة - القطع^(٢)؛ ليكي يتغلب على تفاقم الحكاية والزمن، فنجد الزمن يطوى من خلال الخلاصة أو التلخيص " لقد بدت لنا قسنطينة أجمل وأبهى في ذلك المساء؛ وحول طاولة مصنوعة من الرخام فوق هيكل حديدي جلسنا، وكان العشاء تسوده الصداقة الحميمة"^(٣). " وكنت ذلك المساء مسرورا خاصة فقد تبددت مخاوفي من البنطال ولبسه بسرور أمني... وشقيقتاي اللتان أصبحتا الآن متزوجتين وجهتا نظرات تنم عن الرضى، أما

(١) بنية النص السردى. ص ٧٦.

(٢) ينظر السابق. الصفحة نفسها.

(٣) مذكرات شاهد للقرن. ص ٦٠.

جدتي فقد تلقت مني قبلة على جبينها، ثم خفضت رأسها ترقب حبات سبحة كانت في يدها.

أما والدي فقد كنت أعرف أنه يتبنى كما هي العادة آراء أمي لقد تحسنت صحتها دون أن يكتب لها الشفاء التام . وكان الحديث تلك الليلة طلياً والمائدة شيقة"^(١).

" فوجئت نبأ سفر والديّ بوصفه فرصة ثمينة ضاعت علي، ولم يبق لدي إلا الرجوع لله في الأمر، وانتظار اليوم السعيد الذي أراهما فيه بعد عودتهما من الحج، وعودتي من فرنسا لأستمع منهما إلى أخبار الحجاز"^(٢). إن الكاتب يختصر الأحداث ويطوي الزمن، ليبدو مضغوطاً أمام القارئ، وفي ذلك تكثيف للحدث، وتلاعب بالزمن، كما أنه يمثل " نوعاً من استقصاء بيان الشيء والاقتصار على ما يحتاج إليه"^(٣)، ومن هنا تكمن الطاقة الحجاجية في إبراز جانب من الحدث وتبنيه^(٤)؛ ففي المقطع الأول نجد بروز : المدينة والطاولة والعشاء، وكل واحدة من هذه تمثل كما هائلاً من الأحداث التي عايشها كاتب المذكرات، فهو أرادها إطاراً، وفضاء روائياً تتعاقب فيه الأحداث والزمن .

(١) السابق. ص ٩٨.

(٢) السابق. ص ٢٨٢. وينظر: ص. ٣٣٢ - ٣٤١ - ٣٦٠ - ٣٨٥.

(٣) معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر. ص ١٥.

(٤) " هو انتقاء للمعلومة السردية أداته بؤرة واقعة في مكان ما، هي ضرب من المصفاة لا يسمح بمرور

المعلومة التي يخولها المقام" ينظر: معجم السرديات. ص. ٦١.

أما في المقطع الثاني فإبراز الذات وما تحمله من صفات أو مشاعر هو المقصد الأول: ذات الكاتب - ذات الأم - ذات الجدة - ذات الأخوات - ذات الأب، فنحن أمام عالم الإنسان مختصراً في مجموعة من الكلمات. وفي المقطع الثالث نجد إبراز حدثين لهما تأثير كبير في المذكرات وهما: حدث الحج، وحدث الرجوع من فرنسا؛ فالخلاصة التي تمثل الاستغراق الزمني هنا تنقل القارئ إلى عالم آخر من خلال البحث عن التفصيلات في أعطاف المذكرات أما استراتيجية الاستراحة Pause والتي تعني "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف" (١) فكثيرة في هذه المذكرات؛ فمدرسة الكاتب التي تلقى فيها التعليم فيها طلاب "مجدون لا يهتمهم غير دروسهم، هؤلاء عدول المستقبل، أو أي شيء آخر، يلمحون من بعيد وظيفتهم في الإدارة، وكان كذلك الحاملون بينون قصورا في إسبانيا، وآخرون يهتمون بقص شعورهم على آخر طراز" (٢)، والعمل في إحدى دوائر المحاكم يتطلب نوعاً من الوقوف الزمني والوصف؛ فالجودي الذي أضافهم "بيادر بصفة عامة ليرتب طعامنا ثم يخف لملاقاتنا في ظاهر الدوار، وقد فرش أجمل بساط لديه أمام منزله أو أمام كوخه. وكنا نترك الجلوس عليه عادة ليجلس سي الجودي، أما كل واحد منا فكان يتمدد حيث يحلو له المكان. وإذا ما كان الربيع فإن الطبيعة تقدم بساطها الذي ينشر عطره الحميل في الفضاء، فيختلط برائحة خشب الصنوبر الذي

(١) بنية النص السردي. ص ٧٦.

(٢) مذكرات شاهد للقرن. ص ٨٦.

يتقد تحت قدور طعامنا"^(١)، ويتخذ الوصف دقة أكثر في هذا التوقف " وفي تلك اللحظة عثر حمودة أو أخوه صالح لا أدري على عنوان (أوجين يونغ) وزاره في غرفة قليلة الأثاث، لا يدخلها ضوء النهار إلا من نافذة صغيرة تحت أحد سطوح باريس، ولا تنورها ليلا الكهرباء، وأصبح الرجل النبيل الذي علم جيلي الكثير عن وضع العالم الإسلامي في الحقبة الاستعمارية أصبح عجوزا مريضاً ستنطفئ حياته في عزلة هذه الغرفة، كما تنطفئ فيها الشمعة التي تضيئها ليلا، بينما كان تباذير بعض الطلبة من العرب والمسلمين في الحي اللاتيني كافيا لحياة هذا المريض في لحظاته الأخيرة"^(٢)، إن الوصف إضافة إلى توقف الزمن من خلاله ليلتقط القارئ أنفاسه قبل إكمال رحلة المذكرات، يؤدي دورا حجاجياً في الخطاب فله " دور في توجيه الملفوظ وإثباته، وجعله مما يحمل على أنه واقع لا محالة"^(٣)؛ فيحمل قوة تأثيرية تتجاوب معها مشاعر المتلقي وحواسه من خلال الوصف الدقيق ومتابعة التفصيلات .

ويستغل الكاتب قطع السرد الزمني، حيث يتم تجاوز بعض المراحل من المذكرات دون الإشارة بشيء إليها^(٤)؛ فالكاتب يتغير شكله في إشارة إلى مرور الزمن " فاجأت عودتي لقسنطينة الجميع كما فوجئت أنا؛ فقد نما جسدي كثيراً

(١) السابق. ص ١٦٥.

(٢) السابق. ص ٣٣١. ولمزيد من أمثلة الوصف انظر: ص ١٧٥، ٢٠١٠، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢١، ٣٨٣.

(٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د: عبد الله صولة. دار الفارابي. بيروت - لبنان. ط. الثانية ٢٠٠٧. ص ٣٢٣.

(٤) ينظر: بنية النص السردية. ص ٧٧.

خلال العطلة، فأصبح جسد رجل على الرغم من أن الكتفين بقيا على شيء من الضيق"^(١)، فنحن أمام قطع ضمني ليس مباشراً، بل يدركه القارئ، وهو محرك لتصوره عن الشخصية، ومحاولة متابعة نموها، وتغيرها، "وفي أيام الامتحانات هذه كانت تصدر عني حركات وتصرفات أذكر أنني قمت بها في امتحانات السنوات السابق"^(٢)، هنا اختصار لسنوات من العمر من خلال ذكر هذه الحركات، وهي استراتيجية في الخطاب السردي المعاصر؛ لأنه كما يقول حميد حميداني: "يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية"^(٣)، التي لا تستفيد منها الحكاية، وهذا الإلغاء يمثل قيمة حجاجية؛ فهو يوحي إلى القارئ بأنه مدرك لما تم تجاوزه والسكوت عنه، وموافق للكاتب عليه^(٤)، كأن يكون ذلك اعترافاً من الكاتب بخطئه، "وبدأت السنة الدراسية تأخذ منعطفها الأخير، دون أن أبذل في دروسي العشر من الوقت الذي بذلته لاستماع (الطوريس)، وقصائد إخواننا الشعراء السوريين"^(٥)، أو إشعاراً بالزمن الشعوري الذي يمر سريعاً، "دامت هذه الفترة السعيدة واحداً وعشرين يوماً، فأرادت والدتي أن تزيد بعض الأيام في الاستجمام، وفكرت أنا بالرحيل، وذات صبيحة ودعت والدي،

(١) مذكرات شاهد للقرن. ص ٨٣.

(٢) السابق. ص ١١٦. ولمزيد من ذلك. انظر: ص ٣٠٤، ٣١٩، ٣٨٧، ٤٠٥. وغيرها.

(٣) بنية النص السردي. ص ٧٧.

(٤) ينظر: اللسان والميزان. ص ١٥٠.

(٥) - مذكرات شاهد للقرن. ص ٢٥٣.

وسكبت والدتي بين قدمي (ماء العودة)^(١)، هكذا يتلاعب الكاتب بالزمن
جاذبا إليه المتلقي لمتابعة الرحلة في مذكراته، مستخدما آليات السرد الحجاجية.

(١) - السابق. ص ٢٦٥.

الخاتمة:

تناول هذا البحث السرد في مذكرات شاهد للقرن، وقاربها حجاجيًا من خلال آليات السرد الحجاجية: الأحداث والأقوال والزمن السردية، وتوصل إلى النتائج البحثية التالية:

- أهمية الفن السردية القائم على ثنائية الحكاية والخطاب، حيث يتم حجاجيًا استغلال هذا التنوع في الخطاب السردية للتأثير والإقناع.
- تتخذ المذكرات المدروسة اتجاهًا حجاجيًا منذ عتبات النص الأولى: العنوان مما كان له الأثر البين والواضح في جذب القارئ، ومحاولة التأثير عليه من خلال التساؤلات التي تثيرها المذكرات في كل زاوية من زواياها.
- بنيت المذكرات على نظام خطابي عام قائم على نوع من الثنائية، التي أوجدت الاتساق والديناميكية في تصاعد الأحداث وتطورها.
- غلب ثنائية الحدث على هذه المذكرات، وكان صوت الحوار خافتا فيها، مما أوجد نوعًا من سيطرة الراوي على المذكرات وتوجيهها وجهة معينة.
- تلاعب الكاتب بزمن السرد ونوع فيه، وكان لذلك الأثر الواضح في منح المذكرات قيمة حجاجية واضحة.
- تعانقت المذكرات مع فضاءات مذكرات ونصوص سردية روائية أخرى، مما يجعلها تقدم نوعًا من التناص الأدبي، الذي منحها قيمة أدبية حجاجية.
- قدم البحث رؤية واضحة عن الراوي، الذي حاول الاختفاء منذ البداية، وكان صورته واضحة المعالم، من التفكير والسلوك.
- وضحت الدراسة أهمية السرد ودوره حجاجيًا.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

١ - مذكرات شاهد للقرن. مالك بن نبي. دار الفكر . دمشق . البرامكة . ط. الثانية (٢٠٠٤م)

ثانيا المراجع:

الكتب:

- ٢ - استراتيجيات الخطاب. مقارنة لغوية تداولية. د: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان - الأردن. ط. الثانية ٢٠١٥ م.
- ٣ - أساطين الفكر عشرون فيلسوفا صنعوا القرن العشرين. روجيه - بول دروا. ترجمة: علي نجيب إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ٢٠١٢.
- ٤ - الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ٥ - الأيام. طه حسين. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط. الثانية . ٢٠٠٤ م.
- ٦ - الباتوس : من الخطابة إلى تحليل الخطاب . من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف . د: حاتم عبيد . ضمن : كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٧ - البعد الحجاجي في أفصوصة " القلعة " لجمال الغيطاني .د: محمد نجيب العمامي . ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته. إشراف .د: حافظ أسماعيل علوي .عالم الكتب الحديث . إربد - الأردن . ط .الأولى ٢٠١٠ م.
- ٨ - البلاغة والخطاب . إعداد وتنسيق .د: محمد مشبال . منشورات الاختلاف . الجزائر . ط. الأولى ٢٠١٤ .
- ٩ - البلاغة والسرد . جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ. د: محمد مشبال . منشورات كلية الآداب - جامعة عبد الملك السعدي - تطران - المغرب ٢٠١٠م.
- ١٠ - بناء الرواية . د: سيزا قاسم . مكتبة الأسرة . مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤ م.
- ١١ - بنية النص السردي .حميد حميداني . المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع . الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ١٩٩١ م.

- ١٢ - تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق . د: محمد القاضي . مسكيلياني للنشر والتوزيع . تونس . ط. الثانية ٢٠٠٣ م.
- ١٣ - التداولية من أوستن إلى غوفمان . فيليب بلانشيه . ترجمة : صابر الحباشة . دار الحوار للنشر والتوزيع . سورية - اللاذقية . ط . الأولى . ٢٠٠٦ م.
- ١٤ - التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي . مكتبة المثقف . ط الأولى ٢٠٠٥ م.
- ١٥ - التداولية والحجاج مداخل ونصوص . صابر حباشة . صفحات للدراسات والنشر . سورية - دمشق . ط الأولى ٢٠٠٨ م.
- ١٦ - تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي . د: يعنى العيد . دار الفارابي . بيروت - لبنان . ط . الثانية ٢٠١٠ م.
- ١٧- جذور الرومانتيكية . إيزايا برلين . نقله إلى العربية سعود السويدا . جداول . الكويت . ط . الأولى ٢٠١٢ م.
- ١٨ - الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية . د: عبد الله صولة . دار الفارابي . بيروت - لبنان . ط . الثانية ٢٠٠٧ م.
- ١٩ - الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة. د: أمينة دهري . شركة المدارس للنشر والتوزيع - الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ٢٠١١ م .
- ٢٠ - الحجائيات اللسانية . رشيد الراضي . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء - المغرب . ط. الأولى ٢٠١٤ م.
- ٢١ - الخطاب والسلطة. توين فان دايك . ترجمة . غيداء العلي . المركز القومي للترجمة . القاهرة . ط. الأولى ٢٠١٤ م.
- ٢٢ - دليل الناقد الأدبي. د . ميجان الرويلي . د. سعد البازعي . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء - المغرب . ط. الخامسة ٢٠٠٧ م.
- ٢٣ - دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي . د: حسن المودن . ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٢٤ - رواية للطبيب صالح . دار العودة - بيروت . ط الرابعة عشرة ١٩٨٧ م.

- ٢٥ - زمن الرواية . جابر عصفور . دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق - سوريا . ط .
الأولى ١٩٩٩ م .
- ٢٦ - السيرة والهوية . دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة . جينز بروكبير . دونالد
كربو . ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم . المركز القومي للترجمة - القاهرة . ط .
الأولى ٢٠١٥ م .
- ٢٧ - العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي . د: وحمد فكري الجزائر . الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٩٩٨ م .
- ٢٨ - فخاخ المفارقة والنموذج السقراطي . عبد الرحمن حبيب . ضمنة كتاب : أوراق
فلسفية . مجموعة باحثين . تقديم .أ. د: سعد البازعي المركز الثقافي العربي .الدار
البيضاء - المغرب . ط . الأولى ٢٠١٢ م .
- ٢٩ - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي .
الدار البيضاء - المغرب . ط . الخامسة . ٢٠١٤ م .
- ٣٠ - في نظرية الحجاج . دراسات وتطبيقات . أ. د: عبد الله صولة . مسكيلياي للنشر
والتوزيع - تونس . ط . الأولى ٢٠١١ م .
- ٣١ - قال الراوي . البنيات الحكائية في السيرة الشعبية . سعيد يقطين . المركز الثقافي
العربي .الدار البيضاء - المغرب . ط . الأولى ١٩٩٧ م .
- ٣٢ - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي . المركز الثقافي العربي
- الدار البيضاء . ط . الأولى ١٩٩١ م
- ٣٣ - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . طه عبد الرحمن .المركز الثقافي العربي . الدار
البيضاء - المغرب . ط . الثالثة . ٢٠١٢ م .
- ٣٤ - اللغة والمنطق والحجاج . ميشيل ماير . تقديم وترجمه : محمد أسيداه . ضمن كتاب
: الحجاج مفهومه ومجالاته .
- ٣٥ - مغني اللبيب عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد،
جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تحقيق د. مازن المبارك - محمد علي حمد الله
دار الفكر - دمشق . الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ م .

- ٣٦ - معجم السرديات . إشراف : محمد القاضي . تأليف . محمد القاضي وآخرون . دار الفارابي - لبنان . ط . الأولى ٢٠١٠ م .
- ٣٧ - معجم مصطلحات النقد الأدب المعاصر . فرنسي - عربي .. سعيد علوش . د . كيان أحمد حازم يحيى . د . حسن الطالب . دار الكتاب الجديد المتحدة . بيروت - لبنان . ط الأولى ٢٠١٩ م .
- ٣٨ - نظرية الحجاج . تطبيق على نثر ابن زيدون . عزيز لدية . عالم الكتب الحديث . إربد - الأردن . ط . الأولى ٢٠١٥ م .

الرسائل الجامعية:

- ٣٩ - الخطاب النقدي عند رولان بارت الكتابة والقراءة . رسالة ماجستير . للطالبة: زهيرة شنيبي . كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: اللغة العربية وآدابها- جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - الجزائر . السنة الجامعية: ٢٠١١/٢٠١٢ م .
- ٤٠ - زمن السرد في روايات فضيلة الفروق . أسماء دربال . رسالة ماجستير . جامعة الحجاج لخضر - بانه - كلية الآداب واللغات . قسم اللغة العربية . العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤ .
- ٤١ - السيرة الذاتية بين الواقع والتمثيل في رواية "المنوعة" ل: "مليكة مقدم" ترجمة محمد ساري. رسالة ماجستير . -طالب جميلة - كرماني كهينة . جامعة البويرة . قسم اللغة والأدب العربي. عام ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م .

المجلات والدوريات:

- ٤٢ - تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب . محمد العبد . مجلة فصول . العدد ٦٥ , خريف ٢٠٠٤ - شتاء ٢٠٠٥ م .
- ٤٣ - تقديم الشخصية في رواية مذكرات دي: دراسة في الخطاب السردية . د. عهود ثعبان يوسف . مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث . المجلد الثاني . العدد السابع .
- ٤٤ - السرد والحجاج القراءات المتصارعة التنوع والمصدقية في التأويل . د: محمد عبده البشير مسالتي. حوليات جامعة قلمة للغات والآداب . العدد ١٠ . جوان ٢٠١٥ م .

- ٤٥- كتابة المذكرات. السيرة وأدب السيرة الذاتية . جريدة الشرق الأوسط . علاء
المفرجي . الاثنين - ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ - ١٠ فبراير ٢٠٢٠ مرقم العدد
[١٥٠٤٩]
- ٤٦ - المفارقة . بنيلة إبراهيم . مجلة فصول . المجلد السابع . العدد ٣ - ٤ إبريل -
سبتمبر ١٩٨٧ م.
- ٤٧ - نظرية الانسجام عند فان ديك . جمعي فاطمة الزهراء . مجلة الحكمة للدراسات
الأدبية واللغوية . (٢٠١٧) العدد ١٠ مجلد ٥ .

Sources and references:

First: Sources:

- 1- Witness notes for the century. Malik bin Nabi. House of thought. Damascus Baramkeh. i. The second (2004 AD)

Second references:

Books:

- 2- Discourse Strategies. Pragmatic linguistic approach. Dr: Abd al-Hadi bin Dhafer al-Shehri. Dar treasures knowledge for publication and distribution. Ammaan Jordan . i. The second 2015 AD.
- 3- The masters of thought, twenty philosophers who made the twentieth century. Roger - Paul Duroit. Translated by: Ali Najeeb Ibrahim. Arab Book House. Beirut - Lebanon 2012.
- 4- Al-Alam, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris al-Zarkali al-Dimashqi (deceased: 1396 AH, Dar al-Ilm Li'l Millions, Edition: fifteenth - May / May 2002 AD.
- 5- The days. Taha Hussien . Al-Ahram Center for translation and publishing. i. the second . 2004.
- 6- Albatos: From rhetoric to discourse analysis. From invoking emotions to invoking emotions. Dr: Hatem Obaid. Within: The book of pilgrims, understood by M. and its domains. M.
- 7- The argumentative dimension in the story "The Citadel" by Jamal Al-Ghitani. Dr.: Muhammad Najeeb Al-Amami. Within the book: Al-Hajjaj, its concept and fields. Supervised by: Dr. Hafez Ismail Alawi, The World of Modern Books. Irbid - Jordan. i. First 2010 AD.
- 8- Rhetoric and Discourse. Prepared and coordinated by Dr.: Muhammad Meshbal, Al-Ikhtif Publications. Algeria . i. First 2014
- 9- Rhetoric and Narration. The controversy of photography and pilgrims in the news of Al-Jahiz, Dr. Muhammad Meshbal. Publications of the Faculty of Arts - Abdul Malik Al-Saadi University - Tarran - Morocco 2010.
- 10- The construction of the novel by Dr. Siza Kassem. Family library. Reading for All Festival 2004 AD.
- 11- The structure of the narrative text, Hamid al-Humaidani. Arab Cultural Center for printing, publishing and distribution. Casablanca - Morocco. i. The first in 1991 AD
- 12- Analysis of the narrative text between theory and practice, Dr.: Muhammad Al-Qadi. Maskiliani for publication and distribution. Tunisia. Z. The second 2003 AD.
- 13- Pragmatics from Austin to Goffman, Philip Blanchet. Translated by: Saber Al-Habasha. Dar Al-Hiwar for publication and distribution. Syria - Latakia. i. The first. 2006 AD.
- 14- Pragmatics and Discourse analysis, Dr. Jamil Hamdawi. Intellectual Library. First edition 2005 AD.
- 15- Pragmatics and Argumentation approaches and texts. Saber Habasha. Pages for studies and publishing. Syria - Damascus, first edition, 2008.

- 16- Narrative narration techniques in the light of the structural approach. Dr. Youmna Eid. Al-Farabi House. Beirut, Lebanon. i. The second 2010 AD.
- 17- Roots of Romanticism. Isaiah Berlin. Translated into Arabic by Saud Suwayda, Kuwait tables. i. The first is 2012 AD.
- 18- Al-Hajjaj in the Qur'an through its most important stylistic characteristics. Dr: Abdullah Salah. Al-Farabi House. Beirut, Lebanon. i. The second 2007 AD.
- 19- Al-Hajjaj and Building the Discourse in the Light of the New Rhetoric, Dr. Amina Dahri. Schools Publishing and Distribution Company - Casablanca - Morocco. i. First 2011 AD.
- 20- Linguistic Arguments. Rashid Radi. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco i. The first is 2014 AD.
- 21- Discourse and Power. Twain Van Dyke. Translated by Ghaida Al-Ali. The National Center for Translation, Cairo. i. The first is 2014 AD.
- 22- Literary Critic's Guide. Dr. Megan Al-Ruwaili. Dr. Saad Al-Bazai. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. Z. Fifth, 2007 AD.
- 23- The role of the addressee in the production of argumentative discourse. D: Hassan Al-Mouden. Within the book: Hajj, its concept and fields
- 24- A novel by Tayeb Salih. Dar Al-Awda - Beirut. The Fourteenth Edition, 1987 AD.
- 25- The time of the novel. Jaber Asfour, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus - Syria. The first 1999 AD.
- 26- Biography and identity. Studies in biography, self and culture. Broker jeans. Donal Karbo. Translated by: Abdel Maqsooud Abdel Karim. The National Center for Translation - Cairo. First 2015 AD.
- 27- Title and Semiotics of Literary Communication. Dr. and Hamad Fikry Al-Jazzar, the Egyptian General Book Authority, 1998 AD.
- 28- Traps for the paradox and the Socratic model. Abdul Rahman Habib. Book included: Philosophical Papers. A group of researchers. Presentation Dr.: Saad Al-Bazai, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco. i. The first is 2012 AD.
- 29- On the origins of dialogue and defining the science of speech, Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, p. Fifth. 2014.
- 30- In the theory of pilgrims, studies and applications. Prof. Dr.: Abdallah Soula, Maskiliani for Publishing and Distribution - Tunisia. i. First 2011.
- 31- The narrator said, the anecdotal structures in the popular biography. Said Yaktin, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco. i. The first 1997 AD.
- 32- Text Linguistics: An Introduction to Discourse Harmony, Mohamed Khattabi, Arab Cultural Center, Casablanca, p. The first in 1991 AD.
- 33- Tongue and Balance, or Mental Propagation, Taha Abdel Rahman, Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. i. Third, 2012 AD.
- 34- Language, Logic and Argumentation, Michel Meyer, presented and translated by: Muhammad Asidah, within the book: Al-Hajjaj, its concept and fields.
- 35- Mughni al-Habib Abdullah bin Yusuf bin Ahmad bin Abdullah bin Yusuf, Abu Muhammad, Jamal al-Din Ibn Hisham (T) (761 AH) investigated by Dr. Mazen Mubarak Muhammad Ali Hamdallah. Dar Al-Fikr - Damascus Sixth Edition, 1985

- 36- The Dictionary of Narratives, supervised by: Muhammad Al-Qadi. composing. Muhammad Al-Qadi and others. Al-Farabi House - Lebanon. i. The first is 2010 AD.
- 37- Glossary of Contemporary Literature Criticism Terms. French - Arab Said Alloush, d. Kayan Ahmed Hazem Yahya. Dr. Good student. Book House - New United. Beirut - Lebanon, first class, 2019.
- 38- Theory of arguments. An application to the prose of Ibn Zaydun Aziz to the world of modern books. Irbid - Jordan I. First 2015.

University theses:

University theses:

- 39 - The critical discourse of Roland Barthes, writing and reading. Master Thesis. Student Zouhaira Shenini. Faculty of Arts, Languages, Social Sciences and Humanities, Department of Arabic Language and Literature - Larbi Ben M'hidi University Oum El Bouaghi - Algeria. Academic year: 2011/2012.
- 40 - The time of narration in the novels of the virtue of distinctions. Darbal names. Master's thesis, Hajj Lakhdar University - Banta - Faculty of Arts and Languages. the department of Arabic language. Academic year 2013-2014.
- 41 - The biography between reality and the imagined in the novel "The Forbidden" by: "Malika "Moghaddam" Translated by Muhammad Sari. Master's thesis student Jamila - Kermani Kahina. University of Bouira. Department of Arabic Language and Literature in 2014-2015 AD.

Journals and periodicals:

- 42 - Modifying the Achievement Power, A Study in the Pragmatic Analysis of Discourse, Muhammad Al-Abd, Mahalla Fosoul. Issue 65, Fall 2004 - Winter 2005.
- 43 - Introducing the Personality in the Novel Diary of Dee: A Study in Narrative Discourse d. Oaths snake Joseph. Ibn Khaldun Journal for Studies and Research. Volume II. Seventh issue
- 44 - Narrative and Argumentation conflicting readings diversity and credibility in interpretation. Dr. Mohamed Abdo Al-Bashir Masalati Annals of Guelma University of Languages and Literature. Issue 10. June 2015 AD.
- 45- Writing biographical notes and autobiographical literature. Middle East newspaper. Alaa Al-Mafaraji. Monday - 15 Jumada II 1441 AH - February 10, 2020 AD Issue number [15049]
- 46 - The Paradox. Benila Ibrahim. Seasons Magazine. Volume VII. Issue No. 3 - 4, April - September 1987.
- 47 - van Dijk' Cohesion Theory. Jamey Fatima Zahra. Al-Hikma Journal for Literary and Linguistic Studies. (2017) Issue 10, Volume 5.



آليات الحجاج في خطاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للشباب
(مقاربة تداولية)

د. جوزاء مفلح ضيغم العنزي
قسم اللغة العربية -كلية الآداب والفنون
جامعة حائل





آليات الحجاج في خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- للشباب (مقاربة تداولية)

د. جوزاء مفلح ضيغم العنزي

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والفنون
جامعة حائل

تأريخ تقديم البحث: ١٤٤٤ / ٧ / ٢٢ هـ تأريخ قبول البحث: ١٤٤٤ / ٩ / ٨ هـ

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة آليات الحجاج في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، الذي ذكرت فيه لفظة شاب أو شباب، ورغم قلة الأحاديث التي وردت فيها هذه اللفظة إلا أنها تعددت فيها الأوجه الحجاجية، فالشباب هم اللبنة الأهم في بناء المجتمع، وقد نالت هذه الفئة اهتماماً كبيراً وعناية خاصة في خطاب النبي -ﷺ-، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لاستظهار الرؤية التداولية من خلال الآليات الحجاجية في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، ومن ثم تستدعي الدراسة المنهج التداولي لمقاربة هذه الآليات، مسبقة بتمهيد، يرصد أهم مفاهيم الدراسة؛ الخطاب، الحجاج، ثم انتقلت الدراسة إلى التوقف على أبرز الآليات التداولية وأبرز الآليات اللغوية ثم الآليات البلاغية، لتصل في الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السلام الحجاجية، الأفعال الإنجازية، التكرار، الاستعارة.

The Argumentative Mechanisms in the Speech of the Prophet (Peace be Upon him) for Youth: A Pragmatic Approach

Dr. Jawzaa Mefleh Dhughayim Al enizy

Department of Arabic Language - College of Arts and Literature

Hail university

Submission date: Raj.22, 1444 AH Acceptance date: Ram.8,1444 AH

Abstract:

This study addresses the argumentative mechanisms in the discourse of the Prophet –peace and blessings upon him- regarding the youth, as they are the cornerstone for the building of the society, and because this category of people gained a great and special attention in the discourse of the Prophet –peace and blessing upon him-. Based on this, this study came to highlight the pragmatic vision through the argumentative mechanisms in the discourse of the Prophet – peace and blessing upon him- regarding the youth, hence the research invoked the applied pragmatic methodology on these mechanisms, whether pragmatic, or linguistic, or rhetoric. It was preceded with a foreword that surveyed the most important concepts of the study, discourse, argument, youth. .

key words: Argumentative ladders, illocutionary act, repetition, metaphor

المقدمة

للخطاب النبوي الكريم مكانة في نفوس المسلمين؛ فهو مصدر الشريعة الإسلامية بعد الخطاب القرآني الكريم، وقد بلغ في البيان البشري الذروة في البلاغة والفصاحة، ونال اهتمام العلماء والباحثين في جميع الأصعدة؛ شريعة وفقهاً وتربية ولغة وغيرها، ودارت حوله الدراسات، وتعاقبت عليه التحليلات المختلفة وما جفَّ نبعه الصافي.

وكلما ظهرت نظريات حديثة في اللغة والخطاب نهرح لخطاب النبي - ﷺ - نجده سامقًا متعالياً وافي الأركان، مع خصوصيته الدينية. ولقد ضمَّ الخطاب النبويّ بين ثناياه إمكانيات حجاجية إقناعية تفاعلية، قامت بالغرض المقصود، والهدف السامي.

ولكون الخطاب النبوي خطاباً مفارقاً بطبيعته، اختلفت لغته وأسلوبه عن غيره، واختلف حجاجه تبعاً لذلك، ومرجع ذلك إلى خصوصية قائله وموقف المخاطبين منه، وتفاوتهم في الجنس والعمر وأنماط التفكير، فكان لذلك التعامل مع هذا التنوع والاختلاف دور فاعل في توجيه دقة الحجاج وجهة معينة، نشأت عنها آليات حجاجية معينة.

ولفئة الشباب في خطابه - ﷺ - اهتمام بالغ؛ فهم المفصل الأهم في المجتمع، وهم وقوده الذي يكسبه الطاقة الموجهة له، وبعقولهم المتوقدة يرتقي المجتمع وتبني حضارته، فكان لخطابه الكريم أثر حاسم في تلك العقول الفتية، فلغته ليست مجرد أداة تبليغ، بل وسيلة تأثير وتغيير، أحدثت تغييراتٍ في العقيدة والسلوك.

وتسعى هذه الدراسة لاستظهار الرؤية التداولية، من خلال الآليات الحجاجية في خطاب النبي -ﷺ- للشباب، في ضوء المنهج التداولي الذي يقتضي دراسة اللغة في أثناء الاستعمال، وحاولت استقصاء الأحاديث الصحيحة أو الحسنة من جهة الإسناد التي وردت فيها لفظة (شاب أو مشتقاتها)، في الصحيحين والسنن، ومن ثم لا يمكن أخذ الأحاديث من كتاب بعينه .

وتقوم الدراسة على ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد، يرصد أبرز المفاهيم التي تدور فيها، وهي:

- أولاً: مفهوم الخطاب.

- ثانياً: مفهوم الحجاج وحجاجية الخطاب النبوي.

المبحث الأول: الآليات التداولية.

المبحث الثاني: الآليات اللغوية.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية.

ولقد وجدتُ دراسات سابقة اهتم أصحابها فيها بالحجاج في خطاب النبي -ﷺ- ولكنها في تقدير البحث بعيدة عن مقصده، ومن تلك الدراسات دراسة حول خطاب النبي -ﷺ- للشباب، للباحث محمد أنس سرميني وهي: خصائص الخطاب النبوي للشباب -دراسة موضوعية تحليلية-، مقالة منشورة بمجلة الشهاب، ٢٠٢٠م، -وكما هو واضح- فهي موضوعية تحليلية، وهذه الدراسة تناولت آليات الحجاج ومقاربتها تداولياً.

وهناك دراسات تلتقي مع عنوان الدراسة ومنها رسالة ماجستير في تخصص اللغويّات ولسانيات اللغة العربية بجامعة الحاج لخضر بباتنة بالجزائر للباحث هشام فرّوم وعنوانها "تجليات الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع: الأربعون النووية أمودجاً" وقد تناولت هذه الدراسة في جانبها النظريّ مفاهيم النصّ والخطاب والحجاج وعلاقة كل منها بالتداولية والإقناع، وفي جانبها التطبيقيّ تناولت دور الأفعال اللغوية في التأثير والإقناع، كما تناولت وسائل الإثارة والتأثير اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة.

وهناك دراسة أخرى للباحثة حسنية لبحري بعنوان "الآليات الحجاجية في الحديث النبوي الشريف-أحاديث مختارة من صحيح البخاري"، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها - جامعة محمد بوقرة بو مدراس - الجزائر، ٢٠١٥، وتناولت الدراسة في الجانب النظريّ مفهوم الحجاج وآلياته، وضوابط النص الحجاجي وخصائصه، وفي الجانب التطبيقيّ استخرجت الآليات الحجاجية في مجموعة أحاديث مختارة من صحيح البخاري.

وهناك دراسة أخرى للباحث أمال المغامسي دراسة الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية، وقد نشرت الدراسة في كتاب من الدار المتوسطة للنشر-تونس- ٢٠١٦، وقد رصدت الدراسة في الجانب النظريّ مفهوم الحجاج وعلاقته بالجدل والبرهان والمناظرة والإقناع، وعلاقته بالبلاغة والتداولية، ثم توقفت على الحجاج في الدرس البلاغي القديم سواء عند اليونان أو العرب، ثم في الدرس البلاغي الحديث، كما تناولت مستويات الحجاج اللغوي في الحديث النبوي، وفي الجانب التطبيقيّ تناولت الدراسة الحجاج اللغوي على مستوى

الكلمة المفردة، ومستوى الجملة، كما تناولت أدوات الحجاج في الحديث النبوي.

ودراسة أخرى للباحث أرفيس بلخير بعنوان "الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف" وهو بحث منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، في المجلد ٣٤ والعدد ١، سنة ٢٠٢٠، وجاءت في مبحثين؛ الأول نظريّ تناولت مفهومي الدراسة الحجاج، الإقناع، والمبحث الثاني تطبيقيّ تناولت الإقناعية في الحديث النبوي الشريف من جهة الغاية والتي حددتها في أمرين هما؛ الأول قضوي وهو الدعوة إلى الله، والثاني إجرائي وهو اتباع الحكمة والوعظة الحسنة، ثم توقفت على آليات الإقناع في مجموعة مختارة من الحديث الشريف وانقسمت إلى: الآليات اللغويّة، والآليات البلاغية.

وهذه الدراسات التقت مع دراستنا في مجال البحث وهو خطاب النبي - ﷺ - وفي الجانب النظري اهتمامها بمفهوم الحجاج، واختلفت عنها في تحديد مدونة الدراسة التي حددت خطاب النبي الموجه لفئة الشباب فقط، وأيضاً اختلفت معها في خطة الدراسة والمنهج وطريقة التحليل والعرض، وهذا لا يعني أن الدراسة لم تفد من هذه الدراسات المباركة، بل استضاءت بها.

التمهيد

أولاً: مفهوم الخطاب

جاء في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان^(١)، وعرفه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بقوله: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"^(٢)، "والخطاب: هو الكلام بين اثنين"^(٣).

أما الآمدي (ت ٦٣١هـ) فعرفه بأنه: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"^(٤).

عرف جابر عصفور (ت ١٤٤٢هـ) مفهوم الخطاب فقال: "هو العملية الاجتماعية لصنع المعنى وإعادة إنتاجه، وهو أقرب إلى الكلام بالمعنى الموجود عند دي سوسير (De Saussure)؛ أي: اللغة من حيث هي مستخدمة فعلياً بواسطة متحدثين بعيداً عن دلالة اللغة من حيث هي نسق جامد من العلاقات، أو من حيث هي بنية ساكنة مغلقة في فضاء محايد"^(٥)، أما طه

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (خطب).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري: (ص ١٦٧).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (خطب).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، (١/٩٠).

(٥) آفاق العصر، (ص ٦٣-٨٥).

عبدالرحمن فقال: "كل منطوق به موجّه إلى الغير؛ بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا"^(١).

إذن الخطاب هو عبارة عن منطوق موجّه، يقوم بين مخاطب ومخاطب، ومن ثم "تكون عملية التخاطب دخولًا في علاقة بين مخاطب مؤلف لخطابه، تأسيسًا على افتراضاته وتوقعاته ومراميه، ومخاطب مستمع للخطاب وفي ذهنه من الافتراضات والتوقعات والقراءات، مما يجعل عمليتي الفهم والإفهام تتأثر بتلك المعطيات"^(٢).

يتبيّن مما سبق أن عملية التخاطب قائمة على أربعة عناصر، وهي:

١. المخاطب (المتكلم): وهو منشىء الخطاب.
 ٢. المخاطب (المتلقّي): الموجّه إليه الخطاب.
 ٣. السياق، ويُسمّى أيضًا الحال أو المقام، ويتضمن: (البيئة الاجتماعية، والظروف التي تحيط بالمتكلم والمتلقّي أثناء عملية التخاطب).
 ٤. الخطاب: وهو النص الذي أنشأه المتكلم.
- وارتبط الخطاب بالدراسات اللسانية لظروف إنتاج النص، فهو "إنتاج ل عبارات لغوية، يكون في مجموعة وحدة تواصلية، ونقصد بالوحدة التواصلية: أن يكون للعبارات اللغوية المنتجة في مقام معين غرض تواصلية معين"^(٣).

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، (ص ٢١٥).

(٢) الإقناع في الخطاب التربوي (مقاربة تواصلية حجاجية)، محمد البو زيدي، (ص ٧).

(٣) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، (ص ٧٩).

فاللغة في أثناء التخاطب تكون في حالة استعمال، وتأخذ صفة الخطابية، والخطاب الملفوظ يُعدُّ أصلاً لخطابٍ مكتوبٍ، ومن ثم يتحقّق في الخطاب الملفوظ صفة التفاعل والتواصل، فيحدث الإقناع لدى المتلقين، وعلى هذا، فالخطاب لا يقوم على معيار الكم اللفظي فحسب؛ أي: لا يظهر في "الوحدات الصغرى، وإنما في الأبنية الكلية النصية"^(١).

ثانياً: مفهوم الحجاج

جاء في لسان العرب: اِحْتَجَّ بالشيء: اتخذهُ حُجَّةً، والحُجَّة: هي الدليل والبرهان، أو ما دُوْفِعَ به الخصم، وجمعها حُجَجٌ وحِجَاجٌ، حَاجَّةٌ مُحَاجَّةٌ وحِجَاجَةٌ، ورجلٌ مُحِجَّاجٌ؛ أي: جَدِلُّ، والتَّحَاجُّ: التخاصم^(٢)، أما ابن فارس (ت ٣٢٩هـ) فقال: "الحاء والجيم أصلٌ يدلُّ على القصد، ومنه المحجَّة، وهي جادة الطريق، ويقال: حاججت فلاناً، فحججته؛ أي: غلبته بالحج، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجٌ، والمصدر الحِجَاجُ"^(٣).

فلفظ الحجاج يتضمن دلالة ومعنى مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي، فنجد معاني التخاصم والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة بمعانيها الفكرية والتواصلية^(٤).

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، (ص ٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة: (حجج)، (٢٧/٢)، (٢٨).

(٣) مقاييس اللغة، مادة: (حج)، (ص ٢٣٢).

(٤) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، الحبيب أعراب، (ص ٩٩).

ويُعرّف عبد الجليل العشاوي الحجاج بأنه: "عمل يتحقّق بفضل مجهود ذهني، يروم تحقيق غاية قابلة للقياس، تتمثّل في حمل المتلقّي على الإذعان لما يُطرح عليه"^(١).

وقد تنوّعت النظريات واختلفت حول مفهوم الحجاج في هذا العصر، مما جعله مفهوماً قلقاً، يصعب الإحاطة به، ودخل في كثير من العلوم، منها: الفلسفة، واللغة، والبلاغة، والإعلام، والقانون، والمنطق، والسياسة؛ لذلك كثرت مصطلحاته ومدلولاته حسب توجّهات أصحابها.

فالحجاج أسلوب يعتمد على الحوار المباشر وغير المباشر، ويقوم مستخدماً وسائل الإقناع المختلفة، ومنشئه لديه حجة وبرهان، ومتلقٍّ معترض أو منكر قضية، وهذا الأسلوب يعتمد على الحجج والبراهين، وله آليات وتقنيات، يستخدمها المتكلم لإقناع المتلقّي.

فالحجاج اليوم يُعدُّ من أهم النظريات التي تهتم بالتداولية؛ ولهذا يضع الطريقة والأسلوب اللذين يستخدمهما المتكلم مدار دراسته، فالمتكلم يسعى إل تغيير معتقدات المتلقّي وإقناعه بالرسالة التي يريد إيصالها له، من خلال تقديم حجج مدعّمة لرسالته بمستويات مختلفة، وبالاعتماد على آليات حجاجية تداولية وبلاغية ولغوية وغيرها.

الحجاج في الخطاب النبوي

للخطاب النبوي خصوصية وتميز وتفرد، فهو النموذج اللغوي الأوضح على مستوى البيان البشري، تكاملت أدواته الخطابية وآلياته الحجاجية، وتوافرت في

(١) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، ص ٩.

أحاديث النبي الكريم - ﷺ - كل الأبعاد التداولية الحجاجية، والخطاب النبوي لا يبنى على حجج منطقية عقلية خالصة وفق المفاهيم التي سادت في نظريات الحجاج الغربية وتطوراتها الحديثة، فهو خطاب له خصوصيته التشريعية التربوية والتعليمية، فالإقناع والتأثير يأتيان لتحقيق غاية إبلاغيه تبليغية، "تهدف إلى تمكين مقتضى الحال في نفس المتلقي الشاهد والغائب كتمكنها في نفس المتكلم"^(١)، كما يعمل "على ترسيخ مبادئ العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم، وبناء مجتمع جديد، يحمل قيمًا عقائدية وفكرية وثقافية جديدة، يتمم النبي - ﷺ - بمقتضاها مكارم الأخلاق"^(٢).

كما أن للخطاب النبوي الكريم خصوصية سياقية تداولية، لا يمكن أن ندرسه بمعزل عنها، وله خصائص أسلوبية، سواء في مستوى المعجم أم في مستوى التركيب أم في مستوى الصورة وغيرها من الخصائص الأخرى، وهي جميعها لها طاقة حجاجية تميزها، ويحتاج في دراستها إلى التبصر والتأني؛ لأن الحجاج في الخطاب النبوي له ميسم خاص به، وإن اشترك في خصائصه الأسلوبية مع خطابات عربية أخرى، لكن يبقى لرسول الله - ﷺ - طريقته الخاصة في استخدام الكلام، فهو خطاب إصلاح للمؤمنين بتقويم أخلاقهم وإرشادهم إلى طريق الهداية وتزكيتهم، يهدف إلى تغيير الواقع وغرس العقيدة الإسلامية فيهم، وذلك بما يشمله من آليات الحجاج المختلفة.

(١) مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، (ص ٢١٥).

(٢) الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، آمال المغامسي، (ص ٣٢).

ومن أبرز الصفات الحجاجية لخطاب الرسول - ﷺ - اختلاف مقاصده الشرعية وأغراضه واختلاف مستويات التلقي، فهو خطاب عبر الزمن موجه للبشر كافة وللمسلمين خاصة، يخاطب متلقين حاضرين له ومتلقين غائبين، فلا حدود له، فمن الناحية الوظيفية هو خطاب موجّه للتأثير في آراء المتلقين وعقولهم وسلوكهم، وهذه العقول تختلف باختلاف أنماط التفكير كما تتباين في أعمارهم وأجناسهم، ولقد عُرف الرسول - ﷺ - بمراعاة أحوال المخاطبين، فكان ينزلهم منازلهم اللائقة بهم، ويخاطبهم بما يتناسب معهم، فقد عُرف عنه أنه حريص على معرفة من يلتقي به، سواء كان وافداً أم مستفتياً، ومن ذلك ما ورد في حديث وفد عبد القيس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي - ﷺ - قال: «مَنْ الْوَفْدُ - أَوْ قَالَ: الْقَوْمُ؟ - قَالُوا: رِبِيعَةٌ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ - أَوْ قَالَ: الْقَوْمُ - غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا نَدَامَى»^(١)، فلم يكن خطابه للرجال دون غيرهم، بل خاطب النساء وخاطب الشباب وخاطب الأطفال، وفي خطابه - ﷺ - ما يدل على رعايته وحرصه على جنسهم وعمرهم.

فالجانب الحجاجي في الخطاب يتأثر بمقدار معرفة المتكلم بذهنية المتلقي وحالته النفسية والسياق الاجتماعي والثقافي، فأدواته وآلياته اللغوية والبلاغية والتداولية والمنطقية، جميعها يُحددها بناء على ذلك.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم (٢٠٢٠)، (٤٦٤/٣).

وخطاب الرسول - ﷺ - للشباب له آليات، يختارها بدقة وعناية، بما يتناسب مع هذه الفئة والمرحلة العمرية الحساسة والمهمة في الوقت نفسه.

المبحث الأول: الآليات التداولية

قبل أن أتوقف مع الآليات التداولية، أبين أن اللسانين اعتادوا "النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوقّر على خاصيات بنائية، تجعله مختلفاً عن غيره من الخطابات السردية، الحكائية، الإخبارية"^(١)، لذلك تعدّ دراسة الخطاب الحجاجي من شؤون التداولية، ومرجع ذلك خضوع الحجاج في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقّي، ومن ثم تظهر فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية^(٢).

وفي هذا المبحث أكشف عن أهم الآليات الحجاجية التداولية، وهي: الروابط الحجاجية، السلام الحجاجية، الأفعال الكلامية.

أولاً: الروابط الحجاجية

تعدّ هذه الآلية من أبرز الآليات الحجاجية التي يستند عليها التحليل الحجاجي التداولي للخطاب، فأبي خطاب لغوي لا يمكن أن يخلو من الروابط الحجاجية، فالربط علاقة تقوم بين جملتين متتاليتين في السياق اللغوي، بإحدى وسائل الربط، فالخطاب بناء قائم على الانسجام والترابط بين أقسامه.

(١) الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه (دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي)، هاجر مدقن، (ص ٤٩).

(٢) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، الحبيب أعراب، (ص ١٠١).

والروابط الحجاجية: هي "جملة من الأدوات توفّرهما اللغة، ويستغلها الباحث؛ ليربط مفاصل الكلام ويصل بين أجزائه، فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية؛ لتضطلع الحجة المعتمدة بدورها كاملاً لانقص فيه..."^(١)، واللغة العربية تضم عددًا كبيرًا من الروابط، ومن أبرز الروابط في خطاب النبي - ﷺ - ما ورد في حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: «أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَحِيمًا رَقِيفًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَا، فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^(٢).

١. الواو: تقوم الواو بالربط بين الألفاظ التي تحمل طاقة حجاجية، فتعمل على تقويتها في سُلمية؛ للوصول إلى النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي يرسم الحجج المتساندة ويرتّبها ويربط بينها، وتعدُّ الأداة المختصة بمبحث الوصل في علم المعاني دون غيرها من أدوات العطف، فاختصت الواو بالمزيد من النظر والبحث في أسرار الوصل بها، فالمبرّد (ت ٢٨٦هـ) في المقتضب يرى أن من معاني الواو: "إشراك الثاني فيما دخل فيه

(١) الحجاج في الشعر العربي بينه وأساليبه، سامية الدريدي، (ص ٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالأمامة، حديث رقم (٦٧٤)، (١/٤٦٥).

الأول^(١)، فهي تقنية تربط نسقياً الحجج وتكتفها على المتلقي، ومن ثم العمل على إقناعه، وبالنظر إلى الخطاب السابق نلاحظ كيف قدمت (الواو) على ربط الحجج وربتها في قوله: "ارجعوا... وعلموهم، ومروهم، وصلّوا.. وليؤمّكم..."، واحدة بعد الأخرى، فبدت متسلسلة مترابطة، تفضي إلى نتيجة واحدة، وهي الأخذ بوصية الرسول - ﷺ - أن يعلموا أهلهم ومن وراءهم ما تعلموا، وأن يُقدّم الأكثر خبرة والأكفأ، فالواو - والتي تفيد عطف مطلق الجمع - لا تكتفي بهذه الوظيفة، بل تتعدى إلى وظيفة الربط الحجاجي التي تستثمر دلالتها في ترتيب هذه الحجج ونسجها في خطاب متكامل مترابط.

وفي الحديث مراعاة للجوانب النفسية، والدفء العاطفي حيث التواصل مع الأهل؛ وما يبعثه على السرور، فضلا عن الفضل الذي يقدمونه لأهلهم الذين هم أولى من غيرهم.

٢. الفاء: من الروابط الحجاجية التي تعمل على ربط النتيجة والحجة للتعليل والتفسير، فهذا الرابط يقوم بمهمة التعليل والاستنتاج في الخطاب، والفاء تفيد الترتيب "بلا مهلة"، وهذا لا ينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل، إذا كان أول أجزائه متعقباً لما تقدم^(٢)، فالفاء تختص بعملها دون غيرها حسب ما يقتضيه السياق وتوجهه الدواعي، فلو وضع لفظ آخر بمكانه لاختل المعنى، ففي قول الرسول - ﷺ -: «ارجعوا إلى

(١) المقتضب في اللغة، (١٠ / ١).

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، محمد الخضير، (ص ٥٢).

أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ» نجد أن الرابط (الفاء) قام بعمل تقارب بين الأحداث، فلم يكتفِ بمهمة الوصل والترتيب، فالرسول -ﷺ- طلب منهم بعد رجوعهم لأهلهم أن يقيموا عندهم قبل كل شيء، وفي قوله: «فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ» دلَّت أيضًا على سرعة الأذان عند دخول وقت الصلاة دون مهلة فعمدت الفاء إلى التعقيب مباشرة.

٣. إلا: وهي أداة قصر، تأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها ونفيًا لما سواها، فالمتكلم يلجأ لهذه الأداة للاحتجاج لما يريد، "فالكلام المثبت بعد هذه الأداة يعدُّ من أقوى الحجج التي يذكرها المتكلم"^(١) وقد وردت في الحديث المروي عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ بَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَخَافُ دُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُؤْتِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(٢)، وفي هذا إثبات أن اجتماع الرجاء والخوف من الله في قلب مؤمن وسيلة للنجاة والأمان.

ثانيًا: السلام الحجاجية

تتدرج الحجج التي يقدمها المتكلم للوصول إلى نتيجة معينة من الحجج الأقوى إلى الأضعف، أو العكس، وتحكمها علاقة منظمة موجّهة، ويُسمّى

(١) التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، (١/٦٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (٤٢٦٢)، (٣٢٩/٥).

هذا النظام السلم الحجاجي، وله قوانين تحكمه وتضبطه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة^(١)، ولهذا السلم سمتان، هما: الأولى: الحجّة التي تأتي في درجة معينة من السلم تكون الحجج التي تعلوها حججا أقوى منها، والثانية: إذا كانت الحجّة التي أسفل السلم تؤدي إلى نتيجة معينة، فلا بد أن الحجج التي تسبقها تؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

وبالنظر إلى الحديث المروي عن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: «إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدُنِي بِالرِّثَا، فَأَقْبَلِ الْقَوْمَ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "اذْنُهُ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»^(٢).

تنظم الحجج السابقة في خطاب النبي الكريم -ﷺ- للشباب ضمن مجموعة واحدة، في صورة مقدمات تصعيدية، فالحجّة التي في أعلى السلم تعدُّ

(١) ينظر: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، (ص ٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، تنمة مسند الأنصار، حديث رقم (٢٢١٣٧)، (٤٥١/٣٦).

أقوى الحجج وما دونها أضعف، وهذه الحجج تدفع المتلقي إلى التأمل؛ للوصول إلى النتيجة، فرسول الأمة قدوتنا الحبيب لديه القوة الخفية في أثناء التوجيه، فاتبع أسلوب التدرُّج في إقناع الشاب للوصول إلى نتيجة، وهي أن يبغض الشاب هذه المعصية بقناعة تامة.

- أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟

- أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ ...

- أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ ...

- أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ...

- أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ...

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَقِثُ إِلَى شَيْءٍ".

لقد ضمنت الحجج نمو الخطاب واستمراريته، وكان الإقناع العقلي وسيلته الأساسية، فبلغ مراده من الإقناع إلى التأثير، وهذا هو ما كان يقصده الرسول - ﷺ - من الوصول إلى النتيجة (إقناع الشاب بسوء هذه المعصية حتى أبغضها)، حتى أقلع عنها طواعية وبهذا أدى الحجاج الوظيفة مع الاحتفاظ بالدلالة المرجوة، وقد أفضت الحجج المتتابعة إلى نتيجة فاعلة، وأدى الخطاب الحجاجي دوره في التحول الإيجابي، والتأثير المباشر.

وفي الحديث مراعاة لحال المتلقي، وإقناعه بما يتناسب مع فطرته، فضلا عن الحوار الهادئ والمثمر معا.

ومن الحجاج القائم على التدرج ما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنه . قال : أقبل رجلٌ إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله ، قال : " فهل من والديك أحد حي " قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : " فتبغي الأجر من الله " قال : نعم ، قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتتهما" (١)

في الحديث السابق قدم النتيجة على المقدمة ، حيث ذكر ابتغاء الأجر ، وحسبه الشاب أنه في الجهاد ، فوجهه - النبي صلى الله عليه وسلم - إلى الأولويات التي بها يحصل الأجر والغرض المقصود .

ثالثاً: الأفعال الكلامية

يقصد بالفعل الكلامي : "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه (أمر ، طلب ، تصريح ، وعد) ، غايته تغيير حال المخاطبين" (٢) ، وأول خاصية تُستمدُّ من هذا التعريف اعتبار الفعل الكلامي نشاطاً يسعى إلى تغيير الحال .

ويرى أوستن (Austen) أن الأفعال الكلامية هي في الواقع ثلاثة أفعال متزامنة: فعل لغوي، فعل إنجازي، فعل تأثيري، تهدف إلى تحقيق تغيير في الواقع (٣) .

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وهما أحق به، ٤ / ١٩٧٥ .

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانقونو دومنيك، ترجمة: محمد يحياتن، (ص٧) .

(٣) ينظر: اللغة والحجاج، (ص٧٧) .

ويعيز سيرل (Searle) بين نوعين من الأفعال الكلامية، وهي: الأفعال
التقريرية الوصفية (الخبر)، والأفعال الإنجازية (الإنشاء)^(١).

وقد دُرست نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن تقسيم الكلام
إلى الخبر والإنشاء، "واهتمَّ بذلك كثير من العلماء، نحاة، وبلاغيين، وأصوليين،
بل وفلاسفة، ومنطقيين"^(٢)؛ أي: أنها قاربت الأفعال الكلامية دون تكلف أو
تعسف، مبرزة دور اللغة العربية الإبلಾಗಿ ودورها الحجاجي التداولي.

الأفعال الإنجازية:

تبوّأت الأفعال الإنجازية في خطاب النبي - ﷺ - عامة مساحة واسعة،
يعود ذلك إلى مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي، فهي تأتي بعد القرآن
الكريم شارحة ومبينة له، وقد حرص النبي الكريم - ﷺ - على توجيه المسلمين
وصياغة عقولهم، لذلك نجد صورًا متعددة للأفعال الإنجازية، أما بالنسبة إلى
خطاب النبي - ﷺ - الموجّه للشباب فنجد ثلاث صور كانت الأبرز، وهي:
النداء، والأمر، والاستفهام.

النداء: تنبيه المنادى وطلب إصغائه وإقباله بواسطة حرف ينوب عن الفعل
(أنادي) أو (أدعو)، وفي خطاب النبي الكريم - ﷺ - نجد أن النداء ليس
المقصود به طلب الإقبال؛ "لأن الناس مقبلون أصلاً، ولكن المراد هو الإبقاء
على قناة التواصل بين الرسول - ﷺ - والمؤمنين سالكة، عبر التنبيه المستمر؛

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، (ص ٨٢).

(٢) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، عبد الجليل العشراوي، (ص ١٧١).

تحقيقًا للوظيفة الانتباهية"^(١)، ومن ذلك قول النبي - ﷺ -: «يا معشرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٢).

قال النووي في شرح الحديث: "من استطاع منكم على أسباب الجماع ومؤن النكاح المادية، من المهر والنفقة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعلية بالصوم؛ لقطع شهوته"^(٣)، ومفهوم الباءة مفهوم نسبي، فهي ليست مجرد القدرة على أسباب الزواج المادية والجسدية، بل تمتد إلى القدرة النفسية والاجتماعية والعلمية، فالزواج فيه مسؤولية تحتاج لشباب قادر من جميع النواحي^(٤).

ووجه النداء في هذا الحديث لمعشر الشباب دون غيرهم، فغرضه الرئيس هو الاختصاص؛ لقوة الداعي فيهم إلى الزواج، وهذا هو منهج النبي الكريم - ﷺ - في خطاب الناس، أنه يراعي حال المخاطب عند اختيار العبارة والأسلوب المناسب، وأسلوب النداء يحمل طاقة حجاجية تأثيرية.

الاستفهام: ويكون عن طريق أدوات معينة، ويعدُّ من أنجع الأفعال الكلامية؛ لما يقوم به من شد محاور الحوار، فأسئلة المتكلم لا تتطلّب الأجوبة

(١) ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي: مقارنة تداولية لخطبة حجة الوداع، حبيب بوزوادة، (٢٣٠/٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي - ﷺ -: من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، حديث رقم (٥٠٦٤)، (٣/٧).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، (١٧٣/٩).

(٤) ينظر: خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، (ص٢٠٦).

المباشرة بل تتعدى ذلك إلى تحرير آليات التشكيل البلاغي؛ لخلق دلالات جديدة مفتوحة على التصور والتأويل؛ فقد يكون الاستفهام ذاته الحجة^(١)، لذلك كسب أهمية في الخطاب الحجاجي، وقد جاء الاستفهام في حديث النبي -ﷺ- عندما جاءه الشاب الذي يستأذنه في معصية الزنا، فأجلسه الرسول -ﷺ- قربه، وأخذ يلقي عليه الأسئلة، قائلاً: "أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ"^(٢). لقد جاء الاستفهام في الحديث ردًّا على استفهام من المخاطب، وتعدُّ هذه الظاهرة من أبرز الظواهر الملفتة في خطاب النبي الكريم -ﷺ- عامة؛ لجعل المخاطب يتوصّل للإجابة بنفسه ويقتنع بها وتستقرّ بنفسه، وما كان السائل عن هذا الأمر العظيم يتبيّن الإجابة ويستنتج الحكم بهذه القناعة التامة لو جاء جواب النبي الكريم -ﷺ- مباشرة؛ فقد عمد النبي

(١) ينظر: الآليات الحجاجية في مقامات بدیع الزمان الهمداني مقارنة تداولية، فتحية غزال، محمد

قراش، (ص ٢٤٥)

(٢) سبق تخريجه.

- ﷺ - إلى الاستفهام؛ لإقناع الشاب بقبح هذا العمل وشناعته، وكان الاستفهام أسرع الطرق وأكثرها اختصاراً، لذلك عُدَّ الاستفهام من أنجع الأفعال الإنجازية التوجيهية، فالمخاطب يدرك أن أسئلة الرسول الكريم - ﷺ - ليست استفهاماً عن مجهول، والرسول - ﷺ - لا يجهل شيئاً من هذه المعارف، لذلك "فهي حجج باعتبار قصد المرسل، لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط" (١).
ونجد أثر التداولية في التغيير الإيجابي بعد الحوار حيث امتثل الشاب وأصبح مستسلماً مترفعاً عن فعل السوء

ومن ذلك أيضاً سؤال النبي الكريم - ﷺ - للشاب الذي دخل عليه وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَخَافُ دُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَّنَّهُ مِمَّا يَخَافُ» (٢).

تضمَّن هذا الحديث استفهاماً من الرسول الكريم - ﷺ - للشاب الذي يحتضر في قوله: "كيف تجدك؟" فقد دخلت أداة الاستفهام (كيف) على الفعل؛ لإفادة معنى بلاغي، فلم يكن مراد الرسول - ﷺ - طلب العلم، بدلالة السياق الذي ورد فيه هذا الاستفهام والحالة النفسية للمخاطب، فأسلوب الاستفهام - والله أعلم - جاء هنا رافة وتلطُّفاً وإيناساً بهذا الشاب الذي يحتضر، وتسكيناً لنفسه في مقام هو بحاجة إلى مواساة، ومع ذلك لم يخلُ الحديث الشريف من رسالة نبوية توجيهية من أن يجعل هذا الموقف والمقام فيه منفعة

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، (ص ٤٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

ورسالة للمسلم، فما اجتمع الرجاء والخوف من الله في قلب عبد إلا أعطاه الله ما يرجو.

وحقق الاستفهام في الخطاب النبوي الفعل التأثيري، وهذا له قيمة كبيرة في تداولية الحديث في إطار التواصل؛ "لأن اللغة لا تؤدّي وظائفها إلا فيه"^(١)، لذلك يجب علينا التعرف على ظروف السياق الذي أنجز فيه الخطاب؛ لمعرفة تأثير هذه الظروف على الخطاب المنجز.

الأمر: هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء"، وقد وردت أفعال الأمر في خطاب النبي الكريم - ﷺ - بصيغ مختلفة، ففعل الأمر الإنجازي يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوكيات معينة وضرورة الالتزام بها، "ومن ثم فإن المتكلم يستخدمه للسيطرة على مجريات الأحداث، وفعل الأمر يدل على الوجوب، لكن ذلك لا يتحقق بمجرد التلقظ به؛ إذ لا بد من سلطة للمتكلم وإلا خرج فعل الأمر عن قصد التوجيه إلى معانٍ أخرى، يحددها سياق الكلام ومقاصد المتكلم، وفعل الأمر في خطاب النبي - ﷺ - يستمد طاقته الإقناعية من شخصية النبي الكريم - ﷺ - وليس من ذات الصيغة، فإن الإلزام والوجوب لا يتحقق في فعل الأمر إلا بوجود شرطين: الصيغة، والسلطة، ومن ثم فإن الوجوب في فعل الأمر ليس مسألة لغوية بل لغوية تداولية، فمكانة المتكلم هي التي تحدّد دلالة الأمر على الوجوب، ولقد اكتسبت صيغة الأمر في الخطاب النبوي وظائف فنية غنية الإيحاءات والدلالات التي أُنبي عنها السياق الواردة فيه، ومن ثم حَققت أغراضًا بلاغية متعددة.

(١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، (ص ٢٢).

وقد وردت صيغة الأمر في الخطاب النبوي لخدمة أغراض معينة، تحت صيغته دلالات خفية ومعانٍ مقصودة، ومن ذلك ما جاء في حديث الرسول -ﷺ-: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، قَالَ زَيْدُ: «فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ»^(١)، فدلالة الأمر في قوله -ﷺ-: "تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ" تضمنت النصح والإرشاد له عندما توسم فيه الذكاء والنباهة في هذا العمر، والرسول -ﷺ- يوقن أنه بكل قول وعمل توجيه للمسلمين، لذلك تضمن الأمر في خطابه توجيهًا لشباب الأمة وحثه.

وبهذا نرى أن إنجازية الأمر في الحديث حَقَّقَ فعلاً تأثيراً متعلقاً بالنتائج التي أحدثتها صيغة الأمر بالنسبة إلى المتلقي، خاصة بعد إيراد الحجج المقنعة: «فإني والله ما آمنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي».

ومن توظيف الأمر على سبيل الإباحة في الحجاج ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله امرأة أتجج عن أبيها؟ فأجاب "حجي عنه، رأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى"^(٢)

لقد بدت علامات الانفعال واضحة، والطواعية الظاهرة، والرغبة الصادقة في بر أبيها، عليها توفي ببعض حقه عليها بعد موته، ولم تجد سوى بركة الحج،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث رقم (٢١٦١٨)، (٤٩٠/٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، مسند الأنصار، ٦ / ٢٤٩.

والاستفادة من جزاء الفريضة، فقصدت أن تحج عنه، فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم^(١)

والفعل اللغوي في خطاب النبي الكريم - ﷺ - الذي يخرج إليه الأمر، يعتمد على حالة المتكلم ومكانته بالنسبة إلى المتلقي، وهذا من أهم أسس النظرية التداولية.

وهذه النماذج التي وقفنا عندها في خطاب النبي - ﷺ - للشباب وغيرها مما لم ينبئه قد أظهرت القوة الإنجازية للفعل الكلامي، والمنحى الدلالي والتداولي للخطاب النبوي، فالفعالية اللغوية لا تتوقف عند صياغة الجملة ومعرفة قيمة الحقيقة فيها، بل تتعداها إلى فعالية تلفظ الجملة^(٢)، ودور هذا التلفظ في التأثير والتغيير، وتحويل موضوع الجملة الفردي من موضع إلى آخر، "فإن تداولية الخطاب تتأسس على فكرة القصد المزدوج الذي يحمله الملفوظ بوصفه فعلاً ترميزاً"^(٣).

وبعد أن توقفنا عند الأفعال الكلامية التي وظفت في الخطاب النبوي للشباب، ووجدنا أنها خدمت الخطاب على مستوى الاستعمال اللغوي ومستوى حال المخاطب ومستوى القصد من الخطاب.

المبحث الثاني: الآليات اللغوية

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي، ١ / ٣٧٨.

(٢) ينظر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجة للخطاب الفلسفي، ناصر عمارة، (ص ٧٠).

(٣) المرجع السابق، (ص ٧١).

تحمل اللغة وظيفة حجاجية بطبيعتها وفي كل ظواهرها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وتعدُّ من أهم آليات الحجاج؛ لما تحمله من طرق الإقناع ووسائله، و"الحجاج يتم وفق مجموعة من التقنيات والأدوات اللغوية التي تساعد على توجيه المخاطب، من خلال استيعابه وفهمه للقول الحجاجي"^(١)، ومن تلك الأدوات التكرار والإحالة. (الإحالة: تركيبيّة / التكرار معجمي)

أولاً: التكرار

يعدُّ التكرار أبرز الآليات اللغوية الأساسية التي يلجأ إليها المتكلم؛ للتأثير في المتلقي، فهو يرفد الحجج والبراهين، ويعزز طاقة الخطاب الحجاجية للإقناع، ويزيد الحجة رسوخًا في الأذهان، حيث يضغط على المتلقي؛ ليدعن لما يريد. كما يقوم بسبك الكلام وربط الحجج بعضها ببعض، لذلك نجده أكثر الأساليب اللغوية دورانًا في الخطابات، يوضّح القضية ويبسطها من خلال تسليط الضوء عليها، فيجعل ذهن المتلقي مركّزًا عليها، يقول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) عنه: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا وتشديدًا من أمره"^(٢).

وقد أولى علماء اللغة التكرار عناية كبيرة، ففي نظرهم أن له دورًا فعالًا في بناء الخطاب إذا راعى المتكلم السياق، والتزم بشروط معينة، فاستطاع نقل السامع من التلقي إلى الاقتناع.

(١) التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، (١/٦٤٠).

(٢) المثل السائر، (٢/١٤٧).

وقد استخدم النبي -ﷺ- هذه الآلية اللغوية بكثرة في خطابه، فأنس - رضي الله عنه- يقول عنه: "أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً"^(١)، فالتكرار في خطابه -ﷺ- مقصود، حاملاً جزءاً من المعنى.

وقد جاء التكرار في خطاب النبي -ﷺ- بنوعيه الذي قسمه العلماء، وهما: تكرار باللفظ فقط، وتكرار باللفظ والمعنى، ومن ذلك ما جاء ضمن حوار ابن عمر مع النبي الكريم -ﷺ- عندما قال: «جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: إِيَّيَّيْ أَحْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعَ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى»^(٢).

يتجلى التكرار هنا من خلال تكرار الرسول -ﷺ- لكلمة (فاقرأه)، فرسول الله يأمر دائماً بالتوسط في العبادة والاعتدال عند تطبيقها، فهو -صلوات الله عليه- يستشعر خصائص هذه المرحلة العمرية -أي: مرحلة الشباب- من ثوران الطاقة والعاطفة الإيمانية، فجاء التكرار تنبيهاً ورفضاً لانقطاع الشباب عن واجباتهم العلمية والحياتية والانعزال عن واقعهم الأسري والاجتماعي، فلم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٢/١٠٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في كم يستحب يختم القرآن، حديث رقم (١٣٤٦)، (٢/٣٧٠).

يقبل المبالغة والغلو في العبادة، ورفض إقبال الشاب على عبادة دون الالتفات إلى العبادات الأخرى، وكان هذا المنهج حاضراً في سنته صلوات الله عليه. فعندما أخبره ابن عمر -رضي الله عنه- بأنه قرأ القرآن كاملاً في ليلة واحدة، طلب منه قراءته في شهر، وكان ابن عمر يرى أن يستغلّ مرحلة شبابه وفتوته لقراءة القرآن، ولكن الرسول -ﷺ- يرفض هذا السلوك في العبادة، وقد ظهر ذلك من خلال آلية التكرار، مستغلاً حملتها الحجاجية؛ لإقناع ابن عمر، وتوجيه الشاب المسلم الضمني من خلال تلقّيه هذا الحديث.

وفي حديث الشاب الذي مرَّ معنا آنفاً، الذي استأذن الرسول -ﷺ- في الزنا، كرّر الرسول -ﷺ- أسلوب الاستفهام (أفتحبه)؛ ليدعم طاقة الخطاب الحجاجي، ويقنع الشاب بحمة هذا الفعل، فلا تهاون فيه، والشباب مرحلة اشتعال الشهوة، والرسول -ﷺ- يدرك ذلك، فأراد أن يقنع الشاب من خلال التكرار، ويؤكد له ويرسخ في ذهنه عواقب هذه الشهوة على مجتمعه إذا لم تُكبح، فخطرها عظيم على المجتمع؛ فهي تدمر القيم التي أمر الله بتأسيس المجتمع عليها، فعمد عليه الصلاة والسلام إلى توجيه هذا الشاب إلى العقّة؛ ففي صلاح الشاب صلاح المجتمع كله، وهذا ما دلّت عليها جملة: "فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ".

ولا شك أن بنية التكرار هنا ضرورة استدعاها المقام، وألحّ في طلبها السياق، فارتبطت البنية التكرارية بدرجة كبيرة بالتأثير في المتلقّي وتوجيهه، لذلك يعدّ عتبة دلالية وتداولية، فهو يحمل قوة إنجازية، تستلزمها الجمل والعبارات، ويمثّل شحنة تأثيرية في المتلقّي كما لو أنه بنية حجاجية صريحة، فخطاب النبي -

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعدُّ نموذجًا ذهنيًا ذا فعالية تواصلية، فهو ليس خطابًا بسيطًا، ولا تواصلًا عاديًا، فهو يهدف إلى التأثير في المتلقي وتشكيل قيمه وتصوّراته في هذه المرحلة العمرية، وقد حضرت آلية التكرار مكرسة وفق منهجية تداولية حسب السياق والمقام.

ثانيًا: الإحالة

للإحالة أهمية ودور في تماسك الكلام، فهي تعدُّ من أكثر الآليات اللغوية ظهورًا وانتشارًا في الكلام، كما أنها من أهم مفاتيح المتلقي للولوج إلى بنية النص وفهم مقاصده، فالغاية الأولية من تداولنا للغة وإجراء خطاب ما تتمثل في تحقيق التفاهم، كما تظهر قيمة الإحالة في أنها تساعد على تحفيز المتلقي، وتثير انتباهه للعلاقة المعنوية، وإعمال ذهنه للربط بين السابق واللاحق.

والإحالة علاقة معنوية بين عنصرين لغويين، تؤدّي دورًا مهمًّا في نسيج خيوط الربط بين كلمات النصّ وجمله وفقراته، وتعين على فهم السياق اللغوي، ولها في اللغة العربية أدوات محددة، كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وتكمن حجاجيتها في "أن العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"^(١).

وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية أو سياقية وإحالة نصية أو خارجية، والنصية تنقسم إلى قبلية وبعديّة، وهي بنوعها تعدُّ وسيلة لغوية للحجاج، تجعل المتلقي يبحث عن الشيء المحال له، وأدوات الإحالة، وحتى يتوصّل إلى معناها يجب أن ينتبه إلى ما تسند إليه، فالضمائر -مثلًا- تكون إحالتها داخلية؛ أي:

(١) لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، (ص ١٦، ١٧).

داخل النص، ويكمن دورها في تحقيق التماسك كضمائر الغيبة والملكية، ومنها ما تكون إحالتها خارجية؛ أي: خارج النص كضمائر المتكلم والمخاطب.

وفي خطاب النبي - ﷺ - تأتي إحالة الضمير حسب أهمية العنصر في وحدة دلالية واحدة، فغالبًا يأتي في بدايتها كعنصر مركزي تعود إليه الضمائر المختلفة، ومن ذلك ما مر معنا آنفًا في الحديث المروي عن ابن الحويرث عندما قال: أْتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَحْبَرَنَا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فليُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ»^(١)، فهنا لفظ (الشَّبَبَةُ) يعدُّ عنصرًا مركزيًا في هذا الحديث، تعود إليه الضمائر التالية

الضمير القبلي: أتيد (نا)، ونحن والضمائر البعدية:

متقاربون (نحن) ، أقم (نا)، (أنا)، اشتق (نا)، أهل (نا)، فسأل (نا)، ترك (نا)، فأخبر (نا) هـ، ارجع (وا)، أهلي (ك) م، فأقيم (وا)، صل (وا)، ل (كم)، أحد (كم)، أكبر (كم).

فالضمائر تنوعت ما بين متصلة ومنفصلة ومستترة، وبين ما هو ضمير متكلم وضمير مخاطب، فأغنت عن ذكر لفظ (شَبَبَةُ) في (٢٠) موضعًا، وهي تتطابق جنسًا وعددًا مع ما تحيل عليه، ومن ثم جعلت هذه الجمل والفقرات متتابعة مترابطة ومتماسكة، وكما لاحظنا أن الإحالة داخلية سياقية.

(١) سبق تخريجه.

وفي الحديث الذي مرّ معنا قوله - ﷺ -: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(١)، نجد أن الضمير في (أعطاه) و(أمنه) يحيل إحالة داخلية قبلية تعود إلى عبد، ومن ثم قامت الإحالة بالربط الشكلي والدلالي بين الجملتين في الحديث، وبث التفاعل بين المتكلم والمتلقي.

غلبت الإحالة بالضمير على خطاب النبي - ﷺ - للشباب كما في النموذجين السابقين، وتنوّعت ما بين إحالة داخلية وخارجية؛ فكثر الإحالة الداخلية؛ لمقدرتها على الربط بين الأحداث والأقوال، لذلك اتخذها الرسول الكريم - ﷺ - وسيلة تساعد على سبك الكلام وترابطه، أما الإحالة الخارجية على قلتها فقد أضفت على الخطاب التفاعل والمتعة، وربطت بين النص والسياق الخارجي له.

والإحالة تساعد على استمرار الخطاب ومن ثم تضمن عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، فلها علاقة وطيدة بقصدية الخطاب فلا يتم بناء التركيب إلا عليها، وبذلك تتحقق الدلالة، مما يعني حجية توصيل غرض المتكلم من الخطاب ومن ثم تحقيق العملية التواصلية.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية

تتمثل هذه الآليات في مجموعة من الأساليب البلاغية التي تحقّق للخطاب القدرة على تحريك وجدان المتلقي، وقيادته إلى الرأي السديد، وتوجيه سلوكياته،

(١) سبق تخريجه.

والوصول إلى المعنى المراد، فالإقناع مرتبط بجمالية الخطاب ولفظه الرشيق وحسن معناه، ومدى التعالق الحاصل بين الجمال والإمتاع.

والخطاب النبوي الكريم بلغ مبلغاً في البيان البشري، فاستطاع الوصول إلى عقل متلقيه والنفوذ إلى قلبه، وتحقيق أهدافه الحجاجية دون مواجهات ولا مجابهات، فكان لهذه الآليات البلاغية دورٌ حجاجي كبيرٌ، وقد تنوّعت هذه الأساليب وتضافرت في الحديث الواحد، وتوقف عند أبرز ما ورد في خطاب النبي الكريم - ﷺ - للشباب من آيات بلاغية.

أولاً: الإيجاز

لأسلوب الإيجاز بقسميه المعروفين: إيجاز القصر وإيجاز الحذف^(١) دور حجاجي بارز، يقوم به من خلال اتصاله بالبلاغة، فالخطاب الموجز أكثر بلاغة وأكثر وقعاً في النفس، وأشد تأثيراً في ذهن المتلقي، كما أن القدرة على الإيجاز لا تؤتى إلا من لديه وعي وإدراك بدلالة المفردات وأحوال المخاطبين، ففي الإيجاز توسّع في الدلالة الإيحائية، وهذا أدعى لتركيز انتباه المتلقي على الحدث المراد دون غيره.

وخطاب الرسول - ﷺ - هو في أعلى درجات البلاغة البشرية، وقد تحقّق له جميع خصائصها، ومن أهمها خاصية الإيجاز.

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْيَمَنِ، فَعُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبَعْنِي وَأَنَا شَابٌّ أَفْضِي بَيْنَهُمْ،

(١) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، (١١٤/٢).

وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَتَبَّتْ لِسَانَهُ». قَالَ: فَمَا شَكَّكَتُ بَعْدُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ»^(١).

فني الله لما رأى تهيّب علي-رضي الله عنه- من هذا التكليف الذي كلفه به وحساسية القضاء بين العباد، جاء خطابه -ﷺ- موجزًا مناسبًا لحال المخاطب، مقتصرًا على حركة من يده الكريمة ودعوة موجزة، فجمع -ﷺ- بين الفعل المؤنس والقول المؤنس، فضربته لصدر علي-رضي الله عنه- بعثت في نفسه التفاؤل والثقة بالنفس، والدعاء بث الطمأنينة والسكون فيه، فأكملت حركة اليد اللغة اللفظية، وأبانت عن المعنى، وأوصلت الفكرة وشرحت المقصود، وقوله: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَتَبَّتْ لِسَانَهُ» كفيل برفع ثقته بنفسه، والتأثير فيه، ومن ثم الإقدام وتحقيق المراد، كما ساعد الجناس "قلبه، لسانه" بتوازن لغوي وإيقاع داخلي، أكسب الدعاء وقعًا حسنًا على المتلقي.

هذا الحديث حمل رسالة تتضمن أن العمر ليس حائلًا للشباب ذوي الكفاءات، الذين لديهم مواهب وقدرة على تحمّل المسؤولية، فالنبي -ﷺ- كان يعلم أن عليًا -رضي الله عنه- قادر على هذه المهمة الحساسة، وواثق بقدرته على القضاء، فجاء خطابه محفّزًا.

يتضمّن هذا الحديث القصير رؤية عميقة ورسالة عظيمة للفرد والمجتمع، فالدور الحجاجي للإيجاز يكمن في بلاغته، ولا شك أن الكلام البليغ أكثر قوّة ومن ثم أكثر إقناعًا.

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب: الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، حديث رقم (٢٣١١)، (٤٠٩/٣).

فالإيجاز يُعدُّ من أهم خصائص الخطاب النبوي، فقد اهتمَّ النبي الكريم - ﷺ - ببيان الحقائق وترية الأجيال في جمل قصار، تحمل بين طياتها الكثير من المعاني الجديدة؛ لتتمكّن من عقولهم وقلوبهم، فالخطاب النبويّ كلما "زدته فكراً، زادك معنى" ^(١)، فالمتلقّي في كل زمان ومكان يشعر كأن الخطاب موجّه له.

ثانياً: التفصيل بعد الإجمال

وفيه مزيد من الإقناع والتأثير في المتلقي حيث يأتي المعنى المتلقي بعد إعمال العقل وذلك في البحث عن بيان المجمل، وبعد توفره والوقوف عليه بعث في النفس راحة وثبت المعنى، والمتكلم يلجأ لهذه الألية حسب السياق وطبيعة الموضوع الذي يتكلم فيه، وقد حضر هذا الأسلوب البلاغي في الخطاب النبوي في أبهى صوره محققاً دوره الإقناعي بجدارة، فلا نجد في الخطاب النبوي خيلاً وضع اعتباطاً يمكن نسله دون أن يتعرّض للخلل واضطراب البنية، بل نسج نسجاً مبدعاً بليغاً، لذلك استخدمت آلية التفصيل بعد الإجمال الحجاجية في موقعها؛ لتكريس المعنى وتمكينه في ذهن المتلقّي، فالخطاب النبوي يعتمد التفصيل والتوضيح في إيصال الرسالة كاملة مستوفاة، ومن ذلك قوله - ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةً دَاتٌ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا

(١) وحي القلم، الرفاعي، (٦/٣، ٧).

فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١). جاء الحديث في صورتين تركيبيتين؛ الأولى: أجملت المعنى «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، فتشوّقت النفس إلى ما سيأتي بعده، وتتطلع إلى معرفة ما تم إجماله، فمن هم السبعة الذين يحظون بهذه المنزلة؟ من هم الذين يتولّى الله -عزّ وجل- بنفسه أمرهم، يظلمهم في ظله في يوم لا يوجد ظل غير ظله؟ وفي ذلك شرف، وأي شرف؟! فتحقّزت النفس في كيفية الوصول لتلك المكانة، فيأتي التركيب الثاني موضّحاً مفسّراً، فيتمكّن المعنى في نفس المتلقّي، ويثبت في ذهنه، فإن المعنى "إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجّه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا ألقى كذلك تمكّن وكان شعورها به أتم"^(٢).

ففي الحديث حث على فعل الطاعات، حيث جاءت النتيجة المصدقة قبل المقدمة وفي هذا دعوة لاختيار الأعمال المناسبة لكل شخص حتى يفوز بالنتيجة الموعود بها.

وقد تكرّرت كلمة (رجل) عند توضيحه لهؤلاء السبعة: "رجل قلبه معلق في المساجد، رجلان تحابا في الله، رجل دعت امرأته...، رجل تصدّق...، رجل ذكر الله..."، إلا في قوله: "شاب نشأ في عبادة الله تعالى"؛ فقد أثر لفظ (شاب) دون رجل؛ لأن العبادة أشقى وأشد على النفس من المراحل الأخرى للمسلم؛ لكثرة الدواعي وغلبة الشهوات، وقوله: (نشأ) دلالة على أنه تربي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل

المساجد، حديث رقم (٦٦٠)، (١/١٣٣).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (ص ١١٣).

على العبادة حتى ألفها، وأصبح يتلذذ بها، فاستحق هذه المكانة، وكلمة (نشأ) تُبيّن أهمية دور الأسرة والأهل والمجتمع لوصول الشاب لهذه الصفة، وقد كرّست آلية التفصيل بعد الإجمال في الحديث الشريف؛ لإيصال المعنى تاماً متمكناً في ذهن السامع وشعوره، وبذلك قام بدوره الحجاجي في الخطاب.

ثالثاً: الاستعارة

وهي من أهم آليات الحجاج البلاغي؛ لدورها في إثراء الجانب الدلالي للتراكيب وُبُعدها الحجاجي، فللاستعارة قدرة فائقة في إقناع المتلقّي إلى مشاركة المتكلّم انفعالاته وإحساسه، والاستعارة هي نقل معنى معين إلى معنى آخر؛ لوجود مشابهة بينهما، ووجود قرينة دالّة على المعنى الجديد، فقوام الاستعارة من خلال السياق، حيث يوجّه المتلقّي إلى مقصد معين يرميه المتكلّم، وهذا هو الدور الحجاجي للاستعارة، وهو ما أكّده بيرلمان (perleman) بقوله: "يعتبر الشكل البلاغي برهانياً كلما استطاع أن يولد تغييراً في المنظور، وكان استخدامه طبيعياً بالنسبة للموقف الجديد الموحى به"^(١)، فالمتكلّم يعلم يقيناً أن ليس المقصود المعنى الحرفي للوحدة المعجمية، وكذلك المتلقّي الذي يبحث ذهنه عن السمات الدلالية المشتركة بين طرفي الاستعارة المستعار منه والمستعار له من خلال السياق والموقف الذي وردت فيه الاستعارة.

ومما يؤكّد أن الحجاج بالاستعارة أكثر إقناعاً وتأثيراً في المتلقّي اتفاق البلاغيين على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح،

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، (ص ١٧٧).

فالسكاكي (ت ٦٢٦هـ) يقول: "ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة، لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً"^(١).
 و"الاستعارة وجه بلاغي، تنتقل به دلالة اللفظ الحقيقية إلى دلالة أخرى لا تتناسب مع الأولى إلا عبر تشبيه مضمّر في الفكر"^(٢)، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى الاستعاري ليست من قبيل الصدفة أو الحكم الفردي للمتكلّم، وإنما هو نتيجة لتفكير منهجي مشترك بين المتكلّم والمتلقّي وحسب السياق الذي وردت فيه الآلية الاستعارية^(٣).

ومن صور الاستعارة في خطاب النبي - ﷺ - للشباب ما جاء في الحديث السابق المروي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»^(٤)، فالصوم يقمع شهوة الجماع ويضعفها، فترك الطعام والشراب يضعف النفس، ويسد مجاري الدم التي ينفذ منها الشيطان، فيفيد هنا المنع والشدة، وقد استعيرت كلمة الوجاء للصوم، وهي تعني رضّ الخصيتين للفحل من الأنعام ونحوها، وهي تبطل الشهوة الحيوانية عنده، ويقول بدر العيني في شرح كلمة وجاء: "وإطلاق الوجاء على الصيام من مجاز المشابهة"^(٥).

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، (ص ٢٩٥).

(٢) البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد أبو حميدة، (ص ٢٧٩).

(٣) اشتغال التداولية في المجاز والكناية، إبراهيم رمضان، (ص ٤٥، ٤٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (٦٨/٢٠).

والأمر "فليتزوج" مُقدّم على الأمر بالصوم "فعلية بالصوم"، فالأصل الزواج لمن استطاع تحمّل متطلباته ولديه القدرة، كما أن الأمر هنا هو جواب شرط، وقد اقترن بالفاء، وهذا فيه إرشاد إلى التعجّل بالزواج إشباعاً لرغبات الشباب، فالخطاب خصص به الشباب؛ "لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ"^(١)، ويبيّن العلة في ذلك قائلاً: "فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"، وهذا الأفضل، لذلك أوتي بصيغة التفضيل.

ولكن قد تحول دون زواج الشباب ظروف وأسباب مادية أو اجتماعية وغيرها الكثير، فيكون الصوم مانعاً قامعاً للشهوات، وقد عبّر بكلمة (وجاء)، وهي استعارة حجاجية؛ لأنها ارتبطت بمقصد المتكلم والسياق الخطابي والتواصلي، يقول طه عبد الرحمن: "حد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجّهات ظرفية وجدلية؛ لأن هدفه إقناعي، قائم على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"^(٢).

فالاستعارة في الحديث السابق رسمت مساراً استدلالياً يتجلى خلاله إلى المعاني الضمنية التي يسعى الخطاب إلى إقناع المتلقي بها، وتوجيهه وترغيبه في فحواها، وبذلك تكون الصورة الاستعارية في الخطاب النبوي آلية حجاجية تقوم بدورها الإقناعي ترغيباً كان أو ترهيباً .

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٠٨/٩).

(٢) في أصول الحوار وتجديد الكلام، (ص ٦٥).

فالوظيفة الحجاجية للاستعارة تقوم على بناء المدرك بالعقل لدى المخاطب على ما يعرف لديه بالحس، فالمدرك بالعقل أن النفس يحدث لها المنع والشدة على الرغبات بسبب الصيام، كما يحدث للأنعام من رض الخصتين، وما يحدثه من إبطال للشهوة الحيوانية.

وهنا تمثل بنية الاستعارة في حد ذاتها عاملاً حجاجياً فيها، إذ تجعل المتلقي يُعمل ذهنه وعقله لكشف قناع المعنى الذي تشير إليه، وبهذا يسمح السياق إلى نفاذ الدعوى إلى الأذهان والعقول والتسليم بها.

رابعاً: الكناية

من آليات الحجاج البلاغية الكناية، وهي آلية يلجأ إليها المتكلم؛ ليحقق غاية من الخطاب، والحجاج يعمل على البحث عن طرق إقناعية تجعل المتلقي يذعن لما يُلقى عليه أو يزيد من درجة الإذعان لديه، والكناية تحرض السامع للبحث وإعمال العقل؛ للتوصل إلى المعنى المكشوف عنه، فالكناية تتكئ على عمق النظر والتروي لدى المتلقي؛ للوصول إلى المعنى، والعبور من خلال عمليات ذهنية استدلالية دون إغفال السياق الذي ترد فيه الكناية، فهي "ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه في نظر المتلقي، وتعمل على توكيده في نفسه والاعتزاز به وتفخيمه"^(١).

وقد عرّف الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الكناية بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى

(١) آليات الحجاج القرآني (دراسة في نصوص الترغيب والترهيب)، عبد الجليل العشاوي، (ص ٣٠٧).

هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه" (١)، ومن ثم نجد أن القوة الحجاجية للكناية مستمدة من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الأسلوب الكنائي هو القسم الضمني (٢).

وقد وظفت الكناية في الخطاب النبوي الشريف كما وظفت الآليات البلاغية بكل أنواعها، فكانت الكناية حاضرة في خطاب النبي - ﷺ - للشباب، فهي مثقلة بالقوة الحجاجية التي تعمل على التأثير في عقل المخاطب وذهنه ومن ثم إقناعه، ومن ذلك قول النبي - ﷺ - المروي عن أبي يحيى - وقيل: أبي محمد - سهل بن أبي حنمة الأنصاري: «انطلقَ عبدُ اللهِ بنُ سهلٍ ومُحيصَةُ بنُ مسعودٍ إلى حَيَبَرٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحِيصَةُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ وَمُحِيصَةُ وَحُوَيْصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ -، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: كَبِيرٌ، كَبِيرٌ، وَهُوَ أَحَدُثُ الْقَوْمِ، فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: أَتَخْلِفُونَ وَتَسْتَحِفُّونَ قَاتِلَكُمْ؟» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ (٣).

جاءت الكناية في قوله: "كَبِيرٌ كَبِيرٌ" عن احترام الأكبر سنًا، فرغم صعوبة الموقف الذي وردت فيه الكناية، "يعلمهم النبي - ﷺ - الأدب الشرعي وأن

(١) دلائل الإعجاز، (١/٦٦).

(٢) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٢/٦٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجزية، باب: المواعدة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره، حديث رقم (٣١٧٣)، (٤/١٠١).

يتكلم الكبير"^(١)، "فأسلوب الخطاب النبوي للشباب الذي جاء في سياق الرتبة الاجتماعية، والمنزلة الفكرية، يضع الشباب في موضعهم الصحيح، فيرشدهم للتعلم واكتساب الخبرات والمهارات والمعارف، ولكن ينبههم إلى خطورة التصدُّر في المجتمع وأن تكون الشهرة بين الناس هدفاً لهم، ولهذا فإنه كان يكل إلى الشباب المناصب المناسبة لكفاءتهم، ولكن إذا تعارض ذلك مع الأكفاً والأقدر ولا مزية للشباب عند ذلك"^(٢)، ومن ذلك ما ورد في هذا الحديث، فقوله: "كَبْرٌ كَبْرٌ" دلَّت على مدى حرص الرسول - ﷺ - على ترسية معاني الاحترام والتقدير في بناء شخصية الشاب المسلم مهما كان الظرف والموقف الذي يحلُّ به، فجاءت الكناية مختزلة ومكثفة معنى احترام الكبير وتقديره وتقديمه في الكلام، وجمع الأسلوب بين الكناية والتكرار، حيث كرر فعل الأمر (كَبْرٌ)، مما زاد الكناية في زخمها التأثيري، وقام الإيقاع الداخلي لكلمة (كَبْرٌ) بحمل مهمة أداء المعنى، فلك أن تتخيَّل قوة الكلمة والشدة التي أحدثها تضعيف فاء الكلمة.

وقد أوكلت للكناية وظيفة حجاجية تكمن بإقناع الصحابي احترام من هم أكبر منه، ومن ثم إقناع كل مسلم يتلقَّى هذا الحديث الشريف بأهمية صفة الاحترام وتقدير الأكبر بالسن.

ففهم الكناية في هذا الخطاب يتطلَّب النظر إلى السياق الذي وردت فيه؛ حتى يتسنى للمتلقِّي عملية التأويل وفهم المعنى الكِنائِي.

(١) شرح رياض الصالحين، أحمد حطية، (٧/١٧).

(٢) خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، (ص ٢١٦).

كما يتطلّب فهم المعنى الكنائي متلقيًا غير عادي، وهذا ما يميّز الكناية في العملية التواصلية، فهي تتم مهما تنوّع مقام المتلقي؛ لأنه أمام صورة تختلف درجة التأويل فيها ما بين الظاهر الواضح والمعنى الكنائي المؤول أيضًا، فالمعنى الكنائي لا يفيد زيادة في المعنى وحسب بل يفيد تأكيد المعنى.

خامسًا: الطباق

يعدُّ فن الطباق كغيره من الآليات الحجاجية، يُراد به تحقيق غايات خطابية معينة، فهو من آليات الحجاج والإقناع، وليس زينة بديعية يُحسِّن به المتكلم خطابه ويجمّله، إنما يأتي بها لتوضيح الكلام وتبينه، فهو يحصر الكلام بين الحجة التي يبتغيها وبين ضدها وينحو بها منحى حجاجيًا، فتساعد على بناء النص ومنحه قوة وتماسكًا وتلاحمًا بين أجزائه، وتكمن بلاغة الطباق في كونه يأتي في جمل قصيرة موجزة، تستهدف قلب المعنى وتوصله بطرق أقصر وأوضح، فالطباق يجنّب المتلقي التشتت في التركيز، فيصل المعنى لقلبه وعقله ويؤثر فيه، فهو يقرب المعنى ويؤكّده.

ويُعرف الطباق بأنه يجمع بين متضادين؛ أي: معنيين متقابلين في الجملة^(١)، فهو يقوم على العلاقة الظاهرة أو الخفية بين معنيين متضادين في الملفوظ الواحد، مع وجود تناسب بينهما يُسوّغ الجمع بينهما لإفادة غرض ما^(٢).

ولا شك أن إبراز المفارقة من خلال المجاورة بين الضدين يعمّق الشعور بالمعنى، وهذا ما أدركه النبي الكريم - ﷺ -، ففي قوله - ﷺ -: «اغتنم حمسًا

(١) الإيضاح في البلاغة، القزويني، (٨/٦).

(٢) آليات الإقناع في الخطاب القرآني، هشام بلخير، (ص ١٤٥).

قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرْمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١)، فلو اكتفى -عليه الصلاة والسلام- بقول: فراغك، وصحتك، وغناك، وشبابك، وحياتك؛ لمرت هذه الألفاظ على المتلقي مروراً بسيطاً سريعاً، لا تخلف أثراً قوياً، ولا تثير المشاعر والحواس كما في الحديث الشريف، فعندما ذكر مع كل لفظة ضدها تنبه المتلقي إلى العاقبة في كل أمر، فالشباب كما باقي الأمور الأخرى التي وردت في الحديث ليست دائمة، والمسلم الفطن يستغل شبابه وقوته وفتوته قبل فوات الأوان، وقد ساعد الطباق على إيصال المعنى إلى أعماق نفس المتلقي واستثارته؛ لاغتنام ما يُطلب منه اغتنامه، فالطباق جاء عفويّاً أصيلاً لا تكلف فيه، فأصبحت الحجة في الحديث أقوى وأقدر على اقتحام عقل المتلقي وإحساسه ومشاعره ومن ثم إقناعه وتغييره، فتظهر القيمة الحجاجية والتي تحفز المتلقي وتدفعه إلى استغلال شبابه بالأعمال الصالحة، وبهذا تحصل قصيدة الرسالة في الحديث.

(١) المستدرک علی الصحیحین، کتاب: الرقاق، حدیث رقم (٧٨٤٦)، (٣٤١/٤).

الخاتمة

وبعد أن نعمت بهذه الصحبة المباركة لخطاب النبي الكريم - ﷺ -، سعيت جاهدة للوقوف مع هذا الخطاب الشريف الموجّه للشباب؛ للنظر في مقارنة الآليات الحجاجية تداولياً، وبيان ما تميّزت به كل آلية، وكيف حققت وظيفتها، فتوصّلت إلى عدة نتائج، وهي:

١. تكاملت للخطاب النبوي الكريم الأبعاد الحجاجية المتفرّدة عن غيرها؛ لما للخطاب النبوي من خصوصية دينية وتشريعية، فهو لا يبنى على حجج عقلية خالصة كما جاء في النظريات الغربية، فهي تأتي للإقناع والتأثير، ومن ثم تحقّق غاية إبلاغية تبليغية.
٢. كما أن للخطاب النبوي خصوصية سياقية تداولية، فلا يمكن أن ندرسه بمعزل عنها؛ لأن للحجاج في الخطاب النبوي ميسماً خاصاً، وإن اشترك مع غيره من الخطابات النبوية الأخرى.
٣. جاءت الآليات الحجاجية في خطاب النبي - ﷺ - للشباب متناسبة مع هذه المرحلة المهمّة والحساسة.
٤. ساعدت الروابط الحجاجية على انسجام الكلام وترابط مفاصله؛ للوصول إلى النتيجة المرجوة في خطاب النبي - ﷺ -، وقد برز حرف (الواو) كرابط له النصيب الأعلى؛ لدوره الفعال في ترابط الحجج، ثم جاء حرف (الفاء) الذي يربط الحجة بالنتيجة والتعليل، أما حرفا (إلا وإن) فكان حضورهما قليلاً لكنهما مهمّان وفعالان.

٥. انتظمت الحجج في خطاب النبي - ﷺ - للشباب في سلام حجاجية حتى يصل الشاب إلى النتيجة بنفسه ويحصل الاقتناع.
٦. تبوّأت الأفعال الكلامية الإنجازية في خطاب النبي الكريم - ﷺ - مساحة واسعة، أما بالنسبة لخطابه - ﷺ - الموجه للشباب فجاء في ثلاث صور، هي: النداء، الأمر، الاستفهام.
٧. ارتبطت آلية التكرار بدرجة كبيرة بالتأثير على المتلقي وتوجيهه، لذلك حرص النبي - ﷺ - على استثمارها في خطابه، ومن ذلك خطابه الموجه للشباب، فهو يحمل قوة إنجازية ذات بعد تداولي، فكرّست حسب السياق والمقام.
٨. للإحالة وظيفة حجاجية مُسلم بها، تتمثل في تماسك الكلام، فهي تعد أكثر الآليات انتشاراً، وقد جاءت في خطابه - ﷺ - حسب أهمية العنصر في الوحدة الدلالية الواحدة، وقد تنوّعت الضمائر ما بين متصلة ومنفصلة ومستترة، وقد كانت الإحالة الداخلية هي المتصدرة في خطابه - ﷺ - للشباب.
٩. يعدّ العلماء الإيجاز أعلى درجات البلاغة البشرية، وقد مثل خطاب النبي - ﷺ - الإيجاز في أفضل صورة، فقد قام بدوره الحجاجي؛ لأنه أكثر قوة وإقناعاً في سياقه.
١٠. ظهرت قيمة التفصيل بعد الإجمال وتقديم المقدمة على النتيجة فأدى دوره في التحفيز والتسابق في فعل الطاعات .

١١ . للاستعارة والكناية قيمة حجاجية كبيرة، ولهما دور جبار في خطاب النبي الكريم ﷺ، لكن حضورهما في خطاب النبي ﷺ - للشباب نادر.

١٢ . ظهرت قيمة الطباق الحجاجية ودوره في تحفيز المتلقي، لذلك نجده في معظم أحاديث النبي ﷺ - ومنها الموجه للشباب. وحرى بنا بعد رصد أبرز نتائج الدراسة، أن نؤكد أن البحث في حجاج الخطاب النبوي ما يزال أرضاً خصبة لمن ينبري له بالتأمل والدراسة والبحث؛ لأنه يعد بنتائج لها قيمة علمية تخدم الحديث النبوي هذا والله أعلم.

المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.
- اشتغال التداولية في المجاز والكناية، إبراهيم رمضان، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر، ٢٠٢٠ م.
- آفاق العصر، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٧ م.
- الإقناع في الخطاب التربوي؛ مقارنة تواصلية حجاجية، محمد البو زيدي، د. ط، د. ت.
- آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجًا، هشام بلخير، تحقيق: محمد بو عمارة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٢ م.
- آليات الحجج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عبد الجليل العشاوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٦ م.
- الآليات الحجاجية في مقامات بديع الزمان الهمذاني مقارنة تداولية، فتحية غزال، محمد قراش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، ٢٠٢٢ م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، ١٩٩٢ م.
- البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح أبو حميدة، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠٠٧ م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، ١٤٢٣ هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الرّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١م).

- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الحديث، ط١، ٢٠٠٦م.

- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.ت.

- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، مكة، ط٢، ١٩٩٩م.

- التقنيات الحجاجية في شعر معن بن أوس، جوزاء العنزي، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد الحادي عشر، الجزء الأول، ٢٠٢١.

- التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٠٤م.

- الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية - آمال المغامسي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٦.

- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد، د.ط، ٢٠١١م.

- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة منوبة-تونس، ٢٠٠١.

- الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، الحبيب أعراب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد الثلاثون، العدد الأول، ص ٩٩.

- الحجاج والخطاب، أبو بكر العزاوي، الأحمديّة للنشر والتوزيع، المغرب، د.ط، ٢٠١٠م.

٠م

- خصائص الخطاب النبوي للشباب (دراسة موضوعية تحليلية)، محمد أنس سرميني، مجلة الشهاب، ٢٠٢٠م، ص ٢٠٦.
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه - دراسة تطبيقية في كتاب المساكين ل"الرافعي"، هاجرمدقن، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة ورقاة، الجزائر، ٢٠٠٣م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢م.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
- الشباب في السنة النبوية، نافذ حماد ووليد غرباوي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ٣١ يناير/كانون الثاني ٢٠١١م.
- شرح رياض الصالحين، أحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٣١١هـ.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ط، ١٩٥٥م.
- ظاهرة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي: مقارنة تداولية لخطبة حجة الوداع، حبيب بوزواده، جذور، العدد: ٣٥.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، تحقيق: عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، كتب أبوابه وأحاديثه: محمد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجة للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩م.
- في أصول الحوار وتجديد الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠١م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٨م.
- لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، محمد خطايي، دار المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩١م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١م.
- مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، مانقونو دومنيك، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٧٩م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمزّرد، تحقيق: محمد عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

- مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، بلنسية للطبع والنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، محمد الخضيرى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- وحي القلم، مصطفى صادق الرفاعي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

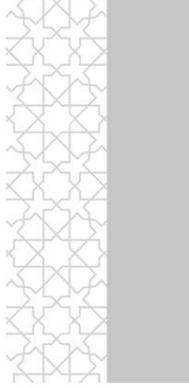
Sources and references:

- Al-Ihkam fi Usul al-Ahkam, Ali bin Muhammad Al-Amidi, commentary by: Abdul Razzaq Afifi, Al-Maktab Al-Islaami, Damascus, 2nd edition, 1402 AH.
- Asaas Al-Balaagha, Mahmoud bin Omar bin Muhammad bin Ahmed Al-Khwarizmi Al-Zamakhshari, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 1992.
- Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach (Arabic), Abd al-Hadi al-Shehri, Daar Al-Kutub Al-Jadeedah, Beirut, 1st Edition, 2004.
- Al-Ashbaah wa Al-Nazaair fi Al-Lugha, Jalal al-Din al-Suyuti, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st edition, 1985 AD.
- Activating Pragmatism in Al-Majaaz and Al-Kinaayah (Arabic), Ibrahim Ramadan, Yearbook of the Faculty of Arabic Language in Menufiya, Egypt, 2020.
- Aafaq Al-‘Asr, Jaber ‘Usfour, The Egyptian General Book Organization, N. P., 1997 AD.
- Persuasion in the Educational Discourse; An Argumentative Communicative Approach (Arabic), Muhammad Albu Zaidi, Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Mechanisms of Persuasion in the Quranic Discourse, Surat Al-Shu’ara as Case Study (Arabic), Hisham Belkhair, investigation: Muhammad Bou Amama, Université Colonel Hadj Lakhdar, Batna, 2012 AD.
- The Mechanisms of Quranic Argument, A Study in the Texts of Al-Encouragement and Warning (Arabic), Abdul-Jalil Al-Ashrawi, ‘Aalam Al-Kutub Al-Hadeeth, Irbid, 2016 AD.
- Argumentative Mechanisms in the Maqaamaat of Badi’ al-Zaman al-Hamdhani, A Pragmatic Approach (Arabic), Fathia Ghazal, Muhammad Qarash, Journal of Arabic Language Sciences and Literature, Vol. 14, No. 1, 2022 AD.
- Rhetoric of Discourse and Textual Science (Arabic), Salah Fadl, ‘Aalam Al-Ma’rifah, 1992 AD.
- Rhetoric and Stylistics According to Al-Sakaki (Arabic), Muhammad Salah Abu Hamida, Al-Azhar University, Gaza, 2007.
- Al-Bayaan wa Al-Tabyeen, Amr bin Bahr Al-Jahiz, Daar wa Maktabah Al-Hilal, Beirut, N.E., 1423 AH.
- Taaj Al-‘Arus min Jawaahir Al-Qaamuus, Muhammad Murtada Al-Husseini Al-Zubaidi, Investigation: A group of specialists, published by: Ministry of Guidance and News in Kuwait - National Council for Culture, Arts and Literature in the State of Kuwait, years of publication: (1385 - 1422 AH) = (1965 - 2001 AD).

- Argumentation: Its Nature, Fields, and Functions (Arabic), Hamo Al-Naqari, Publications of the Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Al-Najah Al-Hadith Press, 1st Edition, 2006 AD.
- Pragmatics among Arab Scholars (Arabic), Masoud Sahrawi, Dar Al-Talee'ah, Beirut, N. E, N. D.
- Tafseer Ibn Katheer = Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi, investigation: Sami Al-Salama, Dar Taibah for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1999,
- Argumentative Techniques in the Poetry of Maan Bin Aws (Arabic), Jawza Al-Anzi, Journal of the Islamic University of Arabic Language and Literature, 11th Issue, Part 1, 2021 AD, p. 640.
- Al-Talkhees fi Uloom al-Balaghah, Muhammad bin Abd al-Rahman al-Qazwini, Dar al-Fikr al-Arabi, 1st edition, 1904 AD.
- Argument in the Prophetic Hadith - A Pragmatic Study (Arabic) - Amal Al-Maghamisi, Al-Mutawasat Publishing House, N. E, N. D.
- Argument in Arabic Poetry, Its Structure and Methods (Arabic), Samia Al-Duraidi, 'Aalam Al-Kutub Al-Hadeeth, Jordan, N. E., 2011 AD.
- Argument in the Qur'an Through its Most Important Stylistic Characteristics (Arabic), Abdullah Sawla, Publications of the Faculty of Arts in Manouba, University of Manouba-Tunisia, 2001.
- Arguments and Argumentative Reasoning: Elements of a Theoretical Inquiry (Arabic), Al-Habib A'raab, National Council for Culture, Arts and Literature, World of Thought, Volume Thirty, Issue One, p. 99.
- Argument and Discourse (Arabic), Abu Bakr Al-Azzawi, Al-Ahmediyya for Publishing and Distribution, Morocco, N. E., 2010 AD.
- Characteristics of the Prophet's Discourse for Youth (An Objective-Analytical Study) (Arabic), Muhammad Anas Sarmini, Al-Shihab Magazine, 2020 AD, p. 206.
- The Argumentative Discourse, Its Types and Characteristics - An Applied Study in the Book Al-Masakeen by "Al-Rafa'i", Hajar Madqin, Master's thesis, Faculty of Arts and Arts, Warqa University, Algeria, 2003 AD.
- Dalaail Al-I'jaaz, Abdel-Qaher Al-Jurjani, investigation: Mahmoud Shaker, Al-Madani Press, Cairo, 3rd edition, 1992 AD.
- Sunan Ibn Majah, Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid Al-Qazwini, investigation by Muhammad Abdul-Baqi, Arab Book Revival House, N. E N. D.
- The Youths in the Prophetic Sunnah, Nafez Hammad and Walid Gharbawi, Journal of the Islamic University for Islamic Studies, Volume XIX, Issue 1, (January 31, 2011), pp. 1-33.

- Sharh Riyad Al-Salihin, Ahmed Hatiba, audio lessons that were uploaded by the Islamic Network website
- Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughira bin Bardzbeh Al-Bukhari Al-Jaafi, Investigation: A group of scholars, Al-Sultaniyya edition, Al-Kubra Al-Amiriya Press, Bulaq, Egypt, 1311 AH.
- Sahih Muslim, Abu Al-Hussein Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushairi Al-Nisaburi, investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Issa Al-Babi Al-Halabi Press and Partners, Cairo, N. E., 1955 AD.
- The Phenomenon of Vocal Verbs in the Prophetic Discourse: A Pragmatic Approach to the Farewell Pilgrimage Sermon (Arabic), Habib Bouzawada, Roots, Issue: 35, p. 230.
- Umdat al-Qari, Sharh Sahih al-Bukhari, Badr al-Din Abi Muhammad Mahmoud bin Ahmad al-Ayni, investigation: Abdullah Mahmoud Omar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 2001 AD.
- Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari, Ibn Hajar Al-Asqalani, Its chapters and hadiths written by: Muhammad Abdul-Baqi, Dar Al-Maarifa, Beirut, 1379 AH.
- Philosophy and Rhetoric: An Argumentative Approach to Philosophical Discourse (Arabic), Nasir 'Amaarah, Al-Ikhtif Publications, Algeria, 1st edition, 2009 AD.
- On the Fundamentals of Dialogue and Revival of Speech (Arabic), Taha Abdel Rahman, The Arab Cultural Center, Casablanca, 2nd edition, 2000,
- Issues of Arabic Language in Functional Linguistics (Arabic), Ahmed Al-Mutawakel, Dar Al-Aman for Publishing and Distribution, Rabat, 2001.
- Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Manzoor, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
- Al-Lisaan wa Al-Meezaan, aw Al-Takawthar Al-'Aqli, Taha Abdel-Rahman, The Arab Cultural Center, Casablanca, N. E, 1998 AD.
- Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of the Text (Arabic), Muhammad Khatabi, Dar Al-Cultural Center, Casablanca, N. E, 1991 AD.
- Al-Muthul Al-Saair fi Adab Al-Kaatib wa Al-Shaa'ir, Diaa al-Din ibn al-Atheer, investigation: Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Al-Maktaba al-Asriyya, Beirut, 1st edition, 1995 AD.
- Al-Mustadrak 'alaa Al-Saheehayn, Muhammad bin Abdullah Al-Hakim Al-Nisaburi, study and investigation: Mustafa Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, N. E, 1990 AD.

- Musnad Imam Ahmed bin Hanbal, investigation: Shoaib Al-Arnaout, Adel Morshed and others, supervision: Abdullah Al-Turki, Al-Risala Foundation, 1st edition, 2001 AD.
- Mustalahaat Al-Matafeeh li Tahleel Al-Khitaab, Mangono Dominic, translated by: Muhammad Yahyatin, Arab House of Science, Beirut, N.E., 2008 AD.
- Maqayees Al-Lugha, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini, investigation: Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr, N. E, 1979 AD.
- Al-Muqtadab, Muhammad ibn Yazid ibn Abd al-Akbar, known as al-Mubarrid, investigation: Muhammad Azima, 'Aalam Al-Kutub, Beirut, N. E, 1996 AD.
- An Introduction to the Theory of Prophetic Rhetoric, the Context and Guidance of the Meaning of the Text (Arabic), Eid Balbaa, Valencia for printing and publishing, 1st edition, 2008 AD.
- Min Asraar Hurouf Al-'Atf fi Al-Dhikr Al-Hakeem, Muhammad Al-Khudairi, Wahba Library, Cairo, 1st edition, 1993 AD.
- Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, Abu Zakariya Muhyiddin Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 2nd edition, 1392 AH.
- Wahy al-Qalam, Mustafa Sadiq al-Rafi'i, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st edition, 2000 AD.



Chief Administrator

Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri

His High Excellency, President of the University

Deputy Chief Administrator

Prof. Abdullah Ibn Abdulaziz Al-Tamim

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief

Prof. Khalid suliman algossy

Professor in the Department of Applied Linguistics - Imam
Mohammad Ibn Saud Islamic University

Managing Editor

Dr. Mohammed Saeed Ibraheem Allowaimi

Associate Professor, Department of Rhetoric and Criticism -
College of Arabic Language





Editorial board members

- **Prof. Saad Ibn Abd ul Aziz Maslouh**
Professor in the Department of Linguistics - Kuwait University
 - **Prof. Mohammad Ibn Ibrahim Al-Qadi**
Professor at the Department of Arabic Linguistics - Tunis University
 - **Prof. Abdullah Muhammad Assudais**
Professor in the Department of Syntax, Morphology and Philology - College of Arabic Language - Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University
 - **AL QASIM. QASEM AHMED A**
Professor in the Department of Linguistics - King Khalid University
 - **Dr. Mohammed N. Al-Anazi**
Professor in the Department of Applied Linguistics - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University
 - **ABDULAZIZ SALEH ABDULLAH BIN DEAILIJ**
Professor in the Department of Rhetoric and Criticism - College of Arabic Language - Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University
 - **Prof. Taher Abdel-Hay Shabaneh**
Professor in the Department of Syntax and Morphology - Kafrelsheikh University
 - **Editorial-secretary**
Prof. Mamdouh Ibrahim Mahmoud
Deanship of Scientific Research
- 

Criteria of Publishing

The Arab Science Journal is a refereed scientific journal; issued by the Deanship of Scientific Research, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University. It publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.
4. The researcher sends his research to the electronic journal's platform (<https://imamjournals.org>) with a summary in Arabic and English, not exceeding two hundred words.

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted research papers for publication in the journal are refereed by two referees, at least.

VII. Rejected research papers will not be returned to their authors.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh,11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa